

دعوة الحق

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الاسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

العدد التاسع والعاشر – السنة التاسعة – ربيع الاول والثاني 1386 يوليوز – غشت 66

في هذا العدد

تصدرها وزارة عموم الأوقاف والشؤون الاسلامية بالمملكة المغربية

ثمن العدد درهم واحد

مجلة تصدرها وزارة
عموم الأوقاف والشؤون
الإسلامية بالمملكة المغربية

دعوة الحق

التاسع
والعاشر
السنة التاسعة
ربيع الاول والثاني 1386
يوليو - غشت 1966
ثمن العدد
درهم واحد

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

بيانات إدارية

تبعث المقالات بالعنوان التالي :
مجلة « دعوة الحق » ــ قسم التحرير ــ وزارة عموم الاوقاف
الرباط ــ المغرب . الهاتف 10 ــ 308

الاشتراك العادي عن سنة 10 دراهم ، والشرفي 30 درهما فأكثر .

السنة عشرة اعداد . لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة .

تدفع قيمة الاشتراك فى حساب :
مجلة « دعوة الحق » رقم الحساب البريدي 55 ــ 485 ــ الرباط

Daouat El Hak compte chèque postal 485 - 55 à Rabat

او تبعث رأسا فى حوالة بالعنوان التالي :
مجلة « دعوة الحق » ــ قسم التوزيع ــ وزارة عموم الاوقاف ــ الرباط ــ المغرب .

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنية والثقافية والاجتماعية ، وذلك بناء على طلب خاص .

لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر

المجلة مستعدة لنشر الاعلانات الثقافية .
فى كل ما يتعلق بالاعلان يكتب الى :

« دعوة الحق » ــ قسم التوزيع ــ وزارة عموم الاوقاف ــ الرباط
تليفون 308.10 ــ 327.03 ــ الرباط

كلمة العدد

رسالة مستديمة

بهذا العدد تكون مجلتنا قد أنهت سنتها التاسعة ، وسلخت من عمرها المبارك المثمر تسع سنوات ، قضتها في خدمة العلم والادب ، والعروبة والاسلام ، وأسهمت في بعث ثقافة قومية أصيلة ، أقامت الحجة القاطعة ، والدليل الناهض ، على أن الانتاج الادبي ، والحركة الفكرية في بلادنا ، لا تقل ، شأوا ، عن غيرها من البلدان الاخرى

فمنذ درجت دعوة الحق الى الوجود وهي مهتمة بتعميم الثقافة ، وتدعيم أسسها ، وتطعيم الادب ، وبكل ما يتصل بقضايا الفكر في هذه البلاد التي كانت تشكو العوز في جل الميادين .

فعالجت قضايا الفكر ، بالبحث والمقالة ، والقصة والشعر ، والدراسات النقدية ، لاقرار الحياة الفكرية على دعائم متينة ، وقواعد ثابتة وأصول منتجة ، كما ذللت جميع العقبات والاخاديد ، وهزمت كل قوة متعنتة كانت تقف أمامها ، وتعترض طريقها ، فخضدت شوكتها ، وتغلبت عليها بالصبر الجميل . ولعل الفضل في ذلك يرجع الى الايمان الصادق ، والنية الخالصة المومنة من المثقفين الواعين الذين محصهم العلم ، وضربوا في رحاب الفكر والادب بسهم وافر ، فآزرونا بالعون ، وآثرونا بالمساعدة والتشجيع ، وأمتعوا أمتهم بما الهموا ، ونفعوا بلادهم بما حبوا ، وفتحوا للجيل الصاعد المتطلع سبيل العلم الصحيح ، وطريق الحق الصريح ، وباب الخير المحض ، والخلق النجيح ، كما بددوا عن سمائنا تلك الوحشة الفكرية التي كنا نعانيها ، والنشاط الفاتر الذي يتسم ببطء التقدم ، وقلة الانتاج .

وهكذا استطاعت هذه المجلة ، في هذا الظرف الحافل الذي قضته من حياتها ، وبفضل الفئة المخلصة المومنة ، أن تركز الشخصية المغربية ، وتدعمها عن طريق ما ينشر على صفحاتها من أبحاث ودراسات ، واحياء للتراث الروحي والتاريخي والحضاري والفكري لبلادنا المغربية العربية المسلمة

وقد وقفت سدا منيعا أمام المد التبشيري والاستعماري ، وموجاته العاتية التي تحاول النيل من الاسلام والكيد له ، والمكر به ، فحالت دون تسرب الغزو الفكري ، والاستعماري الاجنبي ، واستكتبت — لفرط اهتمامها — اقطاب الفكر في العالم الاسلامي ، فقدموا لها دراسات واعية مومنة مخلصة ، تتغي حماية الاسلام من دعاة التشكيك والتغريب ، والالحاد ومحاربة الثقافة العربية والحضارة الاسلامية مما كان يحي بارق الامل المنعش في النفوس ، ويبعث على التفاؤل والرضى والامل في الله ، ويجدد ما رث من أخلاق ، وما وهى من عهود ، ويرأب ما تقطع من أوصال .

فالعالم الاسلامي واجه — ولا يزال يواجه — في حياته الطويلة ، محنا قاسية ، تمثلت في محاولات التضليل والتشويه والتمزيق ، وحملات مسعورة مأفونة ، فرقت — او كادت — بين اقطاره وشعوبه ، بل لا يزال يعاني من خطر هذه الوشائج التي تنقطع فيما بينه ، وبين اخوانه ، فتتركه يعيش حياة قلقة مرتبكة ، وأمر مريج .

والاسلام بطبيعته دين صامد زاحف غالب ، يتصدى، في مناعة ، لجميع الفلسفات التي حاولت زحزحته سواء كانت هذه الفلسفات ، من يمين متزمت متحجر ، أو يسار متطرف متعنت ، يشعل الثورات ، ويوقظ الاحقاد، ويثير السخائم ، ولكنه — ولله الحمد — يهضمها ، ويتمثلها ، ويبقى وحده يتمتع بالغلبة والصمود والسلطان .

والعالم الاسلامي ، مدعو اليوم ، لمراجعة رصيده في حساب الحضارات والمبادىء ليتعرف الى ذاته بثقة ، ويدرك أن وجوده ، ومصلحة البشرية في أن ينهض من كبوته ، ويصحو من غفوته ، ويستقل بفكره وحضارته ووجوده .

وهذا ما تضطلع بالقيام به مجلة « دعوة الحق » ، وتعمل له ، وتصدع به ، وهي ما برحت — في عقيدة خالصة ، وباس صادق — تكافح وتنافح في ثقة ، وحزم ، واصرار لاداء الرسالة الخالدة للاسلام ، وتدعيم الحضارة العربية المغربية ، وتعليم الالوف من المثقفين وغيرهم ممن خبت جدوة الدين في قلوبهم ، وتسربت نزعات الشك الى عقائدهم ، وكادوا ينماعون في مجتمعات أخرى ، وآمنوا بضحالة الحضارة الاسلامية ، وقصور الفكر الاسلامي عن مواكبة الركب التقدمي ، هذا الفكر ، وتلك الحضارة التي افاءت على المسلمين ، والعالم ، الخير والبركة ، واشاعت في الدنيا السلام والطمانينة عن طريق المبادىء الانسانية الرفيعة ، والمعاني السامية النبيلة .

واننا لنستشعر القدرة والنشاط في هذا الوقت الحاضر لتبليغ رسالة الاسلام على وجهها الصحيح ، ونرصد الاهبة لمضاعفة الجلد لتركيز حضارتنا ومقوماتنا ومشخصاتنا مع ما يرتضيه الدين الحنيف ، ويوافق الشرع الحكيم ، ويستجيب لمتطلبات الحياة الحاضرة .

ان ذلك من عزم الامور .

دعوة الحق



المسلمون أمام خطر التقاطع

للدكتور: شكري فيصل

من اين يبدأ المسلمين ومن اين يبدأ دواؤهم ؟

كان هذا هو السؤال الذي وجدته يدور به لساني وانا اقرا جملة من اخبار العالم الاسلامي الاليمة ، ولم يكن في وعي ، في غمرة الاسى اللاهب ، ان اعرض طائفة من الاسباب في شيء من التسلسل وادراك الصلات، ولكني كنت اجدني دائما تحت وطأة الاحساس بان العالم الاسلامي لا يعاني شيئا كما يعاني خطر هذه الوشائج التي تتقطع فيما بينه فتقطع الطريق على الامل العريض بلقائه وتوحده

— 1 —

والحق ان ابرز ما يغبن العالم الاسلامي فيه نفسه وما ينتقص فيه المسلمون انفسهم انما هو هذا الانقطاع الذي بينهم . انقطاع فيما بين اوطانهم وبلادهم من نحو . وتقاطع فيما بين اجيالهم المتتابعة في البلد الواحد من نحو اخر

فالمسلمون في المشرق الادنى لا يعرفون الا ما لا يمكن ان يجهل في هذا العصر من شؤون المسلمين في الشرق الاقصى . بل انهم لا يعرفون من هذا القليل الذي لا يجهل الا ما يسمح لهم بمعرفته او يتسرب اليهم اعني الذي تسمح به هذه القوى الخفية ــ الظاهرة التي تسيطر على الاوطان الاسلامية وعلى الفكر الاسلامي .

والمسلمون على المتوسط الشرقي يجهلون الذين على المتوسط الغربي . ودع عنك ما وراء ذلك من هؤلاء الذين يعيشون في قلب القارة الافريقية او حتى في سواحلها . ان احداث نيجيريا الاخيرة وحدها وما يراد بالمسلمين فيها وما يفرض على القسم الشمالي منها والضحايا التي اصبحت تعد بالمئات والالوف . وجهل المسلمين ، حتى هنا ، بما يجري هناك وسكوتهم عنه ، اعني عجزهم حتى عن التاييد او الرفض ، كل ذلك من الدلائل الواضحة البينة التي لا يحتاج معها انسان الى دليل على انقطاع ما بين المسلمين

ولن اتحدث اليك عن الاقليات الاسلامية في بعض بلاد اروبا ، ولا عن الجزر الاسلامية التي تتناثر في اجزاء القارتين اروبا وامريكا لان شانها اقسى الشؤون وصلاتنا بها اضعف الصلات وجهلنا بها اقوى الجهل واشده دليلا على الانقطاع الذي اتحدث عنه

— 2 —

والمسلمون كذلك يعانون هذا التقاطع في البلد الواحد فيما بينهم . فيما بين الجيل الواحد . وفيما بين الاجيال المتعاقبة

1) فاما فيما بين الجيل الواحد فحسبك ان تعلم انه لم يعد هناك رابطة تجمع المسلمين على الاسلام حتى في اعرق البلاد الاسلامية . ليس هنالك ــ الا في الاقل النادر الذي لا حكم له ــ جماعة تلتقي على امور المسلمين وحدهم او ثقافة المسلمين وحدها او تاريخ المسلمين او مستقبل المسلمين .

فالناس الان يلتقون على تنظيمات جديدة .. انهم يلتقون في النادي ، وفي النقابة ، وفي الجمعية الخيرية وفي الجماعة التعاونية ، وفي الحزب ، وفي عديد اخر من هذه المؤسسات التي يعرفها العصر الحاضر والتي دخلت الحياة الاسلامية على انها اشكال ثم استقرت على انها حقائق لا ترد ووقائع لا تنكر

وليس بين هذه المؤسسات – من النادي الى الحزب وما بينهما من درجات – هذا الارتباط بالمبدا الاول : الاسلام .. فقد حجب الاسلام ، بنوع من الحجب ، في ادبه وفي سلوكه وفي عقيدته وفي افكاره وفي نظرته الى الحياة عن ذلك كله وقيل للناس : انتم تجتمعون هنا لهذا الشان او لذلك من امور الدنيا او المعاش او الترف او الحياة او السياسة .. واطاع الناس ذلك فاجتمعوا على هذه الاشياء واهملوا ان يجتمعوا على الاصل الذي تنبثق منه ، اعني على الاسلام، فلم يبق هذا الخيط الناظم الذي يصل كل هؤلاء المسلمين في البلد الواحد .. وانما تفرقوا في هذه الشيع او الاحزاب وتفرق منهم الراي وضعفت الكلمة .. بل تجاوز الامر الضعف والتفرق الى شيء من خصومات .. ذلك لان هذه المؤسسات الجديدة (من النادي الى الحزب) لها نظراتها وآراؤها وسلوكها وهي لذلك حريصة على ان تفرض هذا السلوك وان تقدم هذا الراي فلا بد لها من ان تصطدم بالمؤسسات ، لان هذه المؤسسات جميعا اهملت القاسم المشترك الاعظم بينها وهو الاسلام (عقيدة وعملا وسلوكا) واهتمت بالقضايا اليومية او الترفيهية ، فكان من ذلك هذا التقاطع اولا ، ثم هذا الخصام ثانيا

وكان من الممكن ان تقبل التقاطع والخصومات في هذه المؤسسات لو كان للمسلمين هذه القوة التي يعتصمون بها وهذا الكيان الصلد الذي يحتمون وراءه

ولكن التقاطع والخصومات انما تقع في البلاد الاسلامية ، واعداء الاسلام – اعداؤه حتى الموت – في بلاد المسلمين ، وهم ليسوا في بلاد المسلمين ضيوفا ولا زوارا ولا اهل ذمة وانما هم متسلطون متحكمون ، بيدهم المال والادارة والمقاليد

ومع ذلك فقد فتن المسلمون عن اصل وجودهم في الائتلاف في منظومة واحدة هي الاسلام ، فصاروا الى هذا التشتت في هذه المؤسسات المتقاطعة المتنابذة .

– 3 –

2) واما التقاطع فيما بين الاجيال المتعاقبة فذلك من اصعب ما مني به الاسلام في هذه الحقبة من تاريخه الحديث .. ذلك ان من نعم الله ان الكتلة الاسلامية في جملتها ، في جماهيرها العامة ، لم تزل كتلة صلبة ، وان الروح الاسلامية لم تزل مشرقة على تكاثف الحجب ، وانه في كل بلد من بلاد المسلمين قريبها وبعيدها ، ناس تنبهوا لحال الاسلام وعملوا له .. وبدا تنبههم في شكل دعوة من دعوات الاصلاح ، او قيادة من قيادات المسلمين او عمل من اعمال وحدتهم .. وما اكثر ما نبت من دعاة ومصلحين في هذين القرنين في العالم الاسلامي كله من اقصاه الى اقصاه حفظوا على الاسلام قوته وحفظوا على المسلمين يقظتهم

ولكن هؤلاء الدعاة وهذه الدعوات ، وهذه الحركات الاصلاحية وهؤلاء المصلحين كانوا يعيشون – او اكثرهم – حياة جيلهم وحياة اوطانهم لا يتعدونها .. فلا تتابع تجربتهم، ولا تقتفى دعوتهم، ولايستفاد مما وقعوا فيه من خطا او افلحوا فيه من صواب .. وانما تموت دعوتهم او آراؤهم او اعمالهم بموتهم ، وقد تعيش بعدهم بعض الوقت ثم لا تلبث ان تنطفيء

فاذا جاء بعد ذلك من ياتي بعدهم من دعاة او مصلحين بدأوا طريقهم بداءة جديدة ، واخذوا انفسهم بالعمل من النقطة الاولى ، من حجر الاساس ، وتركوا ما قام من بناء من قبل فلم يعلوا حجرا فوق حجر ، ولم يفيدوا درسا من حادث ، ولا سيرة من رجل ، ولا عبرة من تاريخ وانما مضوا وكانما لا قبلهم ولا بعدهم .

هذا التقاطع بين الاجيال المتعاقبة يهدر طاقات لا حصر لها ، ويعرض التجربة المسلمة في كل بلد اسلامي الى خطر الاخطاء المتكررة او الانحرافات المتعاقبة ، ويحرمها من عنصر الاستمرار الزماني الذي هو ابرز شروط العمل الايجابي البناء ، فاذا الزمان يضيع في تجارب معادة مكرورة .

– 4 –

ابرز الامثلة على ذلك انه ليس عندنا لا تاريخ ولا تسجيل ولا دراسة لكل اعلام الحياة الاسلامية في اي

بلد من بلاد الاسلام . ليس عندنا معرفة بحركاته فضلا عن دراسة هذه الحركات وجمعها واستخلاص الدرس النافع منها . فمن الذي يعرف منا ـ نحن الذين يبدو اننا مندفعون في سبيل الاسلام ـ حركة الاسلام في الهند معرفة صحيحة ويتمثل واقع المسلمين ؟ .. من منا يعرف حركة الاسلام في الحبشة وواقع المسلمين الاليم فيها ؟ . من منا يعرف بوضوح رجال الفكر الاسلامي في طول هذا العالم وعرضه ؟ . وهل هنالك مركز اسلامي واحد في كل الدول الاسلامية ، وعند كل هؤلاء المسلمين يملك ان يقدم عن اية قضية من القضايا الاسلامية المعلومات التي لا بد منها .

ـ 5 ـ

واذا كانت علتنا الكبرى في هذا التقاطع والانقطاع فان دواءنا الانجع يكمن في النقيض . اي في التواصل والاتصال . وتلك اولى مراحل الحياة الاسلامية التي تريد ان تنبض بدم جديد .

لا بد اذن من التواصل بين المسلمين كحركة اولى منظمة على طريق الخلاص .

ولعل قائلا يقول : ولكن ما هو السبيل ؟ .

ـ 6 ـ

ان الجواب على ذلك ليس عندي في هذه الكلمات وليس عند غيري في كلمات اخرى يسطرها او محاضرات يلقيها ، ولكنه عند كل مسلم ، من الذي يحرث الارض الى الذي يتربع على كرسي من كراسي السلطة .. ان الجواب يكمن في ان يسال كل مسلم نفسه : ما ذا افعل لاسلامي ، لعقيدتي ، في خارج النطاق التعبدي الذاتي ؟ .. ما ذا اعمل لعقيدتي على المستوى الاجتماعي من ابسط المجتمعات في القرية والحي الى اوسعها في المدينة والوطن والمجتمع الاسلامي الكبير ؟ ..

وحين يسال المسلم نفسه هذا السؤال ويلتزم بالجواب الصادق عنه . فانه سيجد ان حظ الاسلام منه ، في حياته وسلوكه ، من عقيدته ومن الوفاء بهذه العقيدة والالتزام بها هو اضعف الحظوظ .. وسيجد انه موزع بين شهواته ان كان من ذوي الشهوات ، وبين عبادة ضيقة ان كان من ذوي العبادات ، وبين ما يبرر كسله ان كان من ذوي الفكر . انه سيجد ان ولاءه ليس للاسلام، بل هو للنادي والنقابة والحزب . وليس ولاءه للاسلام بمؤسساته الكبرى : بجماعاته ومجتمعاته ، بمساجده وجمعه وحجه . وانه حتى حين يكون من شانه المشاركة في هذه المجتمعات الاسلامية فان مشاركته لا تتعدى العبادة الى العمل ، ولا تخرج عن نطاق الذات الى نطاق المجموع .

ـ 7 ـ

ان الصلة بين المسلمين هي التي يجب ان نفتش عنها . وهي صلة تقتضي التواصل على اساس اسلامي صرف في نطاق البيئة الصغرى (النادي والنقابة والجمعية) ثم في نطاق الوطن ثم في نطاق الوطن الاسلامي .

ان هذه الاشياء ليست في حاجة الى حكومات ، ولا الى مؤتمرات تقف وراءها تدعمها الحكومات او تقف امامها تجابهها . ولكنها في حاجة الى مسلمين ينشئون تنشئة اسلامية ، ويتشبعون بالاسلام ، ويعرفون ان الاسلام دعوة وليس دعاء ، وانه التزام وليس زينة ، وانه عمل وليس قولا . وانه يجب ان يكون مقدما على كل شيء اخر في الحياة او السلوك .

لكي نحارب الانقطاع والتقاطع يجب ان نومن بالتواصل الحق وان نعمل له بعيدا عن كل شبهة .. في نطاق شعبي صرف وعلى يدي ناس ليس في قلوبهم الا ايمانهم بالاسلام وحده قبل كل شيء وفوق كل شيء .

الى ان يكون هذا التواصل، والى ان يكون ما وراء التواصل من عمل فكري واجتماعي يجعل المسلم الواحد مشدودا الى ملايين المسلمين الخمسمائة ويجعل الخمسمائة مليون مسلم مشدودين الى المسلم الواحد .. الى ان يكون ذلك فاننا سنظل نعاني هذا التقهقر المخيف .

وقى الله المسلمين شر انفسهم وشر خصومهم .

د. شكري فيصل



موضوع النسخ في القرآن له اهمية ومكانة في التشريع الاسلامي فقد كثر الخلاف فيه بين اقطاب الفكر الاسلامي ، بل ان الخلاف وصل في موضوع النسخ الى درجة التعصب ..

وان الجو الفكري المتبادل بين المختلفين في مواد المسائل المنسوخة والناسخة انما ينهض دليلا على ان موضوع النسخ من الموضوعات التي سلم بوجودها المسلمون من اول الامر في الشريعة الاسلامية ، كما دافع عنها ، ودرسها دراسة واعية ناضجة كبار الائمة الاعلام ، امثال ابن حزم ، وابن كثير ، والسيوطي ، والخازن ، والبغوي ، وابن حزم الظاهري .

والموضوع الذي نقدمه في هذا العدد من مجلتنا « حول مسالة النسخ » للاستاذ احمد التيجاني قد يثير بعض الردود من طرف السادة القراء المختصين الاماثل نظرا لما يتسم به من اهمية ومكانة في التشريع الاسلامي

« المجلة »

هذه المسالة طال فيها الاخذ والرد بين اهل العلم متقدميهم ومتاخريهم طائفة جزمت بوجود النسخ في القرآن ، وضمته الى بقية الاصول الفقهية المدونة في الكتب وبنت عليه احكاما في مسالة : « لا وصية لوارث » قبالة قوله تعالى : « كتب عليكم ، اذا حضر احدكم الموت، ان ترك خيراء الوصية للوالدين والاقربين بالمعروف » وسياتي تحقيقه فيما بعد .

وطائفة انكرت وجوده بتاتا كابي مسلم محمد ابن بحر ومن شايعه ولكل وجهته .

وحيث كانت القضية بهذه المثابة اجتمع فيها المثبت والنافي معناه انها لا زالت تقبل الكلام ، ومن جهة اخرى ان الدين يتناولونها بالبحث والدرس على كثرة عددهم ، واختلاف مشاربهم وآرائهم يمكن حصرهم في قسمين : قسم اعتمد فيما ذهب اليه على مجرد الرواية واتباع بعض من سبق .

وقسم اختار الاعتماد على ضم الدراية الى الرواية وذلك بمقابلة ماللايات من اشباه ونظائر، مبثوثة في مختلف السور كما اختلفت اراء القائلين بالنسخ في عدد الايات التي لحقها النسخ اختلافا خرج بالبعض الى مجاوزة القدر الذي تستسيغه العقول كما شاهده القراء في المقال السابق عن ابي جعفر النحاس عملا بقاعدة ان الحكم فرع عن التصور ، ابدا بلم شتات المواد التي يستوحى منها الحكم برائد ما بين الايات من صلة رحم فاقول :

من قصر النظر ان تجعل آية «ما ننسخ من آية او ننسها » هي الام لهذا الصنف من الايات ، منها يخرج الكلام واليها يعود كما هو الشائع والذائع بين المنتسبين للعلم ، كان الاية استئنافية ، بل هي في اطار سياق عام مؤداه ان ما نحن فيه يرجع فيه الامر الى محاجة بني اسرائيل الد خصوم النبي عليه السلام .

نعم كبر على اليهود وضاقت عليهم انفسهم ان تخرج النبوة من حرم الشعب المختار وتنتقل الى اولاد اسماعيل الخاملين العريقين فى الامية عادين من المستحيل ان يبعث من بينهم نبي فكيف بنبي ياتي بكتاب ينسخ البعض من كتاب موسى الكليم . والى السادة القراء الاطار الذي تتمثل فيه المسالة ، ابتدا القرآن محاجة بني اسرائيل على فور الكلام على ابي البشر آدم عليه السلام : « يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واوفوا بعهدي اوف بعهدكم واياي فارهبون، وآمنوا بما انزلت مصدقا لما معكم ، ولا تكونوا اول كافر به » امة نالت من فضل الله ما نالت وطلع فى افقها ما طلع من الانبياء والملوك لا يجمل بها ان تكفر بكتاب نزل من عند من حباها بما فضلها به على عالمي زمنها : « يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين»

«ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا» كان اهل الكتاب اليهود والنصارى على السواء على علم بالبشارة ببعثة النبي عليه السلام لذلك كانوا يقولون لمن حولهم من مشركي العرب عندنا البشارة بقرب بعثة نبي فنسبقكم الى تصديقه ونقتلكم الى جانبه تقتيلا . « فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به .. بئسما اشتروا به انفسهم ان يكفروا بما انزل الله **بغيا ان ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده»**
« ولما جاءهم رسول من عند لله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كانهم لا يعلمون » .

« وقالت طائفة من اهل الكتاب آمنوا بالذي انزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون ، ولا تومنوا الا لمن تبع دينكم ، **قل ان الهدى هدى الله ان يوتى احد مثلما اوتيتم او يحاجوكم به عند ربكم قل ان الفضل بيد الله يوتيه من يشاء »** من آتاكم ما آتاكم وجعل فيكم النبوءة اي مانع يمنع من ان يعطيها الى غيركم انكم لم تتخذوا عند الله عهدا بانها تبقى موقوفة عليكم لا تنتقل الى غيركم وبالفعل قد تبادلتها الامم من قبلكم ، **وان من امة الا خلا فيها نذير – ثم ارسلنا رسلنا تترى –** كتبكم اخبرتكم عن بعثة نوح وهود وصالح وشعيب ولوط عليهم جميعا الصلاة والسلام .

اذا كانت القضية قضية سنة مطردة فى البشر فكما اعطاكم اياها من الجائز ان يعطيها الى غيركم .

امام ما تمادى عليه اليهود من الاصرار على عتوهم وكبريائهم نزل قوله تعالى : «ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين ان ينزل عليكم « معشر المسلمين العرب» من خير من ربكم، وقات القوم ان الله يختص برحمته من يشاء . وبعد ان اياس سبحانه العرب مما عسى ان يرجوه من الخير من اليهود اتبعه كاعذار اخير لليهود فقال سبحانه : « ما ننسخ من آية او ننسها نات بخير منها او مثلها» معناه انكم معشر اليهود ان ادخل هذا النبي الجديد تغييرا فى الوضعية الحالية او فى احكام كتابكم التوراة فانكم لا ترجعون بصفة المغبون ما ننسخ من آية مما عندكم ناتكم بخير منها وما ننوسي من الكتب السالفة كصحف ابراهيم وغيره نحن قادرون على الاتيان **بمثلها** فان الذي اوحى الى ابراهيم وموسى فى القديم هو نفسه الذي يخاطبكم الان بما ينزل على نبيه محمد .

هذا هو المهد الذي نشات فيه آية ما ننسخ وليست بآية مستانفة كما هو المستفيض على الالسنة من الاقتصار على الاستشهاد بها مقتضبة من غير اعتبار للسياق ولا لما لها من الاشباه والنظائر التي تمتد اليها باوثق صلة .

ومن هنا نسمع صدى الآية يدوي فى سورة النحل من قوله تعالى : « واذا بدلنا آية مكان آية ، والله اعلم بما ينزل ، قالوا ، انما انت مفتر ، بل اكثرهم لا يعلمون ، قل، نزله روح القدس من ربك بالحق الى ان قال : ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر ، لسان الذي يلحدون اليه اعجمي وهذا لسان عربي مبين » .

جاء فى تفسير روح البيان عند الكلام على هذه الآية ما نصه :

« قال الامام الواحدي فى اسباب النزول عن عبيد بن مسلمة قال كان لنا غلامان من اهل عين التمر اسم احدهما يسار والاخر جبر وكانا صيقلين فكانا يقرآن كتابا لهم بلسانهم وكان رسول الله «ص» يقربهما ويسمع قراءتهما فكان خصومه يقولون يتعلم منهما فنزلت الآية »

هذه الرواية تتفق تمام الاتفاق مع النفسية المسيطرة على اليهود فى مستهل بعثة النبي العربي كبر عليهم كما قلت ان تخرج النبوة من ايديهم وهم شعب الله المختار كما يزعمون وتنتقل الى امة بدوية يغمرها الجهل والوثنية خصوصا والنبي الذي على

راسها جاء بكتاب يلوح عليه طابع التفوق والهيمنة على ما قبله من الكتب « وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه » والتوراة من جملة هذه الكتب لا سيما وقد لاحت فى افق هذه الهيمنة بوادر التبديل والتغيير اعني النسخ فانزل من رحمته وسعت كل شيء ما لعله يطفىء غيظ قلوبهم قوله تقدس اسمه : « ما ننسخ من آية او ننسها نات بخير منها او مثلها » اي ما ننسخ من آية مما عندكم نات بافضل منها وانفع لمصالح العباد وما ننوسي وطواه الزمان فيما طوى كصحف ابراهيم وغيرها نات بمثلها لان الذي يكلم محمدا بالقرآن هو الذي كان كلم موسى بالتوراة وعيسى بالانجيل وابراهيم بالصحف وعليه فانكم لا ترجعون بصفقة المغبون من النسخ الذي تتخوفون منه. فالقارىء يرى ان النسخ بهذا المعنى يتجاوب مع المنطق والتاريخ الذي يتردد صداه من سبب النزول الذي رواه الامام الواحدي عند تفسير قوله تعالى : « واذا بدلنا آية مكان اية والله اعلم بما ينزل » الخ كما نقلته آنفا اقول واكرر ان الخروج عن هذا التاويل يقف بصاحبه امام عقبة يستحيل صعودها وهذه العقبة هي فى تاويل قوله تعالى « او مثلها » فاين توجد هذه المثلية ؟

كثيرا ما تذاكرت مع اهل العلم فى معنى هذه المثلية فتواطات كلمتهم على **الاستشهاد بمسالة** القبلتين قبلة بيت المقدس وقبلة الكعبة ، **والتفسير** بهذا المعنى يلاحظ عليه اولا ان قبلة بيت المقدس ليس فيها ايجاب قرآني كقبلة المسجد الحرام حتى تصح المقابلة بينهما . ثانيا لو كانت قبلة بيت المقدس مماثلة لقبلة البيت الحرام ما موجب نزول قوله تعالى: قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة **ترضاها»** معناه ان القبلة التي صلى اليها عليه الصلاة والسلام نحو ستة عشر شهرا لم يكن راضيا لها والا لما كان يقلب وجهه فى السماء الى ان نزل عليه «فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام» قبلة ابيه ابراهيم هذا من جهة ، ومن الجهة الاخرى يقول سبحانه : « ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين » والاولية تؤذن ولا ريب للفضيلة ، نعم المولعون بالتوجيهات والتماس التاويلات يقولون المثلية بين القبلتين يمكن حملها على المساواة فى الفضل والثواب ولكن هذا التخريج هو عين المكابرة يكفي لبطلانه قوله تعالى « ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا » والاولية كما قلت تؤذن بالافضلية ، ثم يقال ان عدد الآي التي قيل فيها النسخ لا تتجاوز العشرين على ما جاء فى كتاب الاتقان فى علوم القرآن للسيوطي والى السادة القراء نماذج من هذه الايات بعد التنبيه على انها فى مجموعها ليس من بينها ما هو قطعي الدلالة :

1» قوله تعالى : « كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت ان ترك خيرا الوصية للوالدين والاقربين بالمعروف حقا على المتقين » القول بالنسخ هنا يلاحظ عليه : فعلى القول بانها نسخت بآية المواريث لا ينهض يقول البيضاوي فى تفسيره فان آية المواريث فضلا عن كونها لم تنسخ الوصية على اطلاقها فانها تؤيدها وتبالغ فى تقريرها لانها بعد ذكر كل نصيب من فروض الورثة تتبعه بما يدل على بقاء لزوم الوصية ذكر السدس وتبعه من بعد وصية يوصي بها او دين وكذلك بعد ذكر النص والربع والثمن ، فالوصية كما ترى محررة فى جميع الاحوال وهناك من يقول نسخها حديث ان الله اعطى كل ذي حق حقه الا لا وصية لوارث يلاحظ عليه ان الحديث عند جميع المفسرين على ما نقل البيضاوي هو من الآحاد والقرآن متواتر فكيف ينسخ المتواتر الذي هو القرآن بالاحاد هذا عند من يقول بان الحديث ينسخ القرآن والمسالة كما هو معلوم خلافية وما احتمل واحتمل، سقط به الاستدلال يزاد عليه ان آية الوصية لو كانت من قبيل ما يرد فيه النسخ ما سجل عليها سبحانه بقوله : فمن بدله بعد ما سمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه ان الله سميع عليم » .

2» «كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم» . قيل نسخها قوله تعالى : « احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم» القول بالنسخ هنا مما يندى له الجبين وذلك انه قيل فى تعليله ان من قبلنا من اهل الكتاب كانوا اذا ناموا بعد المغرب لم ياكلوا ولم يقربوا النساء فكتب ذلك علينا الى ان نسخ بآية : احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم . اليس هذا من التهافت متى كتب علينا ما كان عليه اليهود فى صيامهم كتابنا يقول فى حقنا يقول : « يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون» الملكة العربية والسياق كله يدلان دلالة قطعية على ان المراد من التشبيه فى قوله تعالى كما كتب على الذين من قبلكم انما هو تشبيه فى الفرضية لا فى الكيفية يقول سبحانه للمومنين ان كان الصيام فيه مشقة وعنت فقد سبقكم الى تحمل مشقته من قبلكم من الامم وذلك لحكمة يعلمها

من هو اعلم بما يصلح ظواهركم وبواطنكم فلستم اول من فرض عليه الصيام وكل ما اطال به ابو جعفر النحاس في هذه الاية من جلب الاثار والاخبار ليس تحت ظالها مقيل للعقل ، ومثل هذا يقال في جميع الايات التي اوردها صاحب كتاب الاتقان فلا فائدة في اطالة المناقشة والتعليق عليها .

وختام الكلام ان المعني بآية ما ننسخ هم اليهود لازاحة ما عسى ان يعتذروا به او يتخوفوا منه فطمنهم الكتاب العزيز بان ما يقع من نسخ في بعض احكام كتابهم يكون في صالحهم : ما ننسخ من آية مما عندكم نأتكم بخير منها والأمر بهذا هو القادر حتى على احياء وبعث ما تنوسي من الكتب السالفة التي طواها الزمان فيما طوى كصحف ابراهيم على ان النسخ من سنن الشرائع كما قال سبحانه حكاية عن سيدنا عيسى : ومصدقا لما بين يدي من التوراة ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم ، يعني ان الكتاب الذي جاء به وهو الانجيل يحل لهم ما حرمه عليهم كتابهم التوراة والى هذا جاءت الاشارة في صحيح مسلم : «ما وقعت نبوة قط الا تناسخت» .

كيفما كان الحال وانحلت التاويلات وتشعبت فان القائلين بالنسخ يبقون رهينة ايجاد الجواب عن المثلية في قوله جل ذكره : « ما ننسخ من آية او ننسها نات بخير منها او **مثلها** » فما داموا لم يدلوا بجواب قاطع فموقف خصمهم المدعى عليه وموقفهم موقف المدعي ، والقاعدة ان المدعي هو المطالب بالبينة ، اين تتصور المثلية اذا لم تكن بين آية تنوسيت وطواها الزمان فيما طوى كما قلته آنفا وياتي سبحانه باخرى عوضا عنها وبدلا منها ولذلك عقبها سبحانه بقوله «الم تعلم ان الله على كل شيء قدير» ان الذي ينزل القرآن في وقت الخطاب بآية ما ننسخ هو الذي كان انزل ما قبله من الكتب اذن فهو قادر على احيائها هذا ما بدا للكاتب في هذا الموضوع .

الرباط ـ احمد التيجاني

حادثـوا هذه القلوب

كان الحسن البصري يقول : « حادثوا هذه القلوب ، فانها سريعة الدثور ، واقدعوا هذه الانفس ، فانها طلعة ، وانكم الا تقدعوها تنزع بكم الى شر غاية

كان عمر يقضي في الفقه بالراي والاجتهاد والمعرفة

بقلم أبو طالب زيان - القاهرة

ترجع منزلة عمر بن الخطاب الكبرى ، الى رايه ومعرفته بمسائل الفقه الاسلامي ، واستشارته في كثير من احكام الدين بعض الذين لهم قدم ثابتة ، وملازمة طويلة ، لرسول الله صلى الله عليه وسلم

فقد كان اجلاء الصحابة بعد عصر الوحي ، يقضون بالاحكام الفقهية المرتكزة على القرءان ، والمستندة الى اقوال النبي وافعاله ، وان كانت هذه الاحكام يفتى فيها بالراي ، وتتسم بالاجتهاد ، تبعا لاحوال البلاد التي فتحت على المسلمين ، ودخلت تحت احكام الاسلام ، وان لم يخرج الاجتهاد او الراي فيها على كتاب الله ، او يند عن السنة الصحيحة

فالصحابة رضوان الله عليهم ، لم يكونوا على حال واحدة من القضاء والفقه بعد رسول الله ، بل اختلفت احوالهم ، تبعا لاختلاف علمهم ، ونجاعتهم واجتهادهم، وطول ملازمتهم لصاحب الدعوة الكريم : محمد بن عبد الله ، صلوات الله عليه

واظهر ما يتجلى هذا الاجتهاد والمضي في الارشاد على هدي من الراي ، وقيم من الحجج : عمر بن الخطاب ، الخليفة الثاني لرسول الله ، الذي تم على يديه وفي خلافته : التشدد في الرجم والحد في الخمر، وصلاة التراويح جماعة ، والنهي عن التمتع في اشهر الحج

كانت الجراة التي احاطت بهذا الخليفة ، واخذته من كل جانب ، هي السبب في القسوة التي اخذ بها المسلمين في تنفيذ بعض الاحكام الفقهية التي كانت تاخذ طابعا خاصا ، ورايا موزعا بين المشرعين من الصحابة حتى قال :

(لقد خشيت ان يطول بالناس زمان ، حتى يقول قائل : لا نجد الرجم في كتاب الله ، فيضلوا بترك فريضة انزلها الله . الا وان الرجم حق على من زنى وقد احصن اذا قامت البينة او كان الحمل او الاعتراف، الا وقد رجم رسول الله ورجمنا بعده)

اما حد الخمر عند هذا الخليفة ، فهو ثمانون جلدة، وان جرى العمل في هذا الحد ، قبله على خلاف ذلك، فقد كان الشارب في عهد النبي وخلافة ابي بكر ، وصدر من خلافة عمر نفسه ، يضرب بالنعال والاردية والايدي، ردعا له ، وتشهيرا به ، وزجرا لنفسه ، وعظة لغيره ممن يقترفون هذا المنكر ، حتى الجات الحاجة عمر ، الى هذه الزيادة في الحد ، تعزيرا وتاديبا ، لما راى من اقبال الناس في شتى الامصار ، على تعاطيها ، وتفننهم في تناولها ، واجتماعهم حول موائدها ، تبعا لاتساع الدولة والغنم من فتوحاتها ، والزيادة في دخولها .

والواقع ، ان شخصية عمر القوية ، وقوة عزيمته ، وتصديه لاحكام الفقه عن علم ومعرفة ، كانت اهم الاسباب في اخذ المسلمين على عهده ، بما لم يالفوه في عهدي الرسول والصديق ... ولو كان الخليفة غير عمر – على قرب المسلمين – بالنبي لما استطاع ان يحمل الناس على رايه ، ويجعلهم يتبعون اجتهاده واشتراعه لكثير من الاحكام .. فانتقال المسلمين من حال الى حال في كثير من الاحكام ، ليس بالامر الميسور ، ولا بالمطلب السهل ، حتى يدخل فيه كثير من سادة الاجتهاد

في ذلك العهد ، او يتبعه اجلاء الصحابة عن اقتناع وطواعية ، الا ان يكون عمر بن الخطاب ، هو صاحب الراي ، والمتحمل لمسئولياته الجسام ...

جمع عمر الناس على صلاة التراويح في رمضان ، مستندا الى قول عائشة رضي الله عنها : (ان النبي صلى في المسجد ، فصلى بصلاته ناس ، ثم صلى الثانية ، فكثر الناس ، ثم اجتمعوا من الليلة الثالثة او الرابعة ، فلم يخرج اليهم رسول الله ، فلما اصبح قال : رايت الذي صنعتم فلم يمنعني من الخروج اليكم الا اني خشيت ان تفرض عليكم ، وذلك في رمضان)

على ان عمر لم يسلم من تقول بعض الناس عليه ، وطعنهم في عمله والنظر اليه على انه استحدث في امور الدين ... لكن الخليفة الواثق من نفسه ، والحريص على احكام الشريعة ، لم تنل منه هذه الدعاية ، ولم تثنه عن عمله ، الاقوال التي اذاعها بين الناس كثير من المجتهدين

راى عمر الناس في المسجد مجتمعين حول ابي ابن كعب يصلي بهم التراويح ، فقال : (نعمت البدعة هذه) والبدعة هنا ، هي الجماعة في التراويح .. فقد امتنع النبي عليه السلام عنها ، خشية ان يشق على امته بافتراضها عليهم ..

وليس شك في ان للراي والاجتهاد عند ابن الخطاب ، اعتبارا كبيرا ، ومركزا قويا ، حتى ان كثيرا من الصحابة قد سلكو مسلكه ، وتعصبوا لاحكامه ، وساروا على هداه .. والشبه في الراي والاجتهاد ، كان خلة ذلك العهد ، وديدن الائمة المشرعين ... قال عبد الله بن مسعود : (لو سلك الناس واديا وشعبا ، وسلك عمر واديا وشعبا ، لسلكت وادي عمر وشعبه) ..

وقال عمر في ابن مسعود لاهل الكوفة حين ارسله اليهم ، ليعلمهم ويفقههم : (لقد اثرتكم — بعبد الله — على نفسي) ، اجلالا من عمر وتفضيلا لعبد الله ، وعرفانا بعلمه وفتاويه ... وهناك من الفقهاء من ذاع صيته في الفتيا ، وبلغ شأوه وعدله في القضاء .. ولا ينكرن احد فضل زيد بن ثابت ، ومنزلته الكبرى في الفقه ، وامتلاءه بالعلم والمعرفة . فقد لازم النبي عليه السلام ، زمنا طويلا ، وسمع منه الكثير ، وعى عنه ، ما لم يعه غيره من الذين لم يكتب لهم حظ هذه الملازمة ، او لم تتح لهم تلك الفرصة المباركة .

امتاز زيد بن ثابت ، وهو من كتاب الوحي ، بالامانة في النقل والتعمق في الفقه ، والبروز في الاجتهاد والراي ، ولهذا وثق به عمر حتى استخلفه عند كل سفر ، يعرض له ، او تحتمه الظروف ، او تفرضه الخلافـــة .

ويتضح وثوق الخليفة بزيد ، وعرفانه لفضله ، واجلاله لعقله ، عند ما فرق الناس في البلدان ، ووزعهم على الامصار ، الا هذا الفتى الذي اثره بالاستبقاء ، واكرمه بالاستشارة ، ليرجع اليه في الغامض وياخذ رايه في الامر العارض ، ويقدمه على كبار الصحابة ، ولا يقدم احد عليه .

اما عبد الله بن عباس ، فقد جمع الى الفقه ، الكثير من العلم والتمكن من العربية ، والتبريز في الشعر والدقة في الفهم لكتاب الله ، والتثبت من الفرائض ، حتى ان عمر نفسه ، كان يحله منزلته ، ويحترمه ، لا لقرابته من الرسول الكريم ، ولكن لما عرفه فيه من الراي والعلم والقدرة على استنباط الاحكام

ولا يغيب عن احد ان عبد الله ، كان احد الستة الذين اكثروا من الرواية عن رسول الله ، وهم : ابو هريرة ، وابن عمر ، وجابر ، وابن عباس ، وانس ، وعائشة ، وكان هو وابن مسعود ، وزيد بن ثابت ، الذين ياخذ الصحابة بقولهم في الفقه ويهتدون بكلامهم في كل باب من ابواب التشريع .

ولقد شهد له كثير من العلماء بغزارة العلم ، والتبحر فيه ، حتى كان يفد الى داره بمكة الكثير من طلاب العلم من كل بلد ، للاستماع والافادة ، او السوال والاستفسار ... اشاد بعلمه وفضله وتمكنه : علي بن المديني ، وسفيان بن عيينة ، وعبد الله بن طاهر ، والازرقي صاحب كتاب (مكة) ، وذكرته الاخبار في كتب التاريخ والطبقات .

والذي يستحق الذكر ، ان حداثة سن ابن عباس ، عند ما توفي النبي عليه السلام ، لم تمنعه من ان يكون بين الستة الكبار الذين اكثروا من رواية الحديث ، ولا يكون العجب في ابن عباس بما وقع له — وهو ابن

الخامسة عشرة ـ في راي ابن حنبل او الثالثة عشرة في راي غيره ، من التحليق في سماء العلم ، والتوغل في دنيا العلوم والمعارف . .

وعلى النقيض من ابن عباس ، ياتي عبد الله بن عمر الذي اقام بالمدينة ، يشتغل بتعليم المسلمين ، ويجتهد في احكام الفقه ، ويفد اليه الناس من كل قطر من الاقطار ، او بلد من البلاد الاسلامية .

كان ابن عمر قليل الكلام ، طويل الصمت ، لا يتكلم الا اذا دعته الضرورة اليه ، يهمه ان يسمع اكثر مما يهمه ان يتصدر للفتيا ، ويجلس للكلام ، حتى كان الناس على عهده ، وهم وافدون اليه من نواح بعيدة ، ربما يرجعون بعد عناء غير مستطاب ، وتعب غير مستملح، الى ديارهم، وهم لم ينالوا ما جاءوا اليه من الاستفسار او توضيح ما اشكل عليهم في كثير من الاحكام ، وابن عمر راض عن صمته ، لائذ بطابعه ، لا يريم عنه ولا يتحول الى غيره تحرجا ، او عدم تمكن مما سُئل عنه ، او اخذ رايه فيه ، فاذا ما فاض كان كالبحر ، يطغى ماؤه على شواطئه ، فينبت القاحل ، ويخضر اليابس ويكون النفع العميم ، والفيض الزاخر . .

على ان المراة المسلمة ، كان لها حظ المشاركة، والباع الطويل ، في الحركة الفقهية التي قامت في مكة والمدينة وكثير من العواصم الاسلامية بعد وفاة الرسول الكريـــــم . .

فليس مما يستساغ او يقبل دون جدل ، ان تكون الاحكام الفقهية وقفا على الرجال ، او مقصورة عليهم ولا سيما اذا كانت هذه الاحكام الفقهية ، متعلقة بالمراة، وما يعرض لها او يكون في بيتها ، او خاصا بشان من شئونها الداخلية التي لا تستطيع الافصاح عنها ، او تتناولها السنة الرجال ، او تكون عرضة للقيل والقال .

والسيدة عائشة ، خير مثل على هذا الاشتراك او هذه المساهمة . فقد اشتركت رضوان الله عليها في رواية الحديث عن رسول الله ، حتى عدت من الستة الذين عرفوا بالكثرة في الرواية ، وروى عنها كثير من اجلاء الصحابة والتابعين ، واصبحت مرجعا من مراجع الحديث والفتيا ، يحج اليها في دارها بالمدينة ويسالها السائلون ، فتجيب بما سمعت ، وتفتي بالراي، وتلجأ في كثير من الاحيان الى الاجتهاد ، شانها في ذلك ، شان كثير من الذين لهم حظ من العلم ، او وعوا وسمعوا من صاحب الدعوة .

واذا صح ان هؤلاء الرواة ، او هولاء المجتهدين قد شغلتهم احداث الحياة ، او راوا من الاسلم لهم ، الانصراف عن مقاعدهم من الفتيا ، بعد ما ادوا رسالتهم بعد الرسول بتفقيه الناس في امور دينهم ، وتعليمهم احكامه ، الا عمر بن الخطاب ، فقد ابى ، او ابت عليه نفسه الكريمة الا ان يكون الفقه هو محور حكمه ، ومناط خلافته ، لا ينصرف عنه ، ولو وجهت اليه السهام، ونالته قوارص الكلمات . .

يعترف الخليفة عمر بالخطأ في كثير من المواطن، ويخضع للراي ان اجتمع ، ويفتي في (الكلالة) ثم تحضره الوفاة ، فيمحو الكتاب ، ويترك مسالة هذا الميراث شورى يقول فيها المسلمون رايهم ، ولو شاء لحسمها برايه ، ونظر فيها بما يراه ، الا انه آثر اجتهاد من بعده ، وتحملهم مسئولية راي ، الا يتحملها هو ، لما يترتب عليها من جدل ، او يكتنفها من لغو او فضول، او اراء لا يحب عمر ان يجادل فيها او يدفع خطلها او يفوت على صاحب راي رايه فيها

ولقد كان من البديهي ان يحدث اختلاف بين فقهاء الصحابة في كثير من المسائل التي يرجع فيها الامر الى الاجتهاد او اعمال الراي والذهن ، ولكن ـ والحق يقال ـ كان مرد هذا الاختلاف الى فهم الفقهاء انفسهم ، والى اختلاف البيئات ، والى تفرق كثير من الصحابة في الامصار والى تاخر تدوين الحديث .

كان كل من الصحابة يفتي بما رءاه من النبي او سمعه او يجتهد فيما اشكل عليه ، او غم عليه فهمه ، او استثار عنده حاسة الفهم ، او شحذ فيه الفكر او سلك معه طريق المعاناة ، الا انه خلاف على كل حال ، لا يرجع الى صلب الدين نفسه ولا الى جوهره ولا الى ذاته ، وان اصابنا من هذا الخلاف في وجهات النظر ، او في حكم من الاحكام ، الخير الكثير ، فقد كان تمهيدا لمدارس الراي بعد ذلك ، وكان الجدل فيها من مشاهد الحركة الفكرية في الاسلام

القاهـرة ـ ابو طالب زيـان



لم يكن القرآن بلغة قريش فحسب...

للأستاذ : الراجي التهامي الهاشمي

- 6 -

القبيلة الرابعة : جرهم «1»

لقد اخذ علي انني لا اتصدى للتعريف بالقبيلة قبل البدء فى شرح مفرداتها ومعلوم ان هذا التعريف الذي يريده هؤلاء الفضلاء يتعلق ، ما فى ذلك من شك ، **اولا** بجغرافية القبيلة ـ موقعها ـ مناخها ـ سكانها ـ مواردها ـ تضاريس ارضها الى آخر ما يدرسه الجغرافيون ، **ثانيا** : بتاريخ القبيلة ، نشأتها ، اصل سكانها ، من تعاقب عليها من الحكام والملوك ، حروبها ، ايامها ، وعظماؤها الى آخر ما يهتم به عادة المؤرخون ، ولو شئنا ان نتتبع هذا او نفصل القول فيه كما اراد هؤلاء الفضلاء لتجاوزنا القصد بكثير ولخرج البحث المتواضع من دراسة لغة القرآن الى فصول مفصلة عن القبائل العربية وتاريخها، ولكننا نزولا عند رغبة اخواننا سنأتي عند الحديث عن كل قبيلة بالمصادر التي يمكن الرجوع اليها لمعرفة المطلوب وسنثبت ذلك فى الطرة كما فعلت اليوم .

لقد شرف القرآن قبيلة جرهم فاستعمل من مفرداتها 22 لفظة ، وزعت فى الكتاب العزيز على الشكل الآتي :

1 ـ لفظة «باءوا» فى الآية 61 من سورة البقرة ومعناها استوجبوا ، وقد كررها الحق سبحانه وتعالى فى الآية 90 من نفس هذه السورة حيث قال : « فباءوا بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين » كما وردت بنفس الصيغة فى سورة آل عمران الآية 112. وفى قصة بني آدم الآية 29 من سورة المائدة على صيغة « تبوء » كما وردت ايضا فى آل عمران الآية 162 وفى الانفال الآية 16 على صيغة «باء» ويفسرها المفسرون على ان معناها « رجعوا » وهكذا شرحها ايضا اسماعيل بن حماد الجوهري فى مادة بوأ آخذا عن الاخفش . اما الزمخشري فيفسرها بقوله «2» .. باء فلان بفلان اذا كان حقيقا ان يقتل به لمساواته له ومكافأته ، اي صاروا احقاء بغضبه ، وهو تفسير لطيف ، طريف ، يعادل فى مضمونه العام ما ذهب اليه غيره ، والجدير بالذكر ان الامام الزمخشري ما زاد هنا على ما ذهب اليه اللغويون فى هذه المادة . ومنهم ابو زيد الذي قال : باء الرجل بصاحبه : اذا قتل به ، ومن المثل العربي المشهور : باءت عرار بكحل ، وهما بقرتان انتطحتا فقتلت احداهما بالاخرى .

2 ـ مفردة « شقاق » ومعناها ضلال بلغة جرهم وتوجد فى سورة البقرة الاية 176 ، كما توجد بنفس المعنى فى نفس هذه السورة ، الاية 137، وفى الحج ، الاية 53 ، وص ، الاية 2 وفى فصلت الاية 53 .

3 ـ لفظة « خير » فى الاية 180 التي يقول فيها الحق سبحانه وتعالى : « كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت ان ترك خيرا الوصية للوالدين والاقربين بالمعروف حقا على المتقين .. » وتوجد فى سورة البقرة ومعناها بلغة جرهم « المال » ولعله المال الكثير ، وقد فسرها بهذا المعنى كل من ابن عباس رضي الله عنه ، ومجاهد ـ ويؤيد هذا المعنى ما اخرجه البيهقي . وجماعة عن عروة ان عليا كرم الله وجهه دخل على مولى له فى الموت وله سبعمائة

1» ا ـ الصحاح : الجزء الخامس آخر صفحة 1886

ب ـ الاعلام : الجزء الثاني صفحة 110 وانظر المصادر الموجودة فى هذه الصفحة .

2» الكشاف صفحة 72 من الجزء الاول طبعة القاهرة سنة 1345 .

درهم «3» او ستمائة درهم فقال : الا اوصي قال : لا انما قال الله تعالى : «ان ترك خيـرا » وليس لـك كثيـر مال ، فدع مالك لورثتك «4» كما ان عائشـة ام المؤمنين رضي الله عنها تـرى ان لفظة خيـرا في هذه الايـة تدل على المال الكثيـر .

ووردت هذه اللفظة بهذا المعنى ايضا في سـورة الكهف في الاية 90 التي يقول الحق سبحانه وتعالى فيها « قال ما مكني فيه ربي خير فاعينوني بقوة اجعل بينكم وبينهم ردما » وفي سورة النور الاية 32 وفيها يقول عز وجل « وليستعفف الذين لا يجدون نكاحـا حتى يغنيهم الله من فضله والذين يبتغـون الكتـاب مما ملكت ايمانكم ، فكاتبوهم ، ان علمتم فيهم خيـرا، واوتوهم من مال الله الذي آتاكم ولا تكرهـوا فتياتكم على البغاء ان اردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا، ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم . »

ومن رواية سلمان «5» يفهم ان «خيرا» هـذه الواردة في الاية الشريفـة معناها المال ، لمـا قـال لمملوكه الذي ابتغى ان يكاتبه : «اعندك مال ؟ » قال : «لا» قال : « اتمرني ان آكل غسالة ايدي الناس !!؟»

4 ـ لفظة : « داب » في قوله تعالى : « كداب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآياتنا فأخذهـم الله بذنوبهم والله شديد العقاب » الاية 11 من سورة آل عمران ومعناها بهذه اللفة كاشبـاه آل فـرعـون ولقد وردت هذه اللفظة مقرونة بآل فرعون ثلاث مرات في القرآن الكريم : الاولى في سورة آل عمران وهي التي نتحدث عنها والثانية والثالثـة في سـورة الانفـال الايتين 52 و54 وقـد وردت مقرونة بقوم نوح ؛ في قوله تعالى في سورة غافر « مثل داب قوم نوح وعاد وثمـود والذين من بعدهم » الاية 31 .

5 ـ كلمة : « الا تعولـوا » الاية 3 من سورة النساء ومعناها بلغة جرهم تميلوا وهي من ذوات الواو اذ لا شك انها من عال يعول كقال يقول . وان كان ابن منظور اوردها في مادة عيل ، واستشهد ببيت ابـي طالب الذي يقول فيـه :

بميزان صـدق لا يغل شعيـرة
له شاهد مـن نفسه غير عائـل

لكان صاحب تاج اللغة وصحاح العربية اوردها في مادة عول واستشهد بنفس البيـت وعزز ذلـك ببيت آخر من الشعر ، يقول فيه صاحبه :

قالوا اتبعنا رسـول الله واطرحوا
قول الرسول وعالوا في الموازيـن

ويقول مجاهد في تفسيره لقوله تعالى : « ذلـك ادنـى الا تعولوا » لا تميلوا ولا تجوروا .

وقد روت عائشة ام المؤمنين رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلـم : « الا تعولوا : الا تجوروا » هذا هو مذهب جل محققينـا رضي اللـه عنهم .

اما الشافعي رحمه الله فقد راى شيئا آخـر اذ فسر « ان لا تعولوا » بـ : « ان لا تكثـر عيالكم » وجعله من عال عياله يعولهم عولا وعيالة اي قاتهـم وانفـق عليهم .

ولقد عشت ـ عفا الله عني ـ زمنا طويلا على ظن ان الامام الشافعي رضي الله عنه لم يصادف الصواب في تفسيره لهذه الكلمة حتى اطلعت على حجتيـن جعلتاني لا ارى عيبا فيما ذهب اليه : **اولاهما** قراءة طاوس رضي الله عنه وكان ينطق بها : « ان لا تعيلوا » **وثانيهمـا** تعليل الزمخشري رحمه الله لراي الامـام الشافعي رضي الله عنه حين قال «6» «ان الغـرض بالتزوج التوالد والتناسل بخلاف التسري ولذلـك جاز العزل عن السراري بغير اذنهن ، فكان التسـري مظنـة لقلة الولد بالاضافة الى التزوج لتزوج الواحدة بالاضافة الى تزوج الاربع » .

6 ـ لفظـة : «يغنـوا» الكائنـة في سـورة الاعراف الاية 92 والتي يقول فيها الحق سبحانـه وتعالى : « الذين كذبوا شعيبا كان لم يغنوا فيها الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين » ومعناها بلغـة

«3» والملاحظ ان الزمخشري الذي اعتمد ايضا على هذا الحديث ليفسر لفظة « خيرا» بالمال الكثير لـم يميـز العدد « سبعمائة » بأي نوع من المال . الكشاف الجزء الاول صفحـة 112 .

«4» «روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني » لشهاب الدين السيـد محمد الاوسي البغدادي الجزء الثاني صفحة 52 الطبعة الثانية بمصـر دون تعيين زمنهـا .

«5» الكشاف الجزء الثالث صفحـة 75 .

«6» الكشـاف الجـزء الاول صفحـة 245

جرهــم : « يتمتعوا » كمـا توجـد بنفس الصيغـة في الاية 68 من سورة هود وفي الاية 95 مـن الســورة نفسها . ولاشك ان لفظـة «تغـن» في الايـــة : « فجعلناها حصيدا كان لم تغن بالامس .. » الاية 24 من سورة يونس هي من نفس المادة ولها المعنى الذي تحدثنـا عنـه اعلاه .

7 ــ « اساطيـر » الكائنة في الاية 31 من سورة الانفال التي يقول فيها الحق سبحانـه : « واذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنـا مثل هذا ، ان هذا الا اساطير الاولين » .

يرى العلامة ابو القاسم بن سلام ان هذه المفردة من قبيلة جرهم ، وقد اعتمدنا على رايه فاثبتناهـا هنا وان كنا نشك شكا يكاد يكون قطعيـا انها من غير لغـة جرهم اصالة ، ولكنه من الجائز جدا انها دخلت هذه اللهجة في وقت مبكر وانها تسربت الى اللهجـات عن طريق لغة جرهم يوم كان افراد هذه القبيلـة يحكمون الحجاز كلها ابتداء من استلاء الحــارث ابن مضاض على مكة«7» الى ان طردتهم عنها خزاعة«8»

فمن اية لغة دخلت جرهم ؟

توحي النظرة الخاطفة على كتب المفسرين انهـا من لغة فارس ذلك ان جل مفسري هذه الاية الشريفة يثبتون ان قائل : « لو نشاء لقلنا مثل هذا » هــو النضر بن الحارث «9» وان كان بعضهم اضاف الـى من قتلوا صبرا يوم بدر مع النضر هذا ، عقبة بـن مطيع وطعيمة بن عدي «10» لكن الذي اثبــت بشكل قطعي ان النضر بن الحرث اخذته العزة بالاثم حين سماعه اقتصاص الله احاديث القرون الغابـرة في بيان ناصع وجمال لا يوصف ، فقال قولته المذكورة

هذا وقد سبق له ان زار بلاد فارس وحمـل معه نسخـة من حديث رستم واسفنديار «11» وبما ان هذه النسخة مكتوبة باللغة الفارسية ، وبمـا ان النضر بن الحارث كان « له اطلاع على كتب الفـرس وغيرها » وبما انه اول من غنى على العود بالحـان الفرس «12» فقد نتوهم ان لفظة «اساطير» فارسية اتت على لسان من تعود الحديث بها . لكن الامـر على عكس ذلك ، وسنوضحه بعد قليل .

بقي الان ان نشير الى ان النضـر بن الحـارث لاينسب الى قبيلة جرهم ، ولا الى اي بطـن منهـا ، وانما هو من عبد مناف ، من بني عبد الدار ، مـن قريش«13» . وهذه حجة اخرى على ان لفظـة اساطيـر خرجت عن نطاق قبيلة جرهم قبل نزول القرآن الكريم لان شيطان قريش «14» النضر بـن الحارث الذي هو من شجعان قريش ، ووجوهها نطق بها وهو منافي ولاشك انها انتشرت انتشارا واسعـا بمساعدة المشركين والمنافقيـن الذين ما كانوا ليتركوا الفرصة تمر دون ان يحاربوا صاحب الرسالة الطاهرة التي نغصت عليهم العيش ، وزلزلت الارض من تحت اقدامهم ، وسفهت آراءهم ، واهـانت اصنامهم ، واطاحت بعوائدهم وخرافاتهم .

كل هذا ــ سامحني الله ــ ولم اجب بعد عن السؤال الذي طرحته اعلاه . فمن اية لغة اذن ، هذه اللفظـة اساطيـر ؟ :

وابادر فاقول دون ان آتي بالمقدمات انها من اللغة اليونانيةوينطقونبها Istoriya وتكتب ἱστορία

وهي الحكاية . ونحن بكل صراحة ، نشعر ، حيـن نتصفح كتب اللغة من المطولات ، بانها في حيرة مــن امرهـا حين تريد شرح هذه اللفظة . فاسماعيل ابن

«7» انظر المسعودي الجزء الثالث من صفحة 99 الى103 من طبعة باريس والقلقشندي صفحة 178 .
«8» الاعلام لخير الدين الزركلي الجزء الثاني صفحة110 من الطبعـة الثانيـة .
«9» الكشـاف الجـزء الثاني صفحة 124
«10» انظر مثلا : « لباب النقول في اسباب النزول »لجلال الدين السيوطي طبعة القاهرة بدون تاريـخ بهامش « تفسير القرآن العظيم للامامـيـن الجليليـن محمد بن احمد المحلى وابي بكر السيوطي صفحـة 196 من الجـزء الاول .
«11» الكشاف نفس الجزء ونفس الصفحة : الجزءالثانـي صفحـة 124 .
«12» الاعلام لخير الدين الزركلي الجـزء الثامـن صفحـة 357 الطبعـة الثالثـة
«13» المصـدر السابـق نفس الصفحـة
«14» العبـارة لابن اسحـاق

حماد الجوهري مثلا ، اثبتها في مادة «سطر «15»» فالظن اذن ان الهمزة في اول الكلمة زائدة ، لانه يقول الواحدة اسطورة بالضم وثبتها تحت مادة سطر ، وكان عليه ، ان كانت الهمزة اصلية ، ان يثبتها في حرف الراء ، فصل الهمزة ، كما فعل المنجد في اللغة والاداب والعلوم «16» A. De Biberstein Kazimirski «17» وغيرهما كثير .

غير ان شيئا اتى به الجوهري يثير الانتباه ، ذلك انه قال (18) : « واسطارة بالكسر » فنحن حين نمزج بين الوجهين : اسطورة بضم الهمزة ، ومد الطاء بالضم مع « اسطارة » بكسر الهمزة ومد الطاء بالفتحة ، نجد اللفظة اليونانية وهي « اسطورة » بكسر الهمزة ومد الطاء بالضم ، وان كان هذا الوجه لم ينص عليه اي مصنف في اللغة ، وليس غريب ان ينعدم هذا الوجه ، ذلك ان اللغة العربية ، او بالاحرى الناطقين بها يحاربون مثل هذا النطق «اسطوره » بكسرة فسكون فضم ، ويسعون دائما الى ما يطلق عليه : L'harmonisation vocalique التجانس الصوتي ، والجناس الصوتي هنا ، هو ضم الهمزة والطاء معا ، وكسر الهمزة وفتح الطاء ليس من الجناس في شيء ، كسر الهمزة وضم الطاء ، وهذا هو سر ابتعادهم عن الاصل اليوناني ، اذ التعريب ، هو اخضاع اللفظة الاجنبية الى قاموس اللغة العربية واشتقاقاتها . وواضح انهم لم يقولوا في جمعها اساطير ، بفتح الهمزة ، ومد السين بالفتح ، ومد الطاء بالكسر ، الا ان قواعد اللغة العربية الاصيلة تطلب ذلك ، ولا تعوز الامثلة من ارادها .

8 — لفظة « شرد » الاية 57 من سورة الانفال ، ومعناها بلغة جرهم « نكل » وهي عند جمهور القراء بدال مهملة اما ابن مسعود رضي الله عنه فقد قراها «فشرذ» «19» بذال معجمة ومعناها فرق باللغة العربية . وهي قوله تعالى : « فاما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون » .

9 — لفظة « تحسبن » الاية 59 من سورة الانفال — هي قريشية حين يكسر سينها لكنها من لهجة جرهم حين يفتح سينها ومعناها واضح . وقد تكررت في القرآن مرارا . واختلف كثيرا في قراءتها فابن مسعود «20» رضي الله عنه يقراها : « لا يحسب الذين كفروا انهم سبقوا » كما يقراها « لا يحسب الذين كفروا انهم سبقوا » يقراها بالياء وبفتح السين « لايحسبن الذين كفروا انهم سبقوا » يقراها بالياء وبفتح السين معا . كما يقراها الربيع بن خطيم (21) «يحسب ، ويحسبن» بالياء وبالفتح فيهما معا ، اما الاعمش (22) فيقراها على الشكل الاتي: «يحسب» بالياء وبكسر الباء. واضاف الزمخشري(23) معللا ذلك : « .. وبفتحها على حذف النون الخفيفة. كما قراها الاعمش ايضا «يحسبن» بالياء وبفتح السين .

10 — لفظة « اراذلنا » الاية 28 من سورة هود التي يقول الحق سبحانه وتعالى فيها « فقال الملا الذين كفروا من قومه ما نراك الا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا بادي الراي وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين .»

11 — مفردة « عصيب » الاية 77 من سورة هود ، ومعناها بلغة جرهم شديد .

«15» الصحاح الجزء الثاني صفحة 284

«16» المطبعة الكاثوليكية بيروت سنة 1956 .

«17» الجزء الاول طبعة 1960 .

«18» الصحاح نفس الجزء ونفس الصفحة

«19» الكشاف صفحة 132 من الجزء الثاني و Arthur Jeffery في كتابه Materiels for the history of the text of the Qur'ân طبعة Leiden 1937 صفحة 44

«20» A. Jeffery نفس المرجع ونفس الصفحة اعلاه . وان كان الزمخشري لم يوضح بالضبط قراءة ابن مسعود في كشافه .

«21» A. Jeffery صفحة 289

«22» المرجع السابق صفحة 318 .

«23» الكشاف الجزء الثاني صفحة 132

12 ــ «مقطوع» في قوله تعالى : « وقضينا اليه الامــر ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين » الايـة 66 من سورة الحجر ومعناها مستأصل .

13 ــ لفظة « محسورا » في قوله تعالى : « ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كـل البسط فتقعد ملوما محسـورا » الاية 29 من سورة الاسراء . ومعناها بلغـة جرهم المنقطع .

وفي الاية الشريفـة حكمة بالغة لا تخفى على احد ، والعمل الذي قام به الرسول العربي العظيـم صلوات الله وسلامه عليـه ، والذي كان سببـــا في نزول هذه الاية لا يستطيـع اي مخلوق القيـام به ، وصلت الرحمة به ما وصلت وبلغ الحنـان به ما بلغ .

14 ــ كلمتـا « حدب ينسلون » في الايـة 96 من سورة الانبياء . اما لفظة «حدب» فمعناهـــا بلغة جرهم جانب ، واما « ينسلون» فمعناها بهـذه اللغـة «يخرجون» .

يفسر الزمخشري « حدب » بقولـــه «24» « النشز من الارض » وهي في الصحاح «ما ارتفع من الارض ، والجمع الحداب ثم يورد الاية الشريفـة اعلاه ، واعتقد ان معنى الاية الشريفة الاجمالـــي يستقيـم لما للفظة من معنى في لغة جرهم ، وهـــو المعنى المعروف الان في العبارة « من كل حدب وصوب»

قرا ابن عباس رضي الله عنه « من كل حـدب ينسلون » من كل جدث ينسلون «25» وعلـــق الزمخشري على هذه القراءة بقوله «26» «.. وهـو القبر الثاء حجازيـة والفاء تميمية » .

ولا ادري فائدة هذا التعليق لانني ، لم اعثـر حتى الان على قارىء قرا حدب « حدف : بالفـاء وقراها جدث ايضا ابن مسعود «27» رحمه اللـــه ومجاهد «28» والجحدري «29» .

15 ــ مفردة « الودق » المذكورة مرتيـن في القرآن ، مرة في سورة النور الاية 43 وهي « الم تـر ان الله يزجي سحابا ثم يؤلف بينهثم يجعله ركاما فترى الودق يخـرج من خـلالـه . وينزل من السماء مـن جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء يكاد سنـا برقه يذهب بالابصار » ومن ثانية في سورة الروم الايـة 48 وهي : « الله الـذي يرسل الرياح فتثيـر سحابا فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كـسفـا فترى الودق يخرج من خلاله ، فاذا اصاب بـه من يشاء من عباده اذا هـم يستبشرون » ومعنى الودق بلغة جرهم المطـر .

16 ــ مفـردة « شرذمة » في الاية 54 مـن سورة الشعراء : « ان هؤلاء لشرذمة قليلون » ومعناها بلغة جرهم عصابة . ولاشك انها العصابة القليلـــة العدد ، الحقيرة الذليلة وقد نص الحق سبحانه وتعالى على ذلك حين وصفها بـ : « قليلون » فجعل الشرذمة احزابا قليلة العدد والله اعلـم .

17 ــ لفظـة : « ريع » في الاية 128 مـــن سورة الشعراء : « اتبنون بكل ريع آيـــة تعبثـون » ومعناها بلغة جرهم الطريق ، ولاشك انه صار يختص بالمكان المرتفع من الطريق بعد ان خرج من قبيلـــة جرهم وعم استعماله في سائـر القبائل . ولقـــــد استعمله بهذا المعنى الاخيـر الشاعـر المسيب بـن علـس وهو من ربيعـة ابـن نزار بطن ينسب الـى عدنان ، بينما جرهم من قحطان قال هذا الشاعر :

ففي الال يرفعها ويخفضها ❋ ريع يلوح كأنـه سحل

وفي هذا دليل على ان المفردة عـم استعمالهـــا في قبائل العرب قبل ان ينزل القرآن الكريـــم .

والجدير بالذكر ان هذه المفردة ذكرت في كتاب الله العزيز مـرة واحــدة .

18 ــ لفظة «الشوب» في قوله تعالى : «ثم ان لهم عليها لشوبا من حميم » الاية 68 من ســـورة الصافات . ومعناها بهذه اللغة المرج . ومن القراء مـن يقرؤها بضم الشين ، ولم يذكر القرآن هـذه المفـردة الا مـرة واحـدة .

«24» الكشاف الجزء الثالث صفحـة 21
«25» صفحة 108 من الجزء الاول
«26» نفس المرجع ونفس الصفحـة اعـلاه
«27» A. Jeffery والكشاف الصفحـة المذكورةاعـــلاه
«28» A. Jeffery صفحـة 62
«29» نفـس المصـدر صفحـة 201

19 ـ مفردة « القطر » المذكورة مرتين فى القرآن مرة فى سورة سبأ الاية 12 « ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر واسلنا له عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه ومن يزغ منهم عن امرنا نذقه من عذاب السعير » والثانية في سورة الكهف الاية 96 « آتوني زبر الحديد حتى اذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى اذا جعله نارا قال آتوني افرغ عليه قطرا » ومعنى القطر بلغة جرهم النحاس .

20 ـ كلمة « جبار » الاية 45 من سوره«ق» « نحن اعلم بما يقولون وما انت عليهم بجبار ، فذكر بالقرآن من يخاف وعيد » ومعناها فى هذه الاية مسلط بلغة جرهم .

21 ـ لفظة « الانام » الكائنة فى الاية 10 من سورة الرحمان ومعناها بلغة جرهم الخلق وقد وردت مرة واحدة فى القرآن الكريم .

22 ـ مفردة « استغشوا » فى الاية 7 «واني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا اصابعهم فى آذانهم واستغشوا ثيابهم واصروا واستكبروا استكبارا» سورة نوح ، ومعناها بلغة جرهم «تغطوا» وهي مفردة ذكرت مرارا فى القرآن الكريم .

هذه هي الفاظ لغة جرهم الواردة فى كتاب الله العزيز ، ارجو ان اكون قد وفقت فى احصائها وتبيانها للناس ، وعسى ان يزودني السادة الفضلاء الذين لاحظوا اخلالا فى التفسير او تقصيرا في التوضيح بنصائحهم ولهم الشكر الجزيل .

واني لا ادعي انه لا يوجد فى القرآن الكريم من الالفاظ الجرهمية، اذا صح هذا التعبير ، الا هذه ، فهذا امر لا يمكن ان يخطر على بال عاقل ، وانما اريد ان اقول ان حجة تكاد تكون قطعية توجد بين ايدينا، على ان هذه الالفاظ جرهمية قبل كل شيء . ولا ادعي ، وما كنت لاستطيع ، انني هكذا اقول الكلمة الاخيرة فى هذا الموضوع ، وانما ارجو ان اكون ، بكل تواضع ، وضعت لبنة صغيرة فى عمل آمل ان يكون شامخا ، راسيا على قواعد متينة تتضافر على تشييده جهود علمائنا المخلصين .

والاهتمام باللهجات العربية سواء الواردة فى القرآن او فى غيره شيء ضروري ، وقد حان الوقت لتوجيه الهمم اليه ، فعسى الله ان يعين على ذلك .

اكادير ـ الراجي التهامي الهاشمي



اطلعت في العـدد السادس والسابـع من مجلـة (دعوة الحـق) على مقال قيـم كتبـه الاستـاذ محمد ابن عبد العزيـز الدباغ حـول موضـوع ـ الطـلاق لا يحتاج الى حكم ـ وقد اعجبت بالكاتب وبالطريقة التي يحاول ان يبرر بها اراءه والاصطباغ العلمي الذي يحاول ان يضفيه على موضوعه ، كما اني اشكر المجلة (دعوة الحق) على عنايتها الكبرى بالبحوث التـي تتناول شؤون الاسـلام وقضاياه والحلول التـي يراد اعطاؤها لكثير من مشاكله ولكن وجهـة النظر التي ابداهـا الاسـتاذ فـي مقالـه ارغـب فـي مناقشتهـا وانتقادها لاني ارى غيرها يمكن ان يحل محلها وارى انها وجهة شديدة ، ولكن يمكن الاستعاضـة عنها سواها خاصة واننا نعيش في ظروف خاصة ، كما ان الضرورات الاجتماعية تدعو الى ذلك حيث اصبح التدهور الاجتماعي يسود واصبح الرجال لا يقدرون المسؤولية الملقاة على عاتقهم والامانة الموضوعة في عنقهم ، فاذا بهم يخونونها ويركبون رؤوسهم فيقوضون معالم الاسرة بانهاء رابطة الزواج فيسيئون الى الزوجة والى الابناء والى المجتمع الذي سيكون ملزما بتحمل عبثهم ، ويا للهول فيما اذا اصبحوا اشرارا ولهذا الا يكون اعدل واصوب ان يكون الطلاق بصفة مبداية بيد القاضـي . هذا هو الموضوع الذي اريد علاجه

الحكمـة مـن الـزواج :

ان اجتماع الذكر بالانثى اول صورة للاجتماع الانساني ، وازدواجهما هو الذي ولد الاسرة التي تعتبر النواة الاولى فى المجتمع البشري وهي المرآة التـي تعكس رقي الامة وتطورها او تاخرها وتدهورها فبقدر ما ترقى الاسرة ترقى الامة وبقدر ما تتاخـر الاسـرة تتاخر الامة .

والاسرة نشات عن تنظيم اتصال الذكر بالانثـى وذلك حتى لا يظل الاتصال فوضى تحكمه قوة الطبيعة العمياء فتكون المراة لمن استطاع ان يستاثر بها ، وقد لا تكون لواحد وانما تكون لكثيرين اذا استطاعت ان تحرك غرائزهم واستطاعوا ان يستاثروا بها ، وفي هذه الحالة اذا كانت لكل واحد فانها لن تكون لواحد معين وبذا لن تشعر بان لها حقوقا معينة نحو رجـل معين ، والرجل لن يشعر بان له حقوقا معينة نحو امراة معينة ، وعليه لن يجد الرجل البيت الذي ياويه والذي ينسيه عناء العمل واتعاب الحياة ومشاكلها المعقدة ويراد ملاذه الطبيعي فيه زوجة يحن اليها ويرى فيها من يبثه اسراره واحزانه . والمراة بدورها لن تجد الرجل الذي تبثه جميع اقراحها وافراحها ، من يحميها ويرعاها ويكلؤها خصوصا وانها تشعر بقلق واضطراب عند ما تكون وحيدة منعزلة تنتظره بفارغ الصبر وبكل ما اوتيت من قوة

والمراة ولود تنجب الابناء ، واذا لم توجد علاقة بقصد الديمومة والثبـات قائمـة على الرضا المتبـادل والعطف الدائم فان الابناء يشبون ويترعرعون دون ان يعرفوا حنان الاباء ولا عطف الامهات ، تتقاذفهم الايدي من هنا الى هناك يشبون وقد تعودوا حياة الشر وعرفوا الجريمة وعاشوها وقد يصعب على المجتمع ان يتحملهم لانه لم تتحملهـم اسرتهـم في طفولتهم يـوم ان كان

بالامكان توجيههم توجيها صالحا ، والنتيجة هي انهم لن يحملوا للعالم غير البغض ، ولن يكونوا مصدر خيره ونفعه ، بل مصدر شره وقلقه واضطرابه ، بخلاف ما اذا كان النتاج وليد رابطة مستمرة قائمة على اسس خلقية متينة فان الابناء سيكونون امتدادا لابائهم ويشعر الاباء بانهم حتى وان كانوا لا يستطيعون ان يقهروا الموت وان يعيشوا دوماباشخاصهم فانهم سيعيشون ممثلين في ابنائهم اذ يحملون ذكراهم ، وبهذه الحلة يستطيع الناس ان يعمروا طويلا رغم ان الموت نهاية كل حي فيلبوا بذلك نداء الحياة ، وان الانسان عبيد الحياة الراغب فيها الطامع في الازدياد ، وبذا سنحافظ على استمرارية النوع الانساني

والزواج يشعر الزوج بغيرته وانه يعيش لغيره لا لنفسه ويزيل عنه الانانية وحب الذات ويعلمه ان يعيش للغير وبالغير فيعيش لزوجته وابنائه.

هذه هي الاهداف السامية من الزواج ، ولكن لن يتاتى له ان يؤدي رسالته ويبلغ مقاصده الا اذا كان دائما مستمرا ، لا يقصد توقيته بمدة معينة من الزمن او جعل اسباب انفصال الرابطة كثيرة ومتعددة ، وفي نفس الوقت ، واهمية ذلك انه اذا كان المثل الاعلى هو بقاء الرابطة مستمرة فانه قد تحدث ظروف قاهرة تدعو الى ذلك ، ولهذا لا يمكن المنع من انفصام الرابطة بصفة نهائية لان ذلك قد يؤدي الى قلب الاهداف السامية من الزواج ويجعل الحياة الزوجية جحيما لا يطاق ويهون على الزوجين ان يتحملا حياة الاسر ولا يتحملانها ، وقد قال « بنتام » في كتابه (اصول الشرائع) حقا ان الزواج الابدي هو الاليق بالانسان والملائم لحاجاته والاوفق لاحوال الاسرة والاولى بالاخذ ولكن ان اشترطت المراة على الرجل الا تنفصل عنه حتى لو حلت في قلوبهما الكراهية الشديدة مكان الحب لكان ذلك منكرا لا يستسفيه احد من الناس على ان هذا الشرط موجود دون ان تطلبه المرأة اذ ان القانون الكنسي يتحكم فيه فيتدخل بين المتعاقدين في حالة التعاقد ، ويقول لهما انتما تقترنان لتكونا سعيدين فلتعلما انكما ستدخلان سجنا سيحكم اغلاق بابه،ولن اسمح بخروجكما وان تقاتلتما بسلاح العداوة والبغضاء ، ثم يعلق « ولو كان الموت وحده هو المخلص من زواج هذا شانه لتنوعت صنوف القتل واتسعت مذاهبه » .

الفكرة الاساسية من الطلاق :

اذا اكتفت الاهداف السامية من الزواج فلم تتات المساكنة ولم يمكن تنشئة الابناء تنشئة حسنة واصبحت الحياة الزوجية جحيما لا يطاق وانفصال الرابطة اهون من اتصالها او كانت المراة عقيما والرجل يرغب في ان ينجب ابناء ولا يريد ان يضحي من اجل زوجته الاولى فيتزوج ثانية ويتركها في البيت ، او ان القانون يمنعه من الزواج باكثر من واحدة او موارده الاقتصادية لا تكفي الزوجتين ، او كانت المراة مريضة ولا يتاتى لها ان تنهض باعباء الزوجية ، والرجل لا يمكنه لعامل من العوامل ان يبقيها ، في مثل هذه الظروف يجوز انهاء رابطة الزواج بالطلاق ولكنه يظل مبدا استثنائيا وحدثا غير عادي ودواء لا يعطيه الطبيب الا عند ما يكون المريض بحاجة اليه فهو الحل الذي يعد بمثابة الحرب في الميدان الدولي

الطلاق في الاسلام :

جاء الاسلام وقلب المجتمع العربي راسا على عقب وتدخل في الحياة العربي الذي كان مزواجا مطلقا وكان يطلق المراة متى شاء وكلما كادت عدتها من ان تنتهي الا واعادها الى بيت الزوجية ثم يطلقها ثم يعيدها وهكذا دواليك حتى تصبح كالمعلقة لا هي بالزوجة ولا هي بالمطلقة وهذا معناه استعباد لها واملاء لحياة يسودها الاضطراب بالنسبة للابناء ولا تعرف الاستمرار والاستقرار ولكن الاسلام قضى على حيوانية العربي وانانيته فهو يبيح الطلاق ولكن يجعله حلالا استثنائيا ولا يلجا اليه الا عند الضرورة وليس معناه انه وقف في منتصف الطريق فلم يحرم الطلاق ، بل معناه الاعتراف بمشاكل الحياة وما يمكن ان يوجد من كراهية ونفور وعقم او مرض او عيب من عيوب الزوجية ، وقد اقر الاسلام الطلاق ولكن جعله ابغض الحلال الى الله ، وقال الرسول تزوجوا ولا تطلقوا فان الطلاق يهتز له عرش الرحمان ، والنبي لا يجوز الا في طهر لم يمس فيه الزوج زوجته ذلك ان المراة اثناء الحيض تكون في

حالة اضطراب نفسي وقلق فكري وتكون نفس الزوج راغبة عنها ولهذا فهو يرغب في التخلص منها ، فاذا ما طهرت جاز له ان يطلقها شريطة الا يقربها جنسيا لانه ان طلقها في هذا الظرف دل ذلك على نفور نفسه منها وانه غير راغب فيها بالمرة ، اما ان اقترب منها جنسيا فانه لا يجوز له ان يطلقها الا في طهر ءاخر وهذا يبعد الطلاق اذ انه قد يتوب الى رشده وتزول النزوة ، وينتهي الدافع ثم ان الطلاق لا يكون بصفة مبدائية الا رجعيا والطلاق الرجعي يعطي الحق للزوج في ان يعيد زوجته الى بيت الزوجية دون اذنها ولا رضاها ولا عقد جديد ولا مهر جديد ، وكل هذا خلال فترة معينة هي مرحلة العدة ، ومعنى هذا ان العدة ما هي الا مرحلة تدبر وتامل فيما ال اليه امرهما وانه بعد مرور هذه الفترة لن تاتي عودة المياه الى مجاريها الا باجراءات قد تكون معقدة .

والاسلام يهدف من كل هذا تضييق دائرة الطلاق وذلك لانه يهدف تكوين اسرة سليمة قوامها المحبة وسداها الوفاق ولم يمنعه كما منعته بعض الشرائع وان كانت قد وضعت مكانه الانفصال البدني ولم يجعله يوقع لاسباب تافهة كما فعلت بعض ولايات امريكا الشمالية مما يجعل الاسرة هزءا وسخرية

الانفصـــــال البدنـــي :

كثير من الشعوب الغربية التي تحرم الطلاق ولا تبيحه وترى ان ما يجمعه الله في السماء لا يفرقه الانسان في الارض ، ومن تزوج بمطلقة اخيه فقد زنا ، ومن ذلك الكنيسة الكاتوليكية اما الارتودكس والبروتستانت فهما يبيحان الطلاق في حالات معينة ولكن يمنعان المراة والرجل بعد ذلك من ان يتزوجا ومن الدول التي تحرم الطلاق بالمرة ايطاليا واسبانيا ، اما فرنسا فقد اجازته مدونة نابليون سنة 1804 واعادت اجازته سنة 1884 ، والدول التي لا تجيزه تجيز ما يسمى بالانفصال البدني فما هو الانفصال البدني ؟ وما هي آثاره ؟ وهل يمكن ان يقوم مقام الطلاق وهل الطلاق حقيقة بالنسبة للانفصال البدني شيئا ليست له قيمة .

ان الانفصال البدني معناه ان ينفصل الزوج عن زوجته وان لا يقربها جنسيا ومعناه انها تظل زوجة له ويظل زوجا لها وتظل كذلك حاملة لاسمه وام اولاده وتربيتهم وغالبا ما يكون عقابا لها فيما اذا زنت ، وذلك حتى لا تتمادى في غيها ولكن هل هذا النظام صالح وهل يستجيب مع الاهداف التي وضع من اجلها ، انه نظام لا يتفق مع المشروعية والقانون والاخلاق ، فالزوجة التي تزني ويكون عقابها انفصال الزوج عنها فهل هذا كاف لتربيتها ، اليس هذا يسيء الى زوجها حيث تظل حاملة لاسمه ولقبه الا يسيء هذا الى تربية ابنائها حيث انها تظل مربية لهم ، ايمكن ان يكون هذا رادعا لها ام موديها الى غلوها الامر الذي يؤدي بها الى ان تصبح العهارة معتادة لها ، فما ذنب هؤلاء الابناء وما ذنب الزوج ثم ان هذا لا نبيح له ان يتزوج لان الزوجة المنفصلة لا تزال زوجته وهو ان تزوج يعد مرتكبا لجريمة التعدد ، الا يكون هذا داعيا الى ان يفسق ويفجر ، فما هو الهدف الاساسي من القانون، انه هو تحقيق الخير العام وسعادة الافراد ولا اعتقد ان نظاما يحرم الطلاق ويقيم على انقاضه ما يسمى بالانفصال البدني ، يمكن ان نجد فيه ما يجعلنا نعتقد انه يحقق الصالح العام الا يكون نظام الطلاق اجدى وانفع في ظروف تستحيل معها العشرة بحيث تصبح الاسرة جحيما لا يطاق وتصبح الحياة الزوجية وبالا على الزوج والزوجة والابناء ، الا ينبغي ان نلتجيء الى القضاء في ظروف قاهرة لينهي رابطة الزواج .

من بيــــده الطـــلاق :

يرى البعض ان الطلاق لا يمكن ان يكون بيد المراة ، وانما ينبغي ان يكون بيد الرجل وذلك للاسباب الاتية :

1) ان الرجل يحكم عقله فيما يصدر عنه من عمل فهو لا يصدر امره الا بعد روية وتفكير وهو يتردد كثيرا قبل الاقدام عليه ويخشى عواقبه ولهذا فهو ان قدم رجله مرة فانه يؤخرها الف مرة ويخاف وعيد الله ويتقي شره وايمانه اكثر من ايمان المراة

بخلاف ما لو ملكت المراة امر الطلاق وهي التي تهيمن عليها اهواوءها ونزواتها وتسيطر عليها عواطفها وتحت تاثير النزوات العارمة يمكن ان تطلق فاذا بها تقوض البيت العائلي وتصيب المجتمع بالثبور والهلاك وهي ضعيفة الدين لا تخشى عقاب الله ولا وعيده غالبا .

2) ان الزوج في الاسلام هو الذي يصدق المراة وهو الذي ينفق كثيرا في سبيل الزواج وما يعطيه الزوج لزوجته من صداق يكون ملكا خالصا لها وتستحقه كله بمجرد الدخول ، وعليه فهي اذا ملكت طلاق نفسها بنفسها بصورة مبداية وبصفة مطلقة لامكنها ان تتزوج كل يوم وان تطلق كل يوم ولا تثرت على حساب الغير ثم ان الزوج بالاضافة الى هذا سيكون ملزما باداء ما بقي من صداق موجل اذ ان الموجل يصبح معجلا بالطلاق بالاضافة الى هذا فان الزوج يجب عليه ان يمتع زوجته المطلقة ثم ان الزوج تدعوه اجتماعيته وضرورة حفظ النسل وايجاد الانس الى ان يتزوج .

هذه هي حجج من يرون ان الطلاق ينبغي ان يظل بيد الزوج ولا ينبغي ان يكون بيد المراة ونحن لا ندعو الى ان يصبح الطلاف بيد المراة وانما ندعو الى فكرة اخرى وان كان ما يدلي به انصار فكرة ان الطلاق ينبغي ان يظل بيد الزوج ليست فكرة بعيدة عن النقد فكثير من الرجال من تغلب عليهم العواطف وكثير هم الرجال الذين تهيمن عليهم نزواتهم وشهواتهم فيطلقون لاتفه الاسباب واوهاها وليست المراة دائما تحكم عواطفها وشهواتها بل كثير منهن يحكمن العقل ويسيطر على اعمالهن المنطق والمعقولية ويتحملن موءوليتهن بعزم وثبات وقد يتدبرن كثيرا في امر الطلاق اكثر من الرجال خصوصا اذا علمنا بانه توجد وجهة نظر علمية في امريكا ترى بان المراة احدق واقوى من الرجل وترى ان الرجل يجهل هذه الحقيقة لغروره العام وجهله الفاضح ونحن وان كنا لا نتفق مع وجهة النظر القائلة بان المراة اقوى من الرجل واقدر منه لان هذه في اعتقادي ليست الا رد فعل لما حدث في اوربا اجيالا واجيالا من ازدراء المراة واحتقارها ، ومن اعتبارها رجسا من عمل الشيطان يجب اجتنابها وان الرجل اذا خرج صباحا ووجد في طريقه امراة فان اليوم سيكون يوم شوءم ، اما نحن الذين عرفنا مبادىء الاسلام واشبعنا بقيمه فقد احترمت المراة عندنا وقدرت واعتبرت ، لها كرامتها ونتيجة لهذا لسنا بحاجة الى رد الفعل هذا وانما نومن بالمساواة ، ولهذا فانني في فكرة الطلاق اذهب الى ضرورة ان تصبح بيد القضاء ولا ينبغي ان يكون الابناء على حكم

الطلاق لايكون الا بحكم القضاء :

اني اذ ادعو الى ان يصبح الطلاق بيد القاضي بصفة مبدئية لا ادعو الى مبدا غريب عن الاسلام ذلك ان التطليق للغيبة والتطليق للضرر ولعدم النفقة والايلاء والهجر لا يكون الابناء على حكم القضاء كما ان المراة يجوز **لها** ان تطلق نفسها بنفسها فيما اذا ملكت هذا الامر وان كانت تستمد هذا الحق من زوجها ، اذن ، الا يجوز ان نقيس على حالات التطليق حالات الطلاق التي يملك الزوج فيها هذا الحق ؟!

ثم ليس غريبا عن الاسلام اذ ان الاسلام ياخذ بمبدا لا ضرر ولا ضرار وان الصالح العام يقدم على الصالح الخاص وان الضرورات تبيح المحظورات وان الحكم يدور مع العلة وجودا وعدما ويومن بضرورة النفاذ الى اعماق النصوص وادراك معانيها واغراضها البعيدة ويعطي حرية واسعة للمفسر ويقدم الجماعية على الفردية .

الم يمنع عمر بن الخطاب الموءلفة قلوبهم من حقهم في الزكاة ، وقال لهم كان الرسول يعطيكم ليتالف قلوبكم ، اما اليوم فقد اعز الله الاسلام ، فانا لا نعطي على الاسلام شيئا ، فعمر كان يومن بانه يشترط لتطبيق تمكين المولفة قلوبهم من حقهم في الزكاة ان يكون المسلمون في حالة ضعف .

ان عمر لم يقطع يد السارق الذي سرق في عام المجاعة لانه كان يعلم انهم ما كانوا يسرقون الا اضطرارا .

ان عمر منع المسلمين من الزواج بالكتابيات مع ان الاسلام يجيز ذلك والسبب ان عمر راى ان الكتابيات

شاعت بينهن الفاحشة وهو لم يكن يريد ان يشيد الاسرة على اسس غير سليمة .

هذه بعض الاجتهادات او بعض السوابق تعطينا المثل وتنير امامنا الطريق وتقوي فينا العزم وانا لا ادعو هنا الى بدعة عند ما ادعو الى ان يصبح الطلاق بصفة مبدئية بيد القاضي، فالضرورات الاجتماعية الملحقة هي التي تدعو الى ذلك

اليست الاسرة هي عماد كل امة .

اليست هي اللبنة الاولى في بناء كل مجتمع سليم
اليست الاسرة هي المرآة الناصعة التي تعكس رقي امة وتطورها وتاخرها وانحطاطها

اليست الاسرة هي المدرسة الاولى للطفل وفيها يقضي الكثير من اوقاته فتطبعه بطابعها خيرا او شرا وليس بالامكان تكوين اسرة سليمة واعية متحملة لمسؤولياتها الا بضمان الاستقرار والثبات والاستمرار وهذا لا يتاتى الا اذا اصبح الطلاق بيد القاضي ونزع عن الزوج الذي كثيرا ما يسيء استعمالها فيملي البؤس والشقاء للابناء والياس للمراة ويجعل من المراة العوبة ، ومن الابناء مجرمين خطرين يقلقون راحة الناس . ان ضمانة الابناء الكبرى تتجلى في بقاء رابطة الزواج مستمرة ، وعدم السماح لانانية الرجل بان تتحكم وعدم الاملاء للمبادىء الفردية بان تسيطر وان ضمانة المراة في حياة سعيدة لا تبدو في جعل هذه المؤسسة بيد الرجل اذ ان هذا لن يطمئن المراة على مستقبلها وسيجعلها تنظر الى المستقبل بريبة وقلق ويزداد قلقها كلما سمعت لحوادث الطلاق بل قد ينقلب قلقها الى تشاؤم وكل هذا ناتج عن تلك السلطة التي يملكها الرجل خصوصا وان حوادث الطلاق كثيرة في مجتمعنا ، فما اكثر ما يوقع الطلاق على الزوجة فتصبح عالة هي والابناء على المجتمع وما اكثر ما تطلق المراة بعد ان تكون قد فقدت زهرة شبابها وفترة احلامها وامانيها وبعد ان اصبح شبح الشيخوخة يكشر عليها انيابه هذا مع مراعاة ان البيئة الشرقية كثيرا ما يسرع فيها الهرم الى النساء في سن مبكرة وذلك لاهمالهن القيام بشؤون انفسهن بعد حصولهن على زوج في حين ان الرجل يظل مالكا لحريته في ان يبقيها وياتي باخرى ويطلقها ويتزوج غيرها . ولهذا فان الاصلاح للازمة الاجتماعية التي نعيشها لا يكون الا بجعل المؤسسة بيد القضاء ولكن خصوم ان يكون الطلاق بيد القاضي ومنهم الاستاذ الدباغ فهم يرون ان المشاكل العائلية يجب ان تظل حبيسة العائلة ، ولا ينبغي ان تصل الى القضاء خصوصا وان شقة الخلاف قد تزداد واسباب الخصام قد تشتد وتعنف وهذا ما يعرقل عودة المياه الى مجاريها او قد تكون الاسباب واهية لن يحكم القضاء بناء عليها بالطلاق فيعمد الراغب في الطلاق الى اختلاق اسباب كاذبة يوحي بصحتها لتؤدي الى الطلاق ثم ان الطلاق يكون شرا لا بد منه وخيرا مما عداه عند ما يرى الزوج زوجته تقع في هوة في حياتها الخلقية فاذا به يطوي قلبه بين اضلعه ويكتفي بالطلاق ساكتا صامتا عن حدث جلل لا يريد ابداءه لانه عاصفة ستقوض الكثيرين وتعلن اسرارا دفينة . ولكنها كلها لا تقف امام ضرورة الحفاظ على وحدة الاسرة تحقيقا لاجتماعية الاسلام وحفاظا على مصلحة الابناء ورعاية للمراة وحدا من انانية بعض الرجال وفي نفس الوقت فانها لا تقف امام النقد

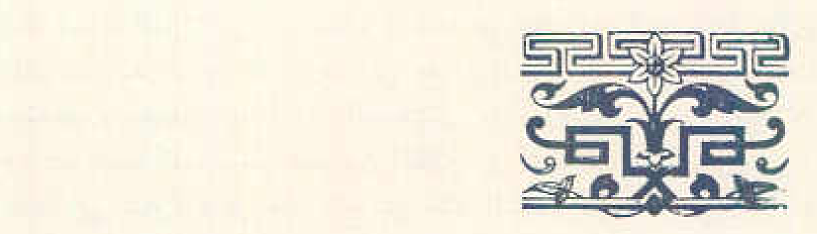
فالقاضي يمثل الصالح العام ويحمي الاهداف الجماعية واليه يعود الناس ليحل نزعاتهم وخصوماتهم وليست هناك ضرورة تدعو الى استثناء الطلاق بدعوى ان اسرار البيت العائلي يجب ان تظل حبيسة البيت العائلي اليس القاضي يفصل في عيوب الزوجية ويكون الطلاق بناء على حكم ، اليست عيوب الزوجية من اخطر ما يتعلق بالاسرة وربما تكون لها تعقيدات نفسية في بعض الظروف ، اذن نبيح للقاضي ان ينظر في عيوب الزوجية ولا نبيح له ان ينظر فيما يملكه الزوج من طلاق ، فما الفرق بين هذه وتلك ، ثم ما هو راي الاستاذ الجليل في اللعان والزنا ، اليس الامر فيهما مفوضا الى القاضي اليس الزوج في امرهما لا يطوي نفسه على سره ، ثم اليس التطليق للضرر يكون بعد الاثبات فاذا لم يستطع الاثبات يرسل القاضي حكما من اهله وحكما من اهلها ليتفهما اسباب الخلاف ويصلحا ذات البين انى وجدا السبيل الى ذلك فاذا كان على الحكمين ان يصلحا ذات البين الا ينبغي ان يتحمله ايضا القضاء ثم اليس اصلاح ذات البين بين المسلمين واجب فمن باب اولى فيما بين الزوجين ومن لدن من يملك الفصل بين الناس وهو القضاء ثم انه اذا كان من اللازم الحفاظ على اسرار

العائلة فيمكن ان تعقد المحكمة جلسة سرية تمنع من نشر مناقشاتها وسائل النشر من جرائد ومجلات واذاعة وتلفزة ولا يحضرها الجمهور .

اما القول بان الاسباب قد تكون واهية لا يمكن ان تبرر الطلاق فاذا بالراغب من الزوجين في الطلاق يختلق اسبابا كاذبة مبرراتها الطلاق ، فاقل ما يقال عنه انه قول متهافت اذ انه اذا اريد الوقاية من اختلاق الاخبار الكاذبة فيجب اغلاق المحاكم بالمرة لانه كثيرا ما تروج امامها الاكاذيب والاراجيف ولكن القضاء الذكي والمثقف هو الذي لا يسمح بان يدس سمعه بما لا يليق ثم ان عقد الزواج يقوم على اساس التراضي ورضى الزوجة بالزواج ضروري ، ولذا فما دام هذا العقد وليد تراضي ارادتين فلا يعقل ان تتولى الارادة الفردية انهاء ارادة الزوج وما دام الزوج والزوجة بارتباطهما يلزمان بالتزامات معينة يحددها الشارع ويوكل امر تطبيقها الى القضاء عند الخلاف في شأنها فكذلك الطلاق فهو منظم من الشارع لكن امر تطبيقه يجب ان يوكل الى القضاء .

وان وضع الطلاق بيد القضاء هو ما ذهب اليه المعتزلة قديما فهم لا يجيزون وقوع الطلاق الا بتحكيم القاضي الشرعي العادل وما ذهب اليه المعتزلة قديما هو ما ذهبت اليه تونس حديثا في مجلتها ، والرجاء ان يهتم من يهمهم امر التشريع في بلادنا فيضعوا المؤسسة بيد القاضي ، وليس ذلك على هممهم بعزيز ، فالمدونة الحالية تغلبت على ما كان يسود مجتمعنا المغربي من تقاليد بالية ، فهي جعلت الطلاق المقترن بعدد لفظا او كتابة لا يقع الا واحدا ، في حين انه قبل ذلك كان يقع ثلاثا ، كما انها لم تبح الطلاق المعلق على فعل شيء وتركه وجعلت طلاق المكره والسكران غير جائزين ولم تبح ان يستغلوا قصور من هن تحت ولايتهن فيزوجوهن بمن لا يلتقين بهن ، فالمدونة التي خطت هذه الخطوات الجبارة لا يمكنها ان تقبل ان يظل الطلاق بيد الزوج

الرباط ـ عبد النبي ميكو



عبقرية الاسلام في المغرب

للأستاذ : الحسن السائح

- 2 -

لقد كان للنهضة السلفية فى الشرق والاتجاهات الفكرية الفلسفية والاجتماعية فى المغرب وللصراع الايديولوجي بين الاسلام ومختلف المذاهب اثـر فى واقع الاسلام المعاصر ، ولقد واجه الاسلام فى المغرب نفس القوات التي كانت تواجهه فى الشرق ، وكانت فى الغالب مسلحة ماديا وادبيا امام قوته الروحية المسلحة بالمنطق الحق ، وتراث اجيال من كفاحه المجيد من اجل السلام والسمو بالانسان ، ولذلك لم يكن الاسلام يخشى التحديات ، مما كان يجعل خصومه يتبنون آراءه ويقتنعون بها فى الغالب بعد فهم اصولها ومراميها وعندما لاتضلهم غشاوة التعصب ، ولذلك اسلم كثير من المجادلين عن اقتناع وحجة ، واقر بعبقريته كثير من المستشرقين والباحثين الموضوعيين

ويحدثنا مؤلف كتاب عصور المغرب المظلمة عن مناظرته لبعض العلماء مما يدل على مدى حيوية التفكير الاسلامي وحدته بالمغرب فى هذه الحقبة المريرة من تاريخه رغم ان المغرب كان فى اواخر القرن التاسع عشر يعاني انهيارا فظيعا فى مختلف الميادين الفكرية والثقافية ، وقد شهد لذلك كثير من الكتاب ومن جملتهم (كامبو) الذي قال عن المغرب سنة 1886 فى كتابه (المغرب فى اواخر القرن التاسع عشر) : « ان حالة المغرب المادية هي حالته فى القرن الثالث عشر، ولكنها فى انحطاط وانهيار فلننتظر بضع سنوات وسوف لايكون المغرب الا اثرا » وايد قوله (ج ليوبون) الذي قال : «ان مدينة فاس التي نافست بغداد اصبحت الآن محطمة » . وكما انهار علميا وثقافيا انهار فنيا ، فقد تقلص الفن المعماري متجمدا فى صور معمارية رتيبة متكررة كما لاحظ ذلك المؤرخ المعماري تيراس فى كتاباته عن الفن المغربي .

ولم تكن هذه الاراء الا تصويرا للواجهة الحضارية التي تنعكس فى اعماقها الحضارة المتحاتة التي تسير الى الانهيار ، والتي كانت تتخبط فى دياجير محاولات اصلاحية يجهض الكثير منها لعقم اسلوبها وفقدها للمنهجية من جهة وللمقاومة المفرضة التي تتصدى لها من الخارج من جهة اخرى ، ولذلك كانت اصوات المصلحين بحة لاتتجاوز حناجرهم ، وكانت اللغة التي يعبرون بها لاتتجاوز دائرة ضيقة محدودة ان لم تكن فاقدة لحيويتها ، كما كانت وسائل العمل من الفتاقة بحيث لاتضمن النجاح فى الطريق الشائك الذي نصبت نفسها لسلوكه ، وبينما كان الاسلام يعاني هذه الازمة (لا فى اصوله وحقائقه ولكن فى اسلوب العمل لشرحه والدفاع عنه) كانت المسيحية جادة فى التبشير بمذهبها بكل ما تملك من قوة ، ولعل كثيرا من دعاتها لم ينسوا وصية ايزابيلا قبل وفاتها والتي تحث على نشر الايمان المسيحي الصحيح بين سكان شمال افريقيا كما كان فوكو (1916) نموذجا واضحا للمبشر المغامر . وقد استطاعت المسيحية ان تتسرب الى عدة مدن وقرى افريقية ، وبالاخص التي تبعد عن المراكز الثقافية الاسلامية متذرعة بالمنشآت الصحية والانسانية فاسست عدة كنائس فى طول البلاد وعرضها .

وبجانب المسيحية كان التيار الماركسي يتسرب الى المغرب عن طريق الاحزاب الشيوعية والمجلات الماركسية ، ومن المعروف ان الماركسية انطلقت من

نقطة عدائها الصريح للدين بصفة عامة ، ولم يكن الشيوعيون الاولون فى حاجة الى تحليل مفهوم للدين حتى يضعوا خطا بين الاسلام والمسيحية ؛ ولعل التفكير الماركسي غير كثيرا من موقفه تجاه الاسلام بعد تحليل المفهوم ا لديني الاسلامي والمسيحي ؛ وليس من الصدف ان نسمع اليوم تحليلات لآراء ابن خلدون وصوغها فى مادية جدلية تعطي لتفكيره حلقة فى التطور الاقتصادي الذي انتهت اليه الماركسية .

واذا كان الاسلام فى المغرب واجه التحدي المسيحي والماركسي ، فان الموسوية لم تكن تحفل بالمناقشات الدينية ، وانما كانت تسعى الى تحقيق غاية اخرى لا اتصال لها على اي حال بالجدل الفكري الديني .

واخطر ما كان يعانيه الاسلام هو العمل الاستعماري الذي خنق جهد قوته الحركات الاصلاحية الاسلامية التي كانت تتحداه فى عنف ، مما ركب فى شخصية بعض الشباب ما يمكن ان يسمى « بعقدة الاستعمار » تلك العقدة التي شلت تفكير فئة ضئيلة من الشباب ؛ فانفصلوا عن حضارتهم ، وظلوا حيارى يبحثون عن انفسهم .

وقد تصدى لرد هذا الانحراف علماء الاسلام اما بمحاولات سلفية ترتكز على اساس الدفاع عن الاسلام على نهج الامام ابن تيمية ، والافغاني ومحمد عبده والكواكبي ، واصحاب المنار ، وشكيب ارسلان؛

واما فى دائرة بعض الزوايا التي لم تنحرف عن رسالتها لانها كانت دائما من الملامح الواضحة للاسلام فى المغرب ، فقد كانت مراكز دينيا وتربويا ومدرسة وملجا لعمل الخير ، توثق صلة الدين بالحياة اليومية ، وترشد المسلمين الى التمسك بعقيدتهم والذب عنها .

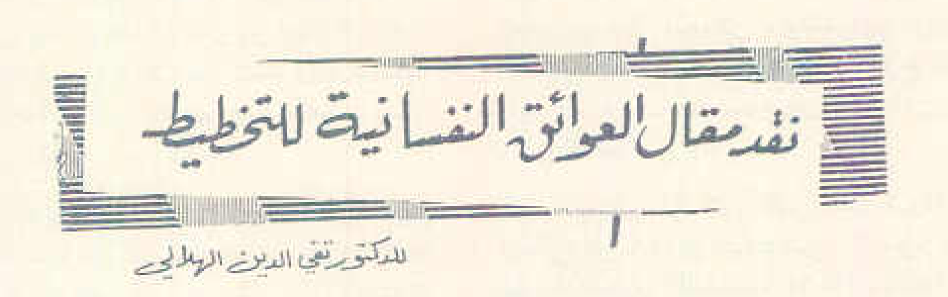
واما بالتزام اسلوب اقفال الابواب والنوافذ ، او ما يسمى «بالتحجر» ، وهي طريقة اذا كان لها ما يبررها مؤقتا فلا يجوز مطلقا استمرارها ؛ كما انها اذا كانت ملجا امينا للمؤمنين المتمسكين بدينهم ، فقد اضرت الشباب القلق الباحث عن الحقيقة ونهج التفكير ، حيث اصيب بخيبة مريرة ، ففقد الحجة والدليل لمجابهة عدوا تسلح بالافتراضات والمغالطات .

ولم يقنع الاستعمار بانتصاراته ، بل فرض فصلا نهائيا بين اجزاء العالم الاسلامي فتولد عن هذا الضغط « كما هي سنة الاجتماع » تطلع المغاربة على آثار الكتاب المسلمين خارج بلادهم ، ومحاولة الاستفادة من التقدم العلمي والادبي واحياء التراث الاسلامي فى الشرق ونتج عن ذلك تطور فى اسلوب العمل ، وظهور حركات منظمة تعمل باسلوب جديد يعتمد على الصحف والاذاعة والمجلات والاندية .

وادى المسجد دورا بطوليا عظيما فى توضيح تعاليم الاسلام والدفاع عنها على الصعيد الشعبي ، فكان خير ناد يجمع المؤمنين من مختلف الطبقات لتدارس قضايا الاسلام وتوضيح رسالته ، وكان اعظم قوة تتحدى الغزو الفكري المغرض حيث يلجأ اليه المؤمنون كلما وهنت قواهم ، او ضعف منطقهم يعتصمون به ويرون فيه ملاذهم وحماهم ، فكان حتمية النجاة كلما تلاطمت الامواج ، والظل الظليل فى متاهة الحيرة والقلق .

وكان جلالة الملك المرحوم محمد الخامس رحمه الله اعظم حام للاسلام حيث بعث التعاليم الاسلامية فى تجديدات مرتكزة على اصوله الخالدة ، فاصلح انظمة التعليم الاسلامي وراقبها بيقظة وفعالية وجدد التعليم والتربية بمراكز الثقافة الاسلامية ، وقاوم المشعوذين ، فمكن للاسلام السلفي ليؤدي رسالته كاملة فى تحرير عقلية المسلم من الجهل والخرافة ، وبنى بلاده بناء اسلاميا تقدميا حيا ، وبذلك اصبح المغرب الجديد متفتحا للنهضة المتوثبة بعد اعلان الاستقلال .

الرباط ـ الحسن السائح



للدكتور تقي الدين الهلالي

- 14 -

ذكرت فيما مضى أقوال طائفة كبيرة من علماء أوربا وأمريكا جماعات وأفرادا ، كلهم أطالوا البحث والتنقيب في العالمين المادي والروحي ، وانتهت مباحثهم بنتيجة واحدة ، لا يختلفون فيها ، وهي أن هناك عالمين، عالم الغيب وعالم الشهادة ، وبعبارة أخرى عالم المادة وعالم الروح . ونتائج البحوث الباهرة أرغمت أشد الماديين عنادا أن يومن بعالم الروح ، وبخالق جميع العوالم وفي هذه الحلقة أضيف الى ما تقدم مباحث أخرى ونتائجها مما تقر به عين المؤمن المخلص ، والباحث المنصف ، وتسخن به عين المكابر المتعسف .

قال الاستاذ فريد وجدي : من بين الدافعين صدر الالحاد في أوربا والطاعنين كبده العلامة الفلكي الطبيعي الشهير كامل فلامريون ، فان كتبه في هذه المواضيع أشهر من أن تذكر ، من بينها كتاب نشره تحت عنوان (المجهول والمسائل الروحية) بمجرد ما طبع هذا الكتاب أكب الناس على مطالعته حتى توالت منه عدة طبعات في أيام معدودة ، لان الكاتب عالم طبيعي من الطبقة الاولى وفيلسوف حسي ، شديد العارضة فما زال في كتابه يحاكم المشاهدات ويقارن أحوالها المختلفة ، ويردها الى القوانين والنواميس المعروفة ، حتى اتضح له صحة أربع نظريات وضوحا محسوسا أتى بها في كتابه نتائج لمقدماته السابقة ، تلك النظريات هي :

1 — الروح ، موجودة وجود كائن مستقل عن الجسم .

2 — وهي متمتعة بخصائص لم تزل للآن مجهولة لدى العلم .

3 — يمكن الروح أن تؤثر أو تتأثر من بعد بدون اعانة الحواس .

4 — المستقبل مقدر من قبل وقوعه ومحدد بأسباب ستحدثه فيما بعد . فالروح قد تدرك هذا القدر قبل وقوعه أحيانا .

هذه هي النظريات الاربع التي برهن الاستاذ الفرنسي على حقيقتها ببراهين حسنة مهمة . ومن ضمن ما طالعناه في ذلك الكتاب قوله في ص 246 (الانسان مسوق بطبعه لانكار كل ما يظهر أنه مشكوك فيه ، وكل ما لا يعلمه وما لا يستطيع أن يفهمه، فاننا اذا قرأنا فيما كتبه (هيرودوت) أو (بلين) أن امرأة كان لها ثدي في فخذها الايسر ، وكانت تغذي ولدها منه ، نضحك ونستهزىء ، ومع ذلك ، فان مثل هذه المشاهدات قد تقررت صحتها في جمعية العلماء الفرنسية في باريس بجلستها المنعقدة في 25 يونيو سنة 1827 وان أخبرنا مخبر بأن رجلا وجد في أحشائه ولد بعد تشريحه ، وأن هذا الولد كان توأما لذلك الرجل ومحبوسا في جثمانه ، وأنه قد شاخ فيه والتحى ، فانا نعتبر هذا خرافة محضة مع أننا قد شاهدنا بأنفسنا من مدة ليست ببعيدة مولودا ولد ميتا ، وله من العمر (56) سنة .

قال أحد مترجمي كتب (هيرودورت) ان زعمهم أن روكسان (امرأة الاسكندر) ولدت طفلا بغير رأس يعد من الاشياء المنافية للعقل التي نتيجتها أن تهبط من شرف كيزياس (مؤرخ يوناني) ومع ذلك ، فان جميع النواميس الطبيعية في هذا العصر تثبت الاطفال الذين يولدون بغير رؤوس .

كل هذه الامثلة وكثير غيرها تدعونا الى الاحتياط والتبصر ، فان الذين ينكرون الاشياء بدون تحفظ هـم الاغبياء الجاهلون . وقد يمكننا أن نكثر من هذه الامثلة ، ولكن راينا ان ذلك غير مفيد لقرائنا الافاضل ، فلنكتف بقولنا : ان المشاهدات التي نقلناها هنا مطابقـــــة للاسلوب التجريبي نفسه تمام المطابقة .

نقول هذا كله يدل على ان في الوجود حركـــة اعتقادية مهمة جدا ستؤدي الى نتيجةغير منتظرة تحقيقا لوعد الله (كتب الله لاغلبن انا ، ورسلي ، ان اللهقوي عزيز) .

سبحانك اللهم ما اكبر سلطانـــك ، ان هــــؤلاء الرجالات العظام الذين نقلنا اقاويلهم في مكالمة الارواح، لو قيل لاحدهم قبل ردح من الزمن قصير ، ان لـــــه روحا لضحك من عقل مخاطبه واستهزأ به ، وعــده واحدا من المتأخرين في العلم ، ولابى ان يحاوره في هذه المسالة الا بالنكتة اللطيفة تمضية للوقت ، لكن انظر هم الآن تجدهم يثبتون لك ما يترفع ان يقوله احد جهلـــة الشرقيين ، ويمضي احدهم ثلاثين سنة من عمره في بحث واستحضار واخذ ورد ، ثم يؤلف كتابا عقب ذلك يقر فيه أمام الملا أنه كان ماديا كافرا فاصبح الآن بفضـــل الاسبرتزم روحيا مؤمنا ، ثم ينبري للطعن فيما كان يقول به بالامس طعن المنتصر للحق على الباطل ، والمغلـب للفضائل على الرذائل اليس هذا بعجيب .

نعم جلت رحمة ربي وعظمت حكمته ، كم له في تاديب البشر من وسائل ، وفي كبح عرامهم من ذرائع لو تدبرها الانسان لراى بعين بصيرته يد العناية الرحمانية ترفع الانسان مما يرتطم فيه من مهاوي سقطاتـــــه ، وتقيمه على نهج السبيل ووضح المحجة .

تخيل قوما راوا ما وقع فيه الاقدمون من الخيالات وما حملوه عواتقهم من الاوهام وما استلزم ذلك مـــن بعدهم عن الحقيقة التي هي ضالة الانسانية ، ومــــا استدعاه من عشوتهم عن تنور الظواهر الجلية لما ران على البابهم من تلك القواعد الاعتقادية ، قلنا تخيل قوما راوا ذلك بأعينهم ثم انظر كيف يكون مبلغ كراهيتهم لبنات الافكار التي لا يؤيدها من الواقع دليل ولا يعززها مـــن الحس برهان . قالوا ، ماذا يفيد الدليل والبرهان ان كانا عقليين ، وقد ثبت أن مدارك العقل كثيرا ما تحيد عن الجادة وتلقي بالانسان الى متائه من الاضاليل لا يميز فيها بين الحقائق والاباطيل ، ما الذي اوقـــع الاقدمين في أوهاق الخرافات فحرموا بذلك انفسهم أنوار العرفان ؟ ما الذي دهورهم في تيهور المدركات السافلة، والتصورات النازلة ، فسدوا دونهم طريق الحقيقة التي هي الغاية لمحاولات الانسان ؟ أليس لانهم اطلقـــوا لافكارهم عنان الجولان ، ولعقولهم حرية الجـــزم في الاحكام ؟ اليس لانهم عموا عما يتنازع الوجدان مـــن المؤثرات ، وما يتقاسمه من الاعراض التي تجعله في واد والحقيقة في واد .

ثم قالوا اذا كان الامر كذلك ، وكان محض الدليل العقلي غير كاف في اثبات شيء او نفيه ، فلا سبيل الى معرفة الحقيقة الصحيحة الا اذا سندها من الحــس دعامة ركينة ، وكان لها من الواقع شهادة قوية . فهم اذن لا يسلمون بغير امتحان ، ولا يخضعون لغيـــر المحسوسات وينبذون كل بحث يتعلق بمنشا الوجـــود ومصير الانسان كما نقلنا ذلك في الفصل السابق عن احد زعمائهم الاستاذ (ليتريه) . وعليه فمدار فلسفتهم على العلوم الحقيقية التي موضوعها الموجـــودات والنواميس التي تتسلط عليها . فقسموا العلوم الى ستة اقسام ، الفلك والطبيعيات ، والكيمياء والرياضيات ، وعلم الحياة والهيأة الاجتماعية . وقالوا ، ان العلـــوم سلسلة مؤلفة من حلقات ، متصلة بعضها ببعض ، لا تدرك الواحدة حتى تدرك ما قبلها من الحلقات وأولها الرياضيات ، ثم ذهبوا الى ان المعارف تتطع في ارتقائها ثلاثة أدوار مهمة . الاول الدور الديني . الثاني دور ما فوق الطبيعة . الثالث دور العلوم الحسية ، وهو دور الانسان الحالي .

قل لي بربك اذا كان هؤلاء لا يريدون ان يعتقدوا وجود أصل من الاصول ، او حقيقة نظرية من النظريات الا اذا كان لمشاعرهم الظاهرة سلطان على تحقيقها ، فكيف يمكنك مهما أوتيت من مواهب الجدل ودقة التعبير وحسن صياغة البراهين أن تثبت لاحدهم ان له روحا ، وانه سيحيا بعد ان يموت في عالم غير هذا العالـــم ؟ وكيف تستطيع مهما كنت بليغا أن تقنع احدهم بوجود عوالم نورانية كعالم الملائكة واشياء اخرى وراء ما ندركه بمشاعرنا الغليظة ما دام لا يريد ان يصدق بعقله الا ما اذا لمس بيده ؟

عنت الوجوه للحي القيوم ، وقد خاب من حمـــل ظلما ، ان الذي خلق الانسان على هذه الصورة مـــن الطماح الفكري والجماح الحسي لا يعجزه ان يرده الى العدل كلما جار ، ويلفته الى الهدى كلما ضل ، سنة بالغة وحكمة غير متناهية .

ان الذي قال في محكم كتابه (كتب الله لاغلبن انا ورسلي ، ان الله قوي عزيز) يعرف من اين تقتـــاد

العقول المستعصية ، وكيف تستلان القلوب القاسية ، وبأي وسيلة تلجا تلك الحياة العالية العاتية الى السجود والاخبات امام عظمته وجبروته .

(سبحان ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى الذي خلق كل شيء فقدره تقديرا) الذي امهل هؤلاء الطغاة حتى ملأوا الكون صياحا ، واستنفدوا كل وسعهم ومجهودهم في الحملة على العقائد الفطرية حتى ظنوا انهم ملكوا زمام مشاعر البشر بما شنوه من الشبه والشكوك ، وانهم توصلوا الى اطفاء نور العقائد من القلوب ، ثم ارسل عليهم آية من آيات القهر والجبروت ، فقلبت كل ما اقاموه راسا على عقب ، وحولت مجرى افكارهم دفعة واحدة الى ما زعموا انهم أرفع من الخوض فيه ، فآبوا الى عقولهم وحشو اهابهم الندم والحسرة على ما غلوا فيه من قبل ، وعلموا أن للوجود الها تعنو له الجباه الشم ، وتستخذي امام عرشه الهمم القعساء ، وان للانسان روحا ستخرج من الجسد الى عالم ينتظرها فيه عذاب اليم او نعيم مقيم .

بالله اي فؤاد لا يمتليء ايمانا ، واي احساس بشري لا يتضلع يقينا وثباتا حينما يرى بعينيه ان اساتذة الماديين قاموا يجأرون الى الله منيبين اليه ملتجئين الى جنابه مقرين بسابق غلطاتهم ، بعد ان كانوا بالامس ، وليس العهد ببعيد يشمخون بانوفهم كبرا وعتوا ، ويتبجحون بأنهم ارفع مقاما من ان ياخذوا بعقيدة من العقائد ، واسمى نفسا من ان يأسروها لدين من الاديان .

من كان يصدق أن مثل الاستاذ العلامة (روسل ولاس) الانكليزي ، وهو اكبر فسيولوجي في العصر ، ومكتشف اعظم نواميس الطبيعة ، وهو ناموس الانتخاب الطبيعي ، وند العلامة (داروين) في تاسيس مذهبه الذي كفر الملايين من العالم . قلنا من كان يصدق ان مثل هذا الاستاذ الكبير يرجع بعد تلك الكبرياء فيقول : لقد كنت دهريا صريا مقتنعا بمذهبي تمام الاقتناع ، ولم يكن في ذهني أدنى محل للتصديق بحياة روحية ، ولا بوجود عامل في هذا الكون كله غير المادة وقوتها ، ولكني رأيت أن المشاهدات الحسية لا تغالب ، فانها قد قهرتني واجبرتني على اعتبارها اشياء محسوسة قبل أن اعتقد روحانيتها بمدة مستطيلة ، ثم اخذت هذه المشاهدات مكانا من عقلي شيئا فشيئا ، ولم يكن ذلك بطريقة نظرية تصورية ، ولكن بتأثير المشاهدات التي كان يتلو بعضها بعضا بطريقة لا يمكن التخلص منها بطريقة أخرى (اي بغير نسبتها لارواح الموتى) .

ولقد مر بك من مثل هذه الشهادات ما لا يمكن الزيادة عليه في مثل هذا المختصر وكل تلك الشهادات منسوبة لكبار اساطين العلم ورجال المعارف ، فانظر رحمك الله كيف يداوي الله تعالى أمراض القلوب ويعالج جراح العواطف .

لما قام هؤلاء يقولون ، نحن لا نصدق الا ما نحس به ، وقالوا ما دام عليم الغيب مستورا عنا ، ولا يمكن تحيققه فهو ليس بموجود الا في الوهم ، وتذرعوا بذلك لاطفاء نور العقائد ، فتح الله لهم نافذة صغيرة من نوافذ ذلك العالم المغيب عن المشاعر ، واعطاهم القوة على تحقيقه بالحس والمشاهدة (لكيلا يكون للناس على الله حجة) كل ذلك رحمة منه تعالى بهذا النوع الانساني الذي جعله تمة ابداعه وغاية اختراعه . وكم في المستقبل من آيات سيظهرها الله لعباده تحقيقا لوعده (سنريهم آياتنا في الآفاق ، وفي انفسهم) .

اسبرتزم ــ علم استحضار الارواح والتحدث معها

كنت وعدت القراء فيما مضى أن اذكر لهم شيئا من هذا العلم الذي اذعن له كبار علماء اوربا وامريكا ، وتبعهم كثير من الباحثين في البلاد العربية ، والفوا في ذلك كتبا ، وذكروا الوقائع التي شاهدوها كالاستاذ محمد فريد وجدي ، فانه الف كتابا سماه (على اطلال المذهب المادي) ورجال دار الهلال في مصر على ما اذكر ، وقد قدمت ان اقوال اولئك الرجال وبراهينهم حجة قاطعة على كل غراب ناعب من الاسيويين والافريقيين ، انما يصولون على خصومهم بما يزعمون انهم أخذوه من علماء اوربا وامريكا ، فاذا رأى القراء الاعزاء أن كبار علماء اوربا وامريكا على خلاف ما تنسبه اليهم اولئك الغربان سقط في ايدي الغربان ، واستحقوا الاحتقار ، ولا يلزم المحتج عليهم بذلك ان يكون معتقدا له ، او قائلا به .

وبيان ذلك ان كل من احتج علينا معشر المسلمين بدلائل القرآن او السنة الصحيحة لزمنا قبول احتجاجه ، وان كان المحتج غير مسلم .

جاء في دائرة المعارف ما نصه: (اسبرتزم) هو فن استحضار ارواح الموتى ، يقول اشياعه : ان الحد الفاصل بين الاحياء والاموات ليس على ما يظنه الناس من الخطارة ، فان الموت ليس في ذاته الا انتقالا من حال مادي جسدي الى حال مادي آخر ، ولكن ارق منه والطف بكثير ، فانهم يعتقدون ان الروح جسما ماديا شفافا

لطيفا الطف من هذه المادة بكثير ، ولذلك لا تسري عليه قوانينها .

ويقولون : ان الموتى بعد الموت مباشرة يكونون فى عالمنا هذا بين ايدينا وعن ايماننا وشمائلنا ، ولا يزالون كذلك مدة تختلف باختلاف درجتهم الروحية ، ثم ينتقلون الى حال ارقى من هذا ، وان كانوا لا يبرحون هـــذا العالم ، فان العوالم فى نظرهم اختلاف حالات ومقامات لا اختلاف جهات وامكنة .

ويقولون : ان الروح ، وهي فى حالها الاول بعد خروجها من الجسد يمكن مكالمتها ، بل ورؤيتها مجسمة بواسطة شخص يكون فيه الاستعداد لان يقع فى خدر عام عند ارادته تحضير الروح ، فتستفيد الروح مـــن استعداده فتكلم الناس بفمه بلغات يجهلها كل الجهل ، وتنبىء عن امور للحاضرين من اقاربها وخاصتها ، لا يدري الواسطة منها شيئا ، بل وتكشف من اسرار العلم والفلسفة والرياضيات العويصة ما يجهله الواسطـــة والسامع ، ولا يدركه ممن فوق سطح الارض الا نفــر يسير ، وقد تستولي على يده فتكتب وعيناه مغمضتان صحفا ورسائل .

وقد تظهر بجسم مادي محسوس ، على حين يكون الواسطة ملقى امام المجربين مكتوفا على كرسيـــه ، وسبب ربطه هكذا أن الذين يبحثون فى هذه الامـــور المدهشة من العلماء ملحدون ماديون لا يعتقدون بشيء ، ولاجل ان يثقوا من صدق مشاهداتهم التي تهدم لها كل مقررات فلسفتهم لا يرضون فى حالة تجسد الروح الا أن تكون الغرفة مغلقة والفرش مفتشة ، والواسطـــة مربوطا على كرسيه بأربطة متينة مسمرة اطرافهـــا بالارض . ولا يكتفون بذلك ايضا ، بل منهم من وضعه فى قفص حديدي ، ووضع كرسيه على سطح مائي ، واوصل بيده سلكا كهربائيا متصلا بجلوانومتر ليسجل عليه كل حركة وكل نفس ، ولم يكتف بذلك ، بل ارصد له من يراقبه من اخوانه العلماء . ورغما عن ذلك كله تظهر الروح مجسمة ، تبتدىء أولا بشكل سحابة منيرة ثم تأخذ فى التشكل شيئا فشيئا حتى تصير على شكل انسان منير ، ثم تتكاثف حتى تصير دما ولحما وعظما امام أعينهم ، فتقف أمامهم وتطوف حولهم عالية بقدميها عن الارض قليلا ، لابسة هيئة عربية بدوية متمثلة بشرا سويا ، ولكن شوهد أن جسمها يكون لينا لدرجة أن الانسان لو ضغط يدها بين اصبعيه تنبعج يدها بينهما حتى يتلاقيا كأنهما عجين ذو قوام متماسك ، ولكـــن شوهد أن لها نبضا وقلبا وتنفسا وكل ما للجسم الحي .

وحين تسأل من أين لها هذا الجسد تقول : انهـــا استعارته من جسم الواسطة وفى الواقع اذا وزنـــت الواسطة وجدت أن جسمها قد نقص وزنه ، وقـــد شوهد ان الجزء الاسفل من الواسطة تلاشى بالمـــرة وصار لا وجود له ، فلما ذهبت الروح عاد اليها .

هذه الامور جربت فى كل عاصمة وتولى شأنهـــا العلماء الاعلام من كل قبيل فلم تزد على مر الايـــام الا انتشارا وثبوتا ، وقد بلغ عدد اشياعها كما روته مجلة المجلات الفرنسية نقلا عن الاستاذ (روســـل ولاس) اكبر الفزيولوجيين الانكليز الى عشرين مليونا .

تعليقـــات

1 ــ قول كامل فلا مريون فى الروح : وهي متمتعة بخصائص لم تزل للآن مجهولة لدى العلم . يتلقاه المسلم بالترحيب والاجلال والاغتباط ، لانه تفسير لقوله تعالى فى سورة الاسراء (85 ويسألونك عن الروح ، قـــل الروح من امر ربي ، وما اوتيتم من العلم الا قليلا) .

قال الامام ابن حزم فى كتابه (الملل والنحل) بعد سرد مذاهب شتى : وذهب سائر اهل الاسلام والملل المقرة بالمعاد الى ان النفس جسم طويل عريض عميق ذات مكان ، عاقلة مميزة مصرفة للجسد . قال : وبهذا نقول . والنفس والروح اسمان لمسمى واحد ، ومعناهما واحد .

ثم قال : واما من ذهب الى أن النفس ليســـت جسمـا فقول يبطل بالقرآن والسنة ، واجماع الامة . فأما القرآن فان الله عز وجل قال : (هنالك تبلو كـــل نفس ما اسلفت) وقال تعالى : (اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لاظلم اليوم) وقال تعالى (كل امرىء بماكسب رهين) فصح أن النفس هي الفعالة الكاسبة المجزية المخاطبة . وقال تعالى (ان النفس لامارة بالسوء) وقال تعالى (ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون اشد العذاب) وقال تعالى (ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله اموات ، بل احياء ولكن لا تشعرون) وقال تعالى (ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا ، بل احياء عند ربهـــم يرزقون ، فرحين بما آتاهم الله من فضله) فصح أن الانفس ، منها ما يعرض على النار قبل يوم القيامـــة فيعذب ، ومنها ما يرزق وينعم فرحا ، ويكون مسرورا قبل يوم القيامة .

ولا شك أن اجساد آل فرعون واجساد المقتولين فى سبيل الله ، قد تقطعت اوصالها واكلها السبـــاع

والطير وحيوان الماء ، فصح ان الانفس منقولة من مكان الى مكان ، ولا شك فى أن العرض لا يلقى العذاب ولا يحس ، فليست عرضا . وصح أنها تنتقل فى الاماكن قائمة بنفسها ، وهذه صفة الجسم لا صفة الجوهر عند القائل به ، فصح ضرورة أنها جسم .

واما من السنن فقول النبي (ص) : ان ارواح الشهداء فى حواصل طير خضر فى الجنة) فصح أن الانفس مرئية فى اماكنها . وقوله عليه السلام (ان نفس المؤمن اذا قبضت عرج بها الى السماء وفعل بها كذا . ونفس الكافر اذا قبضت فعل بها كذا) . فصح أنها معذبة ومنعمة ومنقولة فى الاماكن ، وهذه صفة الاجسام ضرورة .

واما من الاجماع ، فلا اختلاف بين احد من اهل الاسلام فى ان انفس العباد منقولة بعد خروجها من الاجساد ، الى نعيم او الى صنوف ضيق وعذاب . وهذه صفة الاجسام ثم قال : ومعنى قول الله تعالى : (ويسألونك عن الروح ، قل الروح من امر ربي) انما هو لان الجسد مخلوق من تراب ، ثم من نطفة ، ثم من علقة ، ثم من مضغة ، ثم عظما ، ثم لحما ، ثم امشاجا . وليس الروح كذلك . وانما قال الله تعالى آمرا له بالكون (كن فيكون) فصح أن النفس والروح والنسمة اسماء مترادفة لمعنى واحد ، وقد يقع الروح ايضا على غير هذا . فجبريل عليه السلام الروح الامين ، والقرآن روح من عند الله

ثم قال ابن حزم أيضا : صح ان الله عز وجل خلق الارواح جملة ، وهي الانفس ، وكذلك اخبر عليه السلام (أن الارواح جنود مجندة ، فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف) وهي العاقلة الحساسة . اه .

وقال شيخ الاسلام احمد بن تيمية فى تفسير سورة الاخلاص بعد أن ذكر نزاع المتكلمين المتفلسفة فى الملائكة هل هي متحيزة ام لا ؟ وكذلك نزاعهم فى روح الانسان التي تفارقه بالموت ، على قول الجمهور الذين يقولون : هي عين قائمة بنفسها ليست عرضا من اعراض البدن كالحيوان وغيرها . ولا جزءا من اجزاء البدن كالهواء الخارج منه ، فان كثيرا من المتكلمين زعموا انها عرض قائم بالبدن ، او جزء من أجزاء البدن . لكن هذا مخالف للكتاب والسنة واجماع السلف والخلف . ولقول جماهير العقلاء من جميع الامم . ومخالف للادلة ، وهذا مما استطال به الفلاسفة على كثير من اهل الكلام . اه

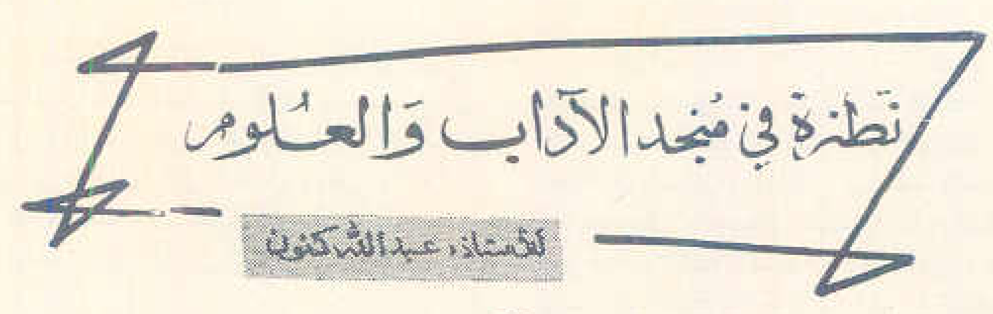
قال ابو المعالي : ان الروح اجسام لطيفة مشابكة للاجسام محسوسة . أجرى الله العادة بحياة الاجساد ما استمرت مشابكتها لها . فاذا فارقتها تعقب الموت الحياة فى استمرار المادة . ومذهب الصحابة والتابعين لهم باحسان ، وسائر سلف الامة وائمة السنة ، ان الروح عين قائمة بنفسها تفارق البدن ، وتنعم وتعذب، ليست هي البدن ولا جزءا من اجزائه كالنفس المذكور .اه

واقوال علماء الاسلام وفلاسفته فى مباحث الروح كثيرة . وقد الف فيها الامام شمس الدين محمد بن قيم الجوزية مجلدا وهو مطبوع . وفيما ذكرته ما يدل بغاية الوضوح على أن ما توصل اليه فلاسفة اوربا وامريكا فى القرن التاسع عشر بتاريخ النصارى بتجاربهم المكتسبة ممن تقدمهم ، ومعلوماتهم الخاصة التي افنوا فيها اعمارهم هو عين ما توصل اليه فلاسفةالاسلام بافكارهم الثاقبة ، وتحقيقاتهم البالغة ، مع زيادة تفصيل عند الاوربيين والامريكيين ، يخرج المطلع عليه من دائرة المعقولات الى دائرة المحسات التي لا تمكن المكابرة معها. أفلا يحق للمسلم الحنيف المتمسك بدينه ان يفتخر باولئك الاقطاب الذين سبقوا الزمن ، ووصلت افكارهم الى حقائق لم يكتشفها العلم الحديث الا بعد مآت السنين مضت على وفاتهم .

اولئك آبائي فجئني بمثلهم
اذا جمعتنا يا جرير المجامع

فهل بقي للضفادع البشرية التي تنق بالهذيان ، والقردة المحاكية التي تقلد الانسان ، هل بقي لهم فى مسالة وجود عالم الروح ما يهرفون به ، بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ، ولهم الويل مما يصفون .

مكناس : **تقي الدين الهلالي**



-11-

حـــرف الشيـــن :

282) في ص 281 ، ع ل تحت اسم ابن شاباش ما يلي : وزير ، حاكم البصرة ، من بدعة الشاباشية . ويليه بالاثر تحت اسم الشاباشية ما نصه : بدعة من القرمط قطن اصحابها بلاد البصرة والاحساء . وهذا الكلام في الاسمين مختصر من دائرة المعارف الاسلامية، ولكنه مشوش وغير محرر ، ولو فعل مثل الدائرة فجعله ترجمة واحدة تحت اسم الشاباشية لكان احسن . وهذا تحريره :

الشاباشية : فرقة من غلاة القرامطة ، منسوبة الى شيوخ بني شاباش الذين وزر منهم اثنان لوالي البصرة البويهي . كانوا مقيمين في البصرة والاحساء.

283) وفي نفس العمود تعريف بالشابستي صاحب كتاب الديارات سماه فيها ابا الحسن احمد ، ومع ان اسمه مختلف فيه فان احدا ممن ترجمه لم يسمه احمد ، بل المشهور فيه انه علي بن محمد وبذلك يكنى ابا الحسن ، وعليه اقتصر ابن خلكان ، وسماه ياقوت محمد بن اسحاق وكناه ابا محمد ، وتردد الصفدي بين الاسمين كما في مقدمة كتاب الديارات لناشره الاستاذ كوركيس عواد . وكما اختلف في اسمه اختلف في تاريخ وفاته والاكثر على انها قبل الالف ميلادية . والمنجد جعلها جزما سنة 1008 فعليه درك في ذلك . ثم انه قال في الديارات من غير سابق تفسير: « وكانت متنزهات الشعراء يشربون فيها الخمر » والطالب الذي لايكون على علم بمعنى هذا اللفظ ربما فهم ان هذا هو مدلوله اللغوي ، فالصواب ان يقول والديارات جمع دير وهو مأوى الرهبان الذي ينقطعون فيه للعبادة وكانت بعض الديارات متنزهات الخ

284) في ع ن في من هذه الصفحة ترجمة لابي الحسن الشاذلي ذكر فيها انه تعلم التصوف على جنيد ، هكذا بتجريد اسم امام الصوفية الجنيد من اداة التعريف كما يحلو له ان يفعل في مثله على ما نبهنا عليه سابقا . ثم ان هذه العبارة توهم انه تعلم على الجنيد نفسه وبينهما قرون من الزمن ، فليته قال مثل ما في الدائرة : تتلمذ على اصحاب الجنيد . واحسن من ذلك لو قال على اتباع الجنيد . وفي تعريف الشاذلية باثر هذه الترجمة قال المنجد انها طريقة ليس لها زوايا . وقد اختلط عليه الامر بما ذكرته الدائرة من ان الشاذلي لم يؤسس في حياته زوايا لطريقته ، والا فان زوايا هذه الطريقة منتشرة في كل مكان من العالم الاسلامي ولا يصح ان يقال انها لازوايا لها . على ان هذه الزوايا تحمل اسماء مختلفة بحسب الطرق التي تفرعت عن الشاذلية مما هو معروف .

285) في ص 282 ، ع ل ترجمة لشرلمان ملك فرنسا جاء فيها انه أول من بسط حمايته على الاراضي المقدسة ، وهو يعني ولا شك بالاراضي المقدسة بلاد المقدس ، ولا ندري من اين اتى بنبأ هذه الحماية ، وهو يدري ان مملكة الاسلام في عهد شرلمان كانت في عنفوان قوتها وكان على راسها الخليفة هارون الرشيد الذي كان يقول للسحاب وهو يراها تمر بسماء بغداد: امطري حيث شئت فان خراجك سياتيني، وهو الذي لم يملك شرلمان نفسه الا ان يدخل معه في حلف ليحتمي به من جيرانه خلفاء المراونية في قرطبة، فكيف يكون المحمي حاميا ؟ ! والعجب ان معجم لاروس الذي يستقي منه المنجد لم يذكر هذه الحماية فقد صار مؤلف المنجد فرنسيا اكثر من الفرنسيين ! . .

286) وفى العمود نفسه ترجمة لشاس بن عبدة أخي علقمة الفحل الشاعر الجاهلي المشهور ، جعله المنجد ابن عقيلة ، وقال فيه الشاس بال التعريف التي يسقطها حين ينبغي اثباتها .

287) فى ع ني من هذه الصفحة تعريف بابي اسحاق الشاطبي ذكر فيه ان له كتاب الاعتصام فى تعريف البدع (وفنها) واحكامها . وليس عندنا شيء يقال له فن البدع ، ولو كانت البدعة فنا لما كانت مذمومة ، فلعل اصل العبارة تعريف البدع وتصنيفها.

288) فى ص 283 ، ع ل ترجمة للامام الشافعي جاء فيها انه اول من اظهر علم الفقه ودونه . وهذا خطأ ظاهر ، والغالب انه يريد علم اصول الفقه ، فان هذا العلم هو الذي يصح ان ينسب اظهاره وتدوينه للشافعي .

289) وفى هذا العمود تعريف ببلاد الشام ذكر انها كانت تقسم على ايام العرب الى سبعة اجناد، وذكر منها قنسرين والثغور فكتب الاولى بالصاد والثغور جعلها شغورا بالشين

290) فى ص 284 ، ع ني تعريف بالشيخ احمد الشاوي دفين فاس قال انه منسوب الى شاوية جبل أوراس ، وهو خطأ فانه من عرب الشاوية اهل تامسنا كما فى السلوة للكتاني .

وذكر المنجد باثر هذا كلمة شاوية فقال انها اسم اطلقه العرب على البربر سكان جبل اوراس فى الجزائر ، وفى هذا الكلام قصور يتبين بمراجعة دائرة المعارف الاسلامية التي احسنت تقسيم الشاوية الى عرب وبربر وحددت مواطنهم ، ولكن مؤلف المنجد لم يعرف كيف يستفيد منها فاخذ بعض كلامها وترك جله .

291) فى ص 287 ، ع ل تعريف بالشريشي صاحب كتاب هز القحوف ضبطه بفتح الشين وهو بكسرها وجعله يوسف عبد الجواد بن خضر بضم الخاء وسكون الضاد وهو يوسف بن محمد بن عبد الجواد بن خضر بفتح الخاء وكسر الضاد على ما نبهنا عليه سابقا فى ضبط اسم الخضر .

292) وفى ع ني من نفس الصفحة ترجمتان لشخصين مسميين بشرحبيل وقع ضبط اسمهما بفتح الشين وسكون الراء وفتح الحاء المهملة وهو بضم ففتح فسكون .

293) وفى هذا المكان ايضا تعريف بابن شرف الشاعر القيرواني المعروف زميل ابن رشيق القيرواني كذلك ، قال فيه انه من شعراء الاندلس والمغرب الاقصى ، وهو خطأ فان نسبته القيروانية تعين بلده بلا اشكال ، وعلى كل فهو ان صح ان ينسب الى الاندلس بسبب هجرته اليها واستيطانه بها فان نسبته الى المغرب الاقصى ليس لها وجه ولا مبرر .

294) فى ص 288 ، ع ل تحت اسم الشرفاء قال انه اسم يطلق فى المغرب على من ينتسبون الى النبي بالسلالة من حسن ، وسكت عن ابناء حسين مع انهم ممن يشملهم ذلك الاسم . وقد ضبط الشرفاء بسكون الراء كما ينطقه العوام عندنا وهو بفتحها فعلاء الذي يكون جمعا لفعيل

295) وفى نفس العمود ذكر شرقاوة فقال اسم يطلق على جماعة من المرابيط فى بلاد المغرب الخ والمرابيط هذه يعني بها جمع مرابط ، وجمع هذه الكلمة انما يكون تصحيحا لا تكسيرا .

296) وفى ع ني من الصفحة تعريف بمدينة شريش الاسبانية قال انها تقع فى اقليم قادس لكنه عرب اسم هذه المدينة بقدش والصواب قادس كما عربت قديما .

297) فى ص 289 ، ع ل ذكر مدينة شفشاون باسم ششاون ، وذلك من خطأ الترجمة وعدم معرفة الاسم الاصلي فى العربية . ثم قال اسسها ابن جمعة والصواب ابن ابي جمعة وهو الشريف ابو الحسن بن أبي محمد العلمي المعروف بابي جمعة ، لكن الذي أتم تخطيطها وبناءها هو ابن عمه ابو الحسن علي بن موسى ابن راشد كما هو معلوم ولذلك يقال لها الراشدية .

298) وفى ع ني من الصفحة سمى سورة الشعراء بضم ففتح جمع شاعر ، الشعراء بفتح فسكون وهو خطأ

299) وفى هذا المكان ايضا تحت اسم شعيب قال: نبي جاء ذكره فى القرءان ، ثم تحت اسم النبي شعيب قال جبل فى اليمن (3150م) فهل يكون التعريف الاول عنده مقدما من تأخير ، سهوا أو خطأ فى الطبع ؟ ذلك ان تسمية الجبل (بالنبي شعيب) تسمية غريبة ، على ان الذي فى معجم البلدان هو قوله : « (شعيب) بلفظ اسم شعيب النبي عليه السلام وهو تصغير شعب الجبل : اسم موضع جاء فى الاخبار » واخشى ان يكون

مؤلف المنجد ركب من هذا الكلام اسم (النبي شعيب) الجبل الذي ذكره .

300) في ص 291 ع ني اورد كلمة شلوح فضبطها بكسر الشين وضم اللام مع التشديد وقال انها اسم يطلق على شعوب البربر في جنوب المغرب الاقصى الخ والمعروف في نطق هذه الكلمة لدى المغاربة تخفيف اللام على وزن فعول الذي هو جمع فعل كزيد وزيود وبالفعل فانهم يقولون للمفرد شلح

301) في ص 292 ، ع ل ترجمة للشمني شارح المغني والشفا وغيرهما ضبط اسمه فيها بضم الميم مع التشديد وهو بضم الشين ، وتخفيف الميم مع الضم ، وتشديد النون

302) في ص 293 ، ع ني ترجمة للشنواني العالم الازهري المعروف ضبط اسمه فيها بكسر الشين وسكون النون والمعروف فيه انه بفتحتين .

303) وفي هذا العمود ذكر كتاب الشهاب للقضاعي المشهور ، ولكنه ذكره بكنيته وهي ابن حكمون ومع ان ذلك لاغبار عليه فان الاولى ذكره بنسب القضاعي الذي اشتهر به

304) في ص 294 ، ع ني ترجمة للعلامة الشهرستاني المعروف صاحب الملل والنحل ضبط اسمه فيها بكسر الشين والراء معا وهما بالفتح

305) في ص 295 ، ع ني ترجمة للامام الشوكاني ضبط اسمه فيها بضم الشين وهو بالفتح وذكر من مؤلفاته ارشاد الفحول فسماه رشاد الفحول

306) في ص 296 ، ع ني تحت اسم الشيباني ابي عبد الله محمد ترجمة لاشك انها هي التي اعادها في ءاخر العمود باسم الشيباني محمد بن الحسن الشهير صاحب ابي حنيفة ، وان كان هو قد ظنهما شخصين اثنين ، وبمجرد تامل اسماء مؤلفاتهما التي ذكرها وسنتي الولادة والوفاة يقطع القاريء بذلك

307) وفي هذا العمود ايضا ترجمة لابي عمرو الشيباني النحوي الكوفي المعروف ، جعل كنيته ابا عمر بحذف واو عمرو والمميزة له وضبط العين بالضم والميم بالفتح وذلك خطا بين .

طنجة ــ عبد الله كنون

في القضايا النقدية — من جديد

خواطر حول شؤون النقد في محيطنا الفكري

للأستاذ المهدي البرجالي

هل نحن نعاني — حقا — من عقم الفكرة النقدية ، فاذا هي على ما نراها عليه من تخلف وهزال وامحال ؟ هل يتعلق الامر بحالة عقم حقيقي حتمي ليس لنا عنه محيد ؟ ولكن .. هذا التطور النسبي الذي حققه البحث والمقالة الانشائية عندنا ، الا يدل على وجود امكانيات فكرية يمكن استغلالها ايضا في مجال النقد ، مادام النقد هو ايضا عملية بناء فكري كالانتاج المنقود سواء بسواء ؟ الا تعتبر الحياة الجامعية عندنا حظا جيدا ، يجب استغلاله في هذا المضمار ؟ واذا كانت الجامعة مجال بذر فكري فالصحافة العلمية ميدان ممارسة واحتكاك ، لا يغني غناءه شيء آخر — الاطراف الثلاثة : المنتج والناقد والقارىء : محور كل احتكاك ايجابي بهذا الشان .

تختتم « دعوة الحق » سنتها الحالية ، بعد ان سلخت من العمر اعواما ، صاحبت فيها بداية الاستقلال المغربي ، ثم عاصرت — على المدى الطويل ، قصة العمل من اجل التنمية .. القصة التي لا يمكن ان توجد لها نهاية ، الا حينما تنتهي آمال مجتمع في التقدم ، والبحث عن طراز حياة اجود ، عاصرت المجلة هذه احوالا متجددة ، وافكارا واهتمامات متنوعة ، ولا جرم ان ما تحويه من سطور كتبت خلال فترات مختلفة ، في مدى سنوات عدة — يعكس — في جملة ما يعكس اصداء لبعض هذه الاهتمامات والمشاغل والافكار ، وبالاخص منها ما يتعلق بتخلفنا الفكري ، وتجمد الحياة العلمية والادبية عندنا ضمن اطار جد ضيق لا يتسع الا بقدر تافه للحاجيات الفكرية التي يتطلبها مجتمع فتي ومحتاج الى كل شيء ، بما في ذلك الفكرة الناضجة والراي الهادي والافادة المجدية ، وكل ما يفتح للعقل نافذة يطل منها على آفاق من عالمنا الشاسع المتشعب .

اذكر للمجلة عددا من الكتابات نشرتها حول بعض القضايا من هذا القبيل ، واذكر لها انها خصصت عددا من اعدادها السالفة لقضية الفكر والادب بالمغرب ، واستطلاع العوامل واستقصاء العلل التي تقعد بالحياة الادبية والفكرية دون ان تترعرع وتزدهر ، مع ايراد عدد من النظريات العلاجية في الموضوع ، واذكر للمجلة كذلك، عنايتها بتتبع بعض ما يصدر من انتاج محلي في شكل كتاب او غيره ، والتعليق عليه وتحقيق بعض التجاوب المنشود هكذا مع المنتج ، وآمل — على هامش هذا — الا تترك مثل هذه التعاليق للصدفة ، ودواعي المناسبة التي لا تسنح دائما ، بل يعمل على تخصيص ركن دائم لتتبع اصداء الفكر بالمغرب خلال الشهر ، لا في شكل سرد للانباء فقط بل في اطار حديث متناسق ينتظم اوجه النشاط الثقافي ، ويربط بين بعضها البعض مع ما يلزم من ايراد المآخذ وتسجيل المحاسن . ولا انسى — انه حقيقة ماثلة لحد الان — ما عنيت به المجلة منذ عدة اعوام

خلت ـ من اقامة موازين للنقد الادبي في مجتمع لا يحفل كثيرا بتتبع ما ينشر من آثار ، فاحرى ان تكون موضوع نقده او تعقيبه ، ثم ما كانت اداة له ، من مطارحات ومساجلات نقدية ، المؤسف فقط ، ان الذاتية تطغى فيها احيانا عدة . على جملة القيم العلمية والفكرية ، التي هي محور الموضوع النقدي المثار ، وهذا من مواطن الضعف الكبرى التي تسم الحياة النقدية العلمية عندنا بالتخلف، مثلما يتسبب الكسل العقلي ، وانعدام الاهتمامات الفكرية عند العموم، وعوامل اخرى غير هذه في تقليص ظل الحياة الادبية جملة في هذه الديار ، وتصنيفنا في عداد المجتمعات التي تعتبر شديدة التخلف في هذا الميدان .

لم تخصص المجلة عددا لقضايا النقد ومشاكله عندنا ، كما فعلته بالنسبة لبعض الموضوعات المهمة، كظاهرة الركود في الانتاج والاستهلاك الثقافي بمجتمعنا الحاضر ، لكن المجلة لم يضق صدرها ـ كما يبدو ـ عن نشر ما يرد عليها من نقد ونقد مضاد، بل انها ما برحت تبدي نوعا من التشجيع للناقدين على ان ينقدوا بروح علمية سليمة ، وتستدرج المنقود لهم ، الى ان يتقبلوا النقد بعقلية متفتحة ، ومتعاونة الامر الذي يعتبر من اجل ما تقدمه المجلة من خدمات لحياة الفكر والثقافة عندنا ، قد يفوق كثيرا ـ من حيث المبدا ـ مجمل ما تطلع به على الناس من الوان الكتابة في الميادين الاخرى غير النقدية ، لكن الذي نلمسه جميعا ، ان المقالة النقدية ، لم يتحقق لها عندنا من مظاهر التقدم والتطور ، مثل ماتحقق للمقالة الانسانية في مختلف ميادين الكتابة وفنونها ، فقد تفتح نشرة ادبية او علمية ، مما كان ينشر منذ عقدين او ثلاثة ، ثم تقارن محتواها بما ينشر الان من كتابات مختلفة ، فتجد الفارق كبيرا ، في كثير من الحالات ، وتجد باعتبار هذا الفارق ان هنالك تقدما ملموسا ، سواء بالنظر لتنوع المواضيع المطروقة ، او منهج معالجتها ، او اسلوب التعبير عنها او طريقة تقديمها ، وحتى صورة الاخراج التي تبرز به ، اما النقد ، وبالاخص ما يثيره النقد من ردود فعل عكسية، فان الروح التي تتحكم فيه ، والوجهة التي تسوده ، تكاد تكون هي هي ، قديما او حديثا ، مع غض الطرف عن بعض الكتابات النقدية القليلة ، التي تتوفر فيها بعض الشروط المتطلبة ، ولكن لقلتها ، لا تستطيع ان تخلق تيارا ايجابيا في حياتنا النقدية ، التي هي محتاجة الى الكثير جدا لتجد وتستقيم ،

ومن هذه الناحية بالاخص ، يبقى امام المجلة ، ميدان واسع للعمل البناء ، من اجل المساهمة في تطوير الفكرة النقدية عندنا ، واعطاء النقد منطلقات رحبة ، يسير منها ـ ولو متارجحا متذبذبا ، ولكن ليكتسب في الاخير ، قدرا من النضج ، ودرجة من الايجابية ، هما ضروريتان لكل بناء ادبي يعتد به ، فليس من حياة فكرية ، يمكن ان تثقف الشعوب ، وترسم لها معالم طريق عقلي واضح ومثمر ، ما لم يتدخل في ذلك عامل النقد .. النقد البصير الخبير الذي يجب تكون له مقاييس مضبوطة ، واهداف مرسومة ، وفي طليعة هذه الاهداف : ارتياد آفاق الحقيقة ، والجنوح عدا ذلك وروح نقدية من هذا النوع ، هي التي ينتظر من المجلة ان تعمل من اجلها ، كهدف جوهري ، لا يغمره اي هدف آخر ، وبذلك تكون قد ادت لقضية الفكر في هذه الربوع ، خدمة لم تستطعها منشورات فكرية صدرت قبلها لحد الان

يقول الكاتب الفرنسي « كايطان بيكون » في حديث له عن النقد : « .. ان النقد اليوم يستند الى الانسانيات في مستواها التاريخي والطبي وغيره ، وهو بهذا يستطيع ان يضيف الى العلوم الانسانية ، الشيء الكثير ، ومن الطبيعي ان يعتبر هكذا كعنصر اغناء واخصاب ، لا مجرد اداة للنقض والتقويض ، فالنقد مثلا يستبطن اللغة باعتبارها عاملا مهما في التعرف على الانسان ، وسبيلا للتنبؤ بكثير من النواحي المتصلة بالعلوم الانسانية المختلفة ، ثم انه من المعقول ان نعتبر النقد كقوة مهمة في الكيان الحضاري ما دام انه يقوم كوسيلة من وسائل المعرفة ، وكسبيل للنفوذ الى بعض مناحي هذه المعرفة ، والنقد يساعد ـ كذلك ـ على تقريب الانسان من الانسان : تقريب المؤلف اولا من القارىء ، ثم ايضا : تقريب المؤلف من نفسه هو ، فهو اذن نوع من الكلام ، الذي يمتن الوشائج ، ويربط الاواصر ، والنقد عبارة عن رد فعل طبيعي ومحتوم ، كحتمية الحمرة التي تعلو وجه الخجول ، او حركات المنفعل امام مفاجاة غير منتظرة، فالقارىء العادي عندما يتم قراءة الكتاب ، فان رد فعله ينحصر عادة في الاحساس بجملة من مشاعر الاعجاب او التحفظ ، او الاشمئزاز ، والنقد ليس في الواقع الا اداة شرح للتجربة التي يعيشها القارىء اثناء المطالعة ، وهو عوض ان يحجب شمس الكتاب ، فانه يعمق الاحساس بالسرور التلقائي الذي يشعه الكتاب على قارئه .. »

ومشكلة النقد عندنا تكمن في اننا ندرك هذه الحقائق ، مقتنعين بها ، بل وربما نبشر بها على

اشكال مختلفة ، ولكن هذا الاقتناع لم يتركز ليحملنا على اتخاذ موقف ايجابي من النقد وانزاله في محيطنا الفكري — على تواضعه — المنزلة التي له كأداة منتجة وجد نافعة ، بل اننا اذا استقرينا الوان الانتاج الادبي والعلمي والفني عندنا ، لرأينا ان النقد هو في آخر ما يمكن ان يذكر من الوان الانتاج ، وليس له في ديارنا رواد ومتخصصون مثل ما للشعر رواده ، وللمقالة خبراؤها ، وللكتاب المدرسي اساطينه وللوحات والالحان نبغاؤها وهكذا ، الى اي شيء يرجع هذا ؟ الى ما تتطلبه مهمة الناقد من ثقافة واسعة ، واطلاع متعمق ، وذوق حساس ، ونزاهة مثالية ، وغير هذا من المزايا التي لا تتوافر دائما في الفرد الواحد ؟ ام يعود الامر الى الشعور ، بان مهمة النقد ، هي مهمة المتاعب ، حيث انها في العادة ، لا تجلب لصاحبها ثناء او منفعة ، فيما تعرضه لسخط الاخرين ، وغضبهم ، وربما تخلق السخائم التي يمكن للمرء ان يكون في غنى عنها ؟ ام ان مرد الاهمال الذي يعاني منه النقد ، يكمن في مجرد لا مبالاة الكتاب به ، وعدم تقديرهم للدور الذي يؤديه في مضمار الفكر والثقافة والحضارة ببلد من البلدان ؟ استبعد — بطبيعة الحال — هذا الاحتمال الاخير ، لان المفروض ان اي صاحب قلم يمكن اعتباره ، لا يجوز ان يند عن ذهنه مقدار ما لنا من حاجة الى النقد ، بصفته ضرورة اساسية ، من ضرورات حياتنا الفكرية الناشئة ، ولا تنعدم في محيطنا الكفاءات — ولو نسبية — التي تتوفر عندها مقومات النقد وشروط الخوض فيه ، الا انه بالرغم عن ذلك ، فان ما يثيره النقد من ردود فعل غير هادئة ، وما يستحيل اليه من خصام مكشوف يستعمل فيه كل ما يستعمل في الخصام من ادوات ووسائل ، ان هذا من شانه ان يجعل عددا ممن يستهويهم الخوض في القضايا النقدية ان يحجموا لئلا يتسببوا — بنقدهم — في اثارة حالة فكرية لايمكن ان يستمرئها ذوق ادبي سليم . وقد تعرضت لهذا الموضوع في احد الاعداد الماضية ، آتيا ببعض الاسباب التي تساعد على استمرار حالة من هذا النوع ، لا تقبل النقد ان ينمو ويزدهر ، ولا تشجع النقاد والمنقود لهم ، على خوض هذا الميدان ، بما يلزمه من معقولية مطلقة ، ولا تربي في القراء حاسة تذوق النقد الموضوعي الخالص ، وتمكنهم هكذا من المساهمة في استدراج النقاد والمنقود لهم الى الالتزام لنهج نقدي من هذا الطراز ، وجعله المجال الوحيد لاجراء النقاش والحوار ، وقد ادلى غير واحد من الكتاب باراء مختلفة في الموضوع ، لكن هل يبدو ان هذا او غيره ، قد اجدى اي جدوى في اقامة سوق للنقد الادبي والعلمي يتسم ببعض الازدهار في هذا البلد ؟ بطبيعة الحال ، فان مجرد ادارة الحديث حول ظاهرة سيئة ما ، وبحث اوجه العلاج لها لا يؤدي بالضرورة ، الى تدارك ما تنطوي عليه هذه الظاهرة من سوء ، واصلاح الحالة ، الناشئة عنها ، ان القضية ، قضية تخلف النقد عندنا ، لابد ان تبقى قائمة مستمرة ، باستمرار هذه الاحوال النفسية والعقلية والاجتماعية ، الكامنة وراءها لان الامر يتعلق هنا بمظهر من مظاهر التخلف الفكري العام ، الذي نعاني منه ، والتخلف مركب شديد التعقيد ، لا يكفي مجرد التفكير فيه لمحاربته ، وتصفية اثره ، ان هذه المحاربة تتطلب معاناة شديدة للمشاكل الفعلية التي تخلق حالة التخلف هذه ، وتقتضي ايضا محاولة التجارب بشتى انواعها، والتارجح بين السير والتعثر ، والسقوط والنهوض ، قبل التوصل الى خط سير منتج وسليم ، ان علينا لكي ننمي اقتصاديا واجتماعيا ، ان نمارس عمليا طرق التنمية ووسائلها ، لا ان نفكر فيها فقط ، وبنفس المنطق ، فان علينا لكي نخلق حياة نقدية ذات قيمة تذكر ، ان نمارس عمليا مشاكل النقد ، ونعانيه معاناة جدية ، بكل ما يلزم عن المعاناة ، من مواجهة واقع ، واحتكاك به .

ان سبيل الممارسة — ولو دون سابق استعداد كامل — هو ضرورة لا مفر منها اذا كانت هذه الممارسة تؤدي الى اكساب الممارس جملة من التجارب والمهارا ت، ربما لا يحصل عليها ، اذا كان عليه ان يبقى متوقفا عن محاولة اي شيء ، في انتظار ان يتم له الاستعداد الشامل الكامل ، فاستمرار المحاولة النقدية، سيبقى ضرورة ملحة لفكرنا العلمي والادبي في سبيل التوصل — ولو في الامد البعيد — الى خلق تقاليد نقدية عندنا جديرة بالاحترام ، واقامة مقاييس للفكر في بلدنا ، تتبلور من خلالها شخصيتنا العلمية والحضارية بين شخصيات الامم على هذا المستوى .

ولا يجب ان يفهم من هذا ، اطلاق العنان لكل المحاولات ، مهما كانت النقائص التي تتسم بها ، والانحرافات التي تفرضها على محيطنا الفكري الذي

لا يزال ضيقا ومحدود الافق في كل شيء ، ان في المستطاع ان نفهم اعجاب العقليات النقدية من هذا النوع ، ان المجال ليس مفتوحا لانتشار آثار عقلية غير متثبتة ولا ملتزمة في مجتمع متخلف ، يعاني الادواء من جميع الاصناف ، ومن ابرزها : ضعف الشعور بالمسؤولية العلمية ، وقلة اللجوء الى تحكيم المنطق العلمي ، في المستطاع افهام الناقدين من هذا القبيل ، شيئا من هذا القبيل ، ولو بالوسائل السلبية التي تتفق مع عقلياتهم السلبية ، اي الامتناع عن النشر لهم ، ما دام ان هذا النشر لا ينطوي على مبادرة مخصبة ، تعطي لدنيانا الفكرية شيئا يذكر ، وعدا هذا الضرب من النقد ، الذي يمكن ان يسهم في نشر العقد السلبية في مجتمعنا اكثر مما يرسم سبيلا او يبلور هدفا، او يخلق مجالا معطاء — فان المحاولات النقدية الاخرى التي قد تتوفر فيها بعض الشروط المطلوبة — ولو بصورة نسبية — يجب ان ينظر اليها ، على انها تشكل خطوات مهمة في دنيا الفكر عندنا ، لا يغني غناءها شيء آخر ، ان المادة العلمية والادبية والمناهج التي تعرض بها ، مثل ما تنشره هذه المجلة — مثلا — من الوان الفكر ، والاجتهاد ، والنظر والتصحيح ، والتنسيق ، والتلخيص ، يمكن ان يقوم بالدورين المزدوجين اللذين هما ميزة كل كتابة عميقة الغور ، وذات عطاء وافر : الدور الانشائي ، وهو الوسيلة الى تزويد القراء ثقافيا ، واشباع الرغبة الطبيعية في الاستطلاع والتعرف على الاشياء ، والدور التوجيهي الذي يحيل كل ما ينشر ، الى مادة للنقد التوجيهي نتعرف من خلاله ، الى ماتنطوي عليه الآثار المنشورة من ثراء فكري ، لا يظهر بالصورة الكافية ، لذهن القارىء العادي ، وما تعكسه القصيدة او المسرحية او القصة او غيرها من الوان وظلال ، وما يتبلور من خلالها ، من فلسفات ومرام فكرية ، ربما لا يجلوها النص الاصلي الا بلغة رمزية او باسلوب شديد التركيز ، لا يتبين ابعاده الفلسفية او التعليمية الا الناقد الخبير ، ان في مستطاعنا ان نشبه الموضوع المعروض ، بما كان يدعوه الاسلاف بالمتن ، ولكن المتن ، كان يحتاج في كثير من الحالات الى الشرح، فلماذا لا يعتبر الناقد اليوم ، بمثابة الشارح ، الذي كان يتولى تحليل النصوص ، وتجلية محتوياتها بالامس؟ مع مراعاة الفروق الموجودة ، بين مقصد الشارح الذي يستهدف التوضيح والتفسير ، قبل كل شيء وربما ينظر الى الموضوع نظرة جد مجزئة ، بحيث يتتبع النص كلمة بكلمة ، في بعض الاحيان بينما الناقد الذي قد يعنى بالشرح والتوضيح كذلك ، ولكنه يتخذ هذا الشرح للنفوذ الى اعماق الموضوع عموما ، وسبر اغواره ، وبلورة قيمته الاجمالية بما تحمله من عناصر ضعف وقوة ، ومقدار ما يعكسه من آيات تجديد او ما يظهر من خلاله من روح نقل وتقليد .

ان هناك مجالا على هذا النحو ، لتبين فروق بين الشارح والناقد ، ولكن هذه الفروق ليست حتمية ، ولا جوهرية في كل الاحوال ، فالناقد اذ يحاول النفوذ الى صميم القيم الفكرية والتعبيرية التي يحتويها الموضوع الذي هو محط الاختبار وسبر الغور ، وذلك ليتبين وزنها العلمي او الجمالي وحظها من المعقولية او الذوقية ، فهذا يقوده بالضرورة الى ايراد عدد من التحليلات في الموضوع ، مع تعليل ما يراه مقبولا او مستجادا من النقط ، وتبرير ما يرفضه من النقط الاخرى غير المقبولة ، وابراز المحاسن المستورة ، وكشف النقائص اذا كان هناك من نقائص ، وتكميل الثغرات التي قد تكون موجودة، واستبعاد الزوائد التي قد تكون مقحمة ، وتضافر كل هذه العبارات من الناقد ، من شأنه ان يلقي على الموضوع اضواء ، ربما لم تكن منعكسة عليه من قبل ، ويجلوه لذهن القارىء بما يجلو به الشارح مسألة يشرحها ، وقد يكون شرح الناقد للموضوع على هذا الغرار ، اكثر توضيحا له من شرح الشارح العادي وقد كان اسلافنا ، شراح المتون والمحشون عليها ، يمزجون في عدة احيان بين الشرح والنقد ، اعتقادا منهم على ما هو ظاهر ، ان النقد يزيد في بلورة المسائل المراد شرحها ، ويمنح امكانيات جديدة لفهم الموضوع ، واستيعابه ، وادراك الملابسات والهوامش ، التي ربما تكون مرتبطة به .

والنقد بهذا القياس — هو مبادرة ايجابية تستهدف تنمية رصيد الموضوع من المعاني ، وترميم الصدوع والثغرات التي قد تنقص من قيمته العلمية او الجمالية ، ويجب ان ينظر الى المبادرة النقدية بهذا المنظار حتى ولو كانت هذه المبادرة تنزع الى معاكسة فكرة ، او نقض حجة ، اذ ان هذا النقض والمعاكسة ، قد يكون المنطلق للناقد ، الى ترميم الهيكل الذي تقوم عليه الكتابة المنقودة ، ورأب الصدوع التي قد تكون موجودة فيها .

ولاشك ان السؤال سيعيد نفسه من جديد : هل المثالية النقدية موفورة عندنا بهذه الصورة

والحال اننا نشكو من جمود النقد عندنا ، وتخلفه الواضح عن مستوى الكتابات غير النقدية ؟ الحق ان ما يمكن ان يوصف به النقد عندنا من جمود وتخلف، هو مما لا يماري فيه احد على ما يظهر ، غير ان الجمود كما قدمنا لا يسوغ ان يحارب بالجمود والوسائل التعلمية ، فليس هناك بديل عن الجمود الا الحركة ، وقد رأينا من قبل ان من اولى مهام الصحافة العلمية ان تعمل على خلق العوامل الفعالة ، او بالاقل خلق الظروف العقلية المؤدية لتطور الحركة ، وتمخضها عن شيء يعتبر ؛ لكن الجدير بالاهتمام بهذا الصدد هو نشوء حياة جامعية في بلادنا والاثر الذي اصبحت تحدثه الجامعة في نشر الروح العلمية الخالصة ، واستدراج المتعلمين الى التشبع بروح نهج جامعي هو نهج نقدي بقدر ما هو نهج استكشافي واستعلامي كذلك ، واكبر هم الجامعة ان تروض العقول على التشبع بروح هذا النهج ، واتخاذه سبيلا دائما في دنيا الفكر والثقافة ، ولاشك ان الاثر الذي تحدثه الجامعة في وسطنا بهذا الشأن هو اثر بطيء جدا ، لا ينتظر منه ان يقلب الوضع الفكري عندنا بسرعة قياسية ، الا ان هذا الاثر موجود ، ويتجلى في طريقة العرض والاستنتاج التي تصاغ بها بعض الكتابات التي تنشر لجامعيين بين الاونة والاخرى ، وان لم تكن هذه الكتابات كتابات نقدية مباشرة ، غير ان روحها تدل على وجود امكانيات نقدية مهمة ، لابد ان تستغل لتساهم في فتح مجال ما لنشوء فكر نقدي محترم . واذا اشرنا من قبل — الى دور الصحافة العلمية في هذا الموضوع ، فلان هذا النوع من الصحافة ، يستطيع ان يهيء المجال المناسب لاستغلال الامكانيات الموجودة ، التي تنمو نواتها في ظل الثقافة الجامعية ، ولكنها تحتاج لقدر من الاحتكاك بالواقع الفكري — ولو كان متواضعا — الذي يسود البلد ، فاذا تم هذا الاحتكاك ، فان الرأي العام العلمي والادبي لابد ان يستفيد من ذلك استفادة طيبة ، ويكون بذلك دور الصحافة العلمية ، التي هي مجال هذا الاحتكاك واداته مكملا ، او بالاقل مبلورا لدور الجامعة ، الذي هو دور رئيسي بهذا الصدد .

وتقوم الثقافة التي تبثها الجامعة على اهداف مهمة من بينها : ربط الفكر المحلي بالفكر العالمي ، وتطعيم الثقافة القومية هكذا بعناصر الثقافات المختلفة في العالم ، سواء الاسيوية منها او الاوربية ، الامريكية او الافريقية ، القديمة او الحديثة ، ليحصل من ذلك المزيج الثقافي المنشود ، الذي يمكننا من ادراك الاسس الفكرية ، القائمة عليها الحضارة ، والتجاوب معها ، بما يكفل المشاركة في البنيان الحضاري الانساني مشاركة مثمرة ، واذا كان هذا الالمام الفكري بالحضارة ، وهضمها عقليا — هو هدف جامعي ، فهو كذلك هدف ثقافي عام تنشده كل حركة ثقافية عصرية ، استطاعت التحرر من سلبيتها وجمودها ووعت دورها الكامل الذي يفرضه عليها عصر التقنية والاتصال المباشر بالفضاء .

ان توسعا ثقافيا على هذه الوتيرة ، يفرض على من يبتغونه التزود بقدر كبير من التحرر العقلي، الذي يستلزم التجرد من النزوات الفكرية الضيقة ، والتفتح على عقليات الاخرين ، واذواقهم ، ومشاربهم ، ومن موجبات هذا التحرر ، توفر حاسة نقدية سليمة عند المثقف ، تمكنه من النظر في انواع التراث الاجنبي نظر المتبصر الخبير ، وتزوده بالقدرة على تقييم الافكار والتعابير التي يتاح له الاحتكاك بها تقييما امينا ، يجنبه سوء الانزلاق وراء التقليد المتهافت ، كما يبصره بمواطن الاقتباس الحصيف ، والانفعال الايجابي المثمر :

ان التعرف على الاثار الاجنبية في ميدان الادب كما في ميدان الفن ، هو من اسهل الاشياء واصعبها في نفس الوقت ، هو سهل اذا اقتصر في التعرف هذا ، على مجرد الاطلاع السطحي ، بفهم او بلا فهم ، وبدون الاعتماد في ذلك على مقاييس ومستهدفات بعيدة الاجل ، وهو صعب اذا كان المراد منه التغلغل عقليا ووجدانيا في العوالم الفكرية والذوقية الاجنبية ، واستشفاف الاثار التي تزخر بها هذه العوالم ، والحكم عليها ، والاستفادة منها في اقامة بنيان فكري سليم ، ان الفنان الواعي لمسؤولياته الفكرية ، لابد له — بهذا الصدد — ان يعرف الكثير عن المدارس الفنية الاجنبية القديم منها والحديث ، ويدرك نكهة كل مدرسة وتقاليدها وما لها من صلة بالمدارس والتيارات والنزعات الفنية الاخرى في العالم ، ومن شان هذا ان يدعوه الى اجراء المقارنات العميقة الواسعة بين الاعمال الفنية الكبرى ، والاثار الشهيرة في عالم الفن ، الفن الاغريقي ، او الهندي او القوطي ، او الافريقي ، او البيزنطي ، او التكعيبي، او التعبيري ، او غيره ، بل ان التيارات الفنية الاكثر حداثة والتي لم تستقر بعد على اساس نهائي ،

لابد ان تدعوه كذلك الى التعرف عليها ، والاحاطة بما تتميز به من ميزات جديدة وما تخلقه من قضايا على الصعيد الانساني او التقني او غيره ، واذا لم يكن الفنان مطالبا بكل هذا ليمارس عمله في الخلق الفني تقليدا او ابداعا ، فان المعنيين بشؤون النقد — في هذا الميدان — لا معدى لهم عن التزود بوسائل المعرفة وسعة الفكر من هذا القبيل ، وكذلك الامر بالقياس للاديب ، او بالاحرى الناقد الادبي ، الذي ليس عليه ان ينقض الا ليبني ، ولا مفر له من مزيد الاطلاع على الآداب العالمية المقارنة ، الكلاسيكية منها والمستحدثة ، ليمكنه وضع القدم على ارض علمية ثابتة ، وليستطيع الرؤية البعيدة التي تستجمع العناصر الشتيتة ، والآفاق المترامية، واطلاق الاحكام من خلال ذلك كله ، على قاعدة موثوق بها نسبيا .

واذا كانت حصيلة المعرفة عندنا محدودة جدا ، لاتبيح وجود كثير من النقاد من هذا المستوى ، فان ذلك لا يمنع ان يكون من اهدافنا في هذه اللمحة من نهضة الفكر التي تلمع عندنا الآن — المساعدة على خلق الجو العلمي المناسب الذي يلد عقولا ناقدة من هذا الطراز ، تضع ايدينا على مواطن الجودة الفنية والادبية والعلمية ، نحس بها ونتذوقها ، ونجد لها تأثيرا طيبا في محيطنا الفكري المحلي والعربي ، وترينا مظان الضعف والتهلهل والتهافت لنتعود بحسنا وعقلنا تجنبها ، او بالاحرى الوقوع فيها اقل ما يمكن .

وقد اصبح من التقاليد الشائعة في الغرب ، ان النقاد هم الذين يتولون التعريف بالادباء والفنانين وغيرهم من المنتجين الى العموم ، عن طريق ما يقومون به من تحليلات لانتاجات هؤلاء المنتجين ، وما يبلورونه ضمن هذه التحليلات ، من افكار وقيم ومقاييس ، وصور واشكال ومفهومات ادبية وفنية ، تلفت نظر الرأي العام الثقافي الى الاثر المتناول بالنقد ، وتلقي الاضواء على المدرسة التي ينتمي اليها صاحب هذا الاثر ، او المذهب الذي ابتدعه ، او الطريقة التقليدية ، او الجديدة التي سار عليها في كتابته او رسمه او لحنه ، ويلعب النقاد كذلك دورا اوسع نطاقا من هذا فهم — كأصحاب الترجمات — يتولون ترديد اصداء الفكر الاجنبي للقراء ، كل على طريقته ، ويلقون الاضواء الفاحصة على ما يروج خارج بلادهم من نزعات فلسفية او علمية او فنية او غيرها ، وعن طريقهم — في كثير من الاحيان — ترتسم للقراء المحليين الصورة التي لهم عن الآداب العالمية ، وحركات العلوم والفنون والافكار في مختلف الاصقاع الاجنبية ، وللنقاد عندنا — بهذا الشان — دوران مزدوجان يمكن لهم ان يؤدوهما ، فلهم سبيل واسع الى العمل على تقريب ثمرات الثقافة العالمية ، الى اذهان العموم المثقف عندنا ، وتطعيم الشجيرات الفكرية في هذا البلد باعمال جيدة ، وهي لما تعد بعد درجة النشوء الاول ؛ والمفروض ان لهم من الحاسة النقدية «1» ما يمكنهم من الالتقاء المثمر مع التيارات الفكرية الاجنبية والانتقاء منها ما يمكن التقاؤه ، وتقديم صور مختلفة منه ، ونقد ما يمكن نقده منها ، او ترديد اصداء النقد الذي راج حولها في بلدها او في بلدان اخرى من العالم وبذلك يمكن ان يسهموا في خلق جو نقدي عندنا ، وان كان خلق هذا الجو يتوقف قبل كل شيء على ما يجب ان تحدثه المبادرات الفكرية هنا ، من اصداء نقدية ، لا غنى عنها لتركيز حاسة النقد في محيطنا ، وخلق تقاليد نقدية محلية اصيلة ، هذا من جهة ، ومن جهة اخرى ، فان الناقدين ، اذا ما نجحوا في اخضاع ثمرات الفكر عندنا لمقاييس النقد الدقيق المحكم ، فان هذه الثمرات لابد ان تغنى ، بذلك وترتفع نسبة الخصوبة فيها ، وذلك ما يجعلها اكثر لفتا لنظر الغير من النقاد الاجانب ، واشد اغراء لهم على نقلها ، والتعريف بها او بالاقل ترديد اصداء لها هنا وهناك في اوساط الاهتمام الثقافي بالعالم ، ان اللغة الاصلية التي يكتب بها اثر ادبي ما تضفي عليه في الغالب ، قيمة تعبيرية جذابة يحرم منها في عدة احيان عند نقله الى لغات اخرى ، سيما اذا كانت اللغة المنقول اليها بعيدة جدا عن روح وذوق اللغة الاصلية المكتوب بها الاثر ، وكثير ما يغفل المنتجون مثل هذه الاعتبارات فتراهم يعتمدون كثيرا في تركيز قيمة انتاجاتهم على الملابسات الادبية — اللغوية التي تتاح لهم في نطاق ثقافتهم القومية والمحلية ، حتى اذا ما نقل الاثر من هذا النوع الى غير ذلك من اللغات ، فقد الكثير من مزاياه ، وربما وجد تافها او قريبا من ذلك

«1» نفرض هذا على اساس الاحتمال بان النقد يمكن ان يتطور عندنا ليصبح اداة فكرية فعالة على هذا المستوى

في بعض الاحيان . وليس لادب اي شعب حظ في التوسع الخارجي ، اذا كانت عقلية اوليائه عقلية من هذا الطراز : عقلية لفظية ، تقيم الوزن للقالب التعبيري المحلي ، اكثر مما تاخذ بهمها محتوى الانتاج الموضوعي ، وما اذا كان هذا المحتوى غنيا او فقيرا فيما يقدمه من تغذية ثقافية او يكشفه من حقائق او يحققه من تقدم وتدخل الناقد — في هذا المجال — ضرورة فكرية لا محيص عنها ، فالامكانيات الفكرية في مجتمع ما قد تكون على درجة من الخصب والغنى في الاصل ، ولكن رواسب عقلية وسيكولوجية آتية من عصور الانحطاط يمكن ان تغطي هذه الامكانيات بطبقة سميكة ، فلا تعبر عن وجودها ، ولا يظهر لها اثر فيما يفرغ اليه القوم من انتاج ، وقد يكون الانخفاض نسبة المحصول الثقافي في المجتمع ، وانعزالية الفكر عن روافد الثقافة العالمية ، والكسل العقلي ، الذي يغري بالسطحية والجوفائية ، قد يكون ذلك سببا في ضآلة القيمة الثقافية التي يحتويها الانتاج الرائج ، حيث يستعاض عن التركيز على الجانب الفكري بتركيز اكثر ، على الجانب التعبيري الذي لا يحتفظ — كما تقدم — بقيمته الاصلية عند ما ينقل الى اللغات الاجنبية الاخرى ، ومن مهام الناقد ان يعمل على اشاعة روح المسؤولية الفكرية بين المنتجين ، فلا يترك للفظية والحشوية هكذا سبيلا للسيطرة على صور الانتاج المعروض ، بل يزن القيم الفكرية ثم القيم التعبيرية ويعطي كلا منها ما يستحق ، مبرزا خلال ذلك كله القيمة الاجمالية للموضوع ، وما اذا كانت له اهمية ما خارج الاطار التعبيري الاصلي الذي صيغ فيه ، وهل له — بنتيجة ذلك — ما يفيد به الاخرين من يقراونه في المجتمعات الاجنبية المختلفة ، ان النقد عندما تتركز له اصول وقواعد في بلد ما ، وتصبح له تقاليد اصيلة ، تقوم على نوع من التعاقد الضمني بين الاطراف الثلاثة التي يعنيها الامر : المنتجون والنقاد والجمهور القاريء ، عندما يصبح للنقد اساس ثابت على هذا النحو ، فانه لابد ان يؤدي الى خلق مقاييس مسلم بها عموما ، لضبط العمل الفكري ، وتحديد الصورة الضرورية التي يجب ان يكون عليها ، الصورة التي تشع منها روح المسؤولية الفكرية ، والرغبة في اعطاء شيء ايجابي لا لعموم المحليين فقط ، بل لكل من يقرا الاثر المعروض باية لغة كانت ، وفي اي بلد كان ، وهذه مهمة اذا كان النقد من العوامل التي توفي بها فانه يجب ان يعتبر بهذا في طليعة القوى التي تكسب ادب امة ما ، مكانته المرموقة ، وتعطي لتوسعه ابعادا رحيبة جدا .

تقدم لنا في الفقرة السابقة ان الاطراف التي يجب ان تتضافر جميعا ، لانجاح الفكرة النقدية في محيط فكري ما، هي ثلاثة : المنتج والقاريء والناقد ، وهذا الاخير يقوم — كما راينا — كقطب الرحى في العملية الفكرية من اساسها ، لكن الدور الذي يقوم به المنتج بهذا الصدد ، لايقل اهمية ، وهذه الاهمية لا تاتي من كونه منتجا فحسب ، بل ايضا بصفته منقودا له ، ان هذه الصفة الاخيرة ، هي التي تعنينا في هذا المقام بالذات ، لان عليها يتوقف الى حد كبير توصل العملية النقدية الى نتيجة فكرية تذكر ، وانعكاس آثار مفيدة من هذه العملية على مجموع الحياة الثقافية بالبلد ، وهذا جوهر التطور في النظرة والراي الذي يجب ان يحصل للمنقود لهم ، وان كان مثل هذا لا يعزب عن اذهانهم اطلاقا من ناحية مبدئية غير ان هذا الالمام المبدئي بالمسالة لايكفي ، اذ من الضروري بعد ادراكها ، التشبع بها الى حد ان تصبح جزءا من تفكير المرء وميوله الثابتة ، ولابد ان يعترض المنقود لهم — بان اصحاب النقد لا يستمسكون في كثير من الاحيان — بالالتزامات المبدئية الضرورية التي يفرضها النقد الهادف السليم ، غير ان هذا الاعتراض لا يجب ان يبرر مبدأ انكار النقد او الامتناع عن التعاون مع النقاد والمعقبين ، ومن في حكمهم ، لماذا ؟ لان هذا التعاون — كما تقدم — ضرورة لا غنى عنها في الموضوع ، ولان مسؤولية توجيه النقد ومراقبته والاشراف على معايره ، امر لا يعني النقاد فقط ، بقدر ما يعني المنقود لهم ، بحكم الصفة التي لهم كمنتجين ، اي كذوي مبادرات خلاقة في دنيا الثقافة والفكر ، وصاحب المبادرة لا يجب ان يتخذ المبادرة ، وهذا كل ما يهمه وكفى ولكن عليه — اذا اتخذ المبادرة — ان يسهر على نجاحها — ما امكن — ويتتبع المدى الذي يجب ان تنتهي اليه وما اذا كانت قد اسهمت في حظوظ حركة البعث الثقافي العام، الذي يجب ان يكون محور كل الجهود الفكرية المبذولة ثم ان صاحب المبادرة ، عليه ان يكون ارحب صدرا ، واوفر حلما ، مهما كانت طبيعة النقد الموجه الى انتاجه ، لماذا ايضا ؟ لانه هو في الواقع مثير القضية المثارة وعامل وجودها ، فلولا ما يبرزه من مسائل كامنة ، وما يخلقه من صور واشكال قد تكون مثيرة وما يوجهه هو نفسه من اعتراضات وتنبيهات مختلفة ، وما يصطنعه لاثبات نظرياته من حجج وبراهين متعددة

لما وجد داعي الاستجابة عند البعض من الكتاب، فانبروا لابداء ما يعرض لهم على ذلك من نقد او توجيه ، قد يشط بهم احيانا عن الحد الطبيعي ، ولكن عيب ذلك لا يرجع الى المنقود له اطلاقا، اذ ليس هو المسؤول عن انحرافات الآخرين ، وتجاوزاتهم الاعتباطية للحدود ، وانما الامر معه ينحصر خاصة في المسائل المثارة ، وما يدور حولها من نقد ونقد مضاد .

ومما يتصل بهذا ، ما يجب ان يذكره المنقود له ـ وكل واحد معرض لذلك ـ انه لابد سيستفيد من عملية النقد من جانب خلقي ، اذا لم يستفد من جانب علمي ، هب ان الناقد لم يات باي شيء يعتد به ، فيما كتبه من نقد ، وانه ربما جانب جانب اللياقة ، فيما صاغه من تعابير ، او شط عن الجادة المنطقية او العلمية ، فيما ساقه من حجج واستنتاجات، ان المنقود له في هذه الحالة ، سيجد نفسه ـ ولاشك ـ امام حالة غير علمية يمكن دفعها كذلك بالوسائل غير العلمية ، اي عن طريق الاعتماد على الاسلوب الساخر ، وتحويل الحوار عن الموضوع المتناول الى الدوران حول الذات ، ذات الناقد او المنقود له، غير ان المنقود له سيستفيد ـ عوضا عن ذلك ـ فائدة حقيقية ، اذا روض نفسه على عدم التاثر بالزوائد الذاتية ، ولم يلفت نظره الا ما يتعلق بصميم المسالة العلمية المثارة ، واهمية هذا الامر ، لا ترجع الى اعتبار خلقي عادي ، وانما ترجع اكثر من ذلك الى موضوع الخلق العلمي الذي هو صفة لازمة لكل حياة علمية صحيحة وناجحة ، الخلق العلمي ليس قيمة فلسفية مجردة ، انه ذو اهمية عملية جدا ، وبدونه لايتحقق من العمل العلمي ، ما ينتظر منه من جدوى ، لماذا ؟ لان الخلق العلمي يقتضي غض الطرف عن الحشو الزائد ، ويرفض الخلط الاعتباطي بين المسائل ، ويتنافى مع التسرع والمجازفة في اصدار الاحكام ، او تقبلها اذا كانت صادرة بهذه الروح عن الغير ، ويترفع عن النظرة القصيرة غير المستوعبة ، الا اذا كانت سبيلا لتكوين النظرة البعيدة الشاملة ؛ كما انه يتابى عن الخيالات العفوية السارحة ، والا اذا اتخذت افقا مصطنعا لتصيد الحقيقة الموضوعية وتثبيتها، ويتحاشى عن التلميحات غير المحددة ، والرموز المبهمة ، فاحرى ما يقصد به من ذلك اللمز او الغمز ، فكل ذلك لا يستقيم مع الصفة العلمية الجادة ، وللمنقود لهم امكانية مهمةلاعطاء المثال عن عقلية علمية من هذا القبيل ، وخلق الجو السيكولوجي الصالح لبروزها في بيئتنا الثقافية المتطورة ، فربما يكون ذلك ادعى الى اعطائها مكانة ملفتة النظر ورب مثال عملي يعطي افيد كثيرا من دروس عديدة تلقى . ان مثل هذه المواقف لا يمكن الاعتماد عليها في تكوين عقلية نقدية عندنا تتسم بما يجب ان تتسم به العقلية النقدية الكاملة ، فتكوين هذه العقلية ، يعتمد على جملة من العوامل المتشابكة تتعلق بمجموع الاتجاه ، الذي تتخذه الحياة العلمية في البلد ، والى ذلك ، فهذه العوامل ذات تاثير بطيء ، لا يمكن ان يعطي ثماره بصورة معجزية اطلاقا ؛ انما هناك ـ كما تقدم ـ ضرورة لتعزيز عمل الجامعة في هذا المضمار ، وذلك يمكن ان يتاتى منه شيء ، اذا تضافر المنقود لهم ، على اقامة جسر لنشوء تقاليد نقدية عندنا محترمة ، اولا ، بما يراعونه من شروط الروح العلمية ما امكن ، فيما ينتجون ، ثم بتحكيم الروح العلمية كذلك في تكييف ردودهم على ما يوجه اليهم من نقد .

ويبقى هنا حيز صغير للنظر في امر القراء بالنسبة لهذا الموضوع ، والراي ان هؤلاء لابد ان يوخذوا الى حد ما بما عليه امر صاحب الانتاج المقروء ، سواء كان ناقدا او منقود له ، لا يقصد بذلك ان جمهرة القراء ، ليسوا الا شيئا سلبيا في هذه القضية ، ولا فاعلية لهم فيها تذكر ، ان وزن القارىء الواعي في مسالة النقد كوزن المنتجين والنقاد، سواء بسواء ، بل ان تاثير القراء في توجيه روح النقد ، قد يكون ذا اهمية اكثر ، وذلك لما يمارسونه من تدخلات ـ ان تدخلوا ـ تعيد الكاتبين الى الصواب « كما ان لتشجيعهم او اعراضهم ـ اذا كان صادرا عن اقتناع سليم ـ اهمية في الموضوع لا تخفى ـ غير انه لا يجب ان ننسى انه في بلد نام كبلدنا، فان عددا ممن لم تكتمل لهم تجربة ثقافية ولاسباب اخرى غير هذه ، يجوز ان يكونوا مستعدين للتاثر بالامثلة النقدية غير الصالحة التي تعرض عليهم ، وقد يكون هذا التاثر سطحيا في كثير من الاحيان، الا انه اذا تعمق وانتشر ، فانه قد يخلق عند البعض شعورا بالرغبة في التفرج على المتصارعين ، وما يخرجه كل واحد من كنانته ، ومثل هذا الشعور ، لا يحقق اي عنصر ايجابي فيما يستهدف من وراء الكتابة بصفتها مدرسة لبث الوعي والمعرفة بين الجمهور ، ولا اعتقد ـ بكل تاكيد ـ ان اي احد ممن يخط الكلمة ، يرتضي للقلم ان يكون اداة لغير العمل على بث الوعي والمعرفة بين الجمهور .

سلا : المهدي البرجالي



للأستاذ محمد زنيبر

هنالك نوع من النقد لا يستفيد منه صاحبه الذي كتبه ولا ينتفع منه القراء ، بل لربما احدث تشويشا في فطرتهم السليمة التي كانوا بها يدركون الاشياء في نصاعتها ووضوحها . والنقد سهل ، ميسور لاي كان ، اذا اعتبر انه اداة هدم وتحطيم ولكنه صعب لا يتاتى الا للقليل اذا اعتبر انه سبيل من سبل الوصول الى الحقيقة ودراسة متانية مستقصية تهدف الى اصدار الاحكام العادلة وتقويم الاشياء حسب قيمتها الحقيقية بالقياس الى الزمان والمكان ، وبالقياس الى المثل الاعلى اذا كنا نؤمن بازلية المقاييس واطلاقيتها .

لذلك فان النقد نفسه يحتاج الى نقد ، كما ان الحكم القضائي الابتدائي يحتاج الى استئناف امام محكمة اعلى واقوى خبرة . ونحن اذا القينا نظرة عابرة على المحاولات النقدية التي بدات تظهر عندنا في هذه الفترة التي لا زال فيها ادبنا وتفكيرنا في طور النشوء والطفولة ، نجدها لا تخلو من ذلك النوع العقيم الذي استهللنا بذكره هذا المقال . فانت تقرأ المقال النقدي من الاول الى الاخر وتتساءل : ماذا اراد الكاتب ان يقول في النهاية ؟ واي فائدة سيجتني القارىء من وراء كلامه المسهب ؟ هل استطاع ان يميز الجيد من الرديء والصحيح من السقيم كما يقتضيه معنى كلمة النقد ومفهومها في مختلف الاداب العالمية أم هو حمل معولا وصار يهدم ويحطم في حركة عشوائية ويحرق الاخضر باليابس ؟

الناقد يجعل نفسه في مركز قوي ، محترم لانه يجلس في مقعد الحكم ، والحكم يتمتع تقليديا بنوع من الشفوف والتقدير ، لكنه ما يحصل على هذه الامتيازات الا مقابل شروط يجب ان تتوفر فيه اهمها الانصاف والتجرد ، وما تقتضيه هذه الصفات من الاخلاص للمهنة والتزود بالثقافة الكاملة والخبرة التامة ، حتى تبرا احكامه من علل السطحية ، والجهل وسوء الادراك وحتى تكون لديه مقاييس متينة استخرجها من اطلاع واسع وعلم غزير .

ثم ان النقد له بعد هذا وذاك هدف يتجاوز الاثر المدروس ، ويسعى على قدر طاقة الناقد ومواهبه ، الى خلق فكرة جديدة عن الحقيقة والجمال والفكر الانساني ، بالرغم مما قدمه اليه المفكرون والادباء والفنانون والفلاسفة على اختلاف انواعهم من من اغذية كثيرة ومختلفة ، لا زال متعطشا الى المزيد من المعرفة بالحقيقة والجمال ، ونحن نكتشف مع كل ناقد مخلص لفنه من اين يتذوق الجمال ومن اي نافذة يطل على الحقيقة ، فنسير معه في طريقه الخاصة ونطلع على سره ونشعر في النهاية باننا انمينا معه معلوماتنا وثروتنا الفكرية .

ومن بين الاهداف التي يتوخاها النقد الصحيح الربط بين ما يكتب وبين العصر والبيئة التي يبرز فيها الانتاج ، لان الكتاب غير منزهين عن الوقوع في بعض الورطات ، وهم ، قبل كل شيء ، بشر تغلب عليهم اهواؤهم ، وتزيغ بهم شهواتهم . فالناقد ينبه الكتاب الذين ينحرفون عن دورهم الاجتماعي او الذين يتناسون بالمرة انهم يعيشون في بيئة معينة . لان الحقيقة والجمال اللذين ينشدهما الناقد واللذين يجب ان يسعى اليهما الكاتب هما حقيقة وجمال بالنسبة لمجتمع معين ، وآفة الكاتب والمثقف بصفة عامة في الاقطار النامية هي

انه يعيش بين عالمين متباينين : العالم الاجنبي الذي تلقى منه ثقافته وظل على اتصال به ، والعالم القومي الذي يعيش فيه حسيا والذي يجب ان يسعى في ترقيته ويكون عند خدمته .

نعم ، يجب على الكاتب والمثقف ان يظلا على اتصال وثيق مع الثقافات الاجنبية الراقية وان ينهلا منها دون حد ولا نهاية ، ولكن عليهما ان يجدا الاسلوب المناسب لتحويل هذه الثقافات الاجنبية الى ثقافة تتلاءم مع مستوى البلاد التي يعيشان فيها وتستجيب لحاجياتها المادية والمعنوية . وقد ينحرف الكاتب احيانا عن هذا الدور الطبيعي ، فينساق مع هؤلاء ويتزيا بزي اجنبي فيردد اصداء لا تنسجم مع الوسط الذي يعيش فيه ، فهي كالقبعة اذا لبسها صاحب الجلابية والقفطان .

وفرق بين هاته الفكرة التي ابسط هنا وفكرة الجمود التي قد يتعلق بها بعض المتخلفين عن الركب، فالمحافظون والجامدون يعتقدون ان ما لديهم احسن مما عند غيرهم ، وانهم في غنى عن كل اقتباس وكل استيحاء . مكابرة في الاعتراف بالفضل للغير وعتوا في الدفاع عن التراث ومخلفات الماضي .

وهذا موقف بين الخطأ . اما الموقف الصحيح في نظري فهو مبني على كثير من التواضع . اذ يتضمن اعترافا صريحا بالتخلف عن الدول الراقية في الميادين العلمية والفكرية . نعم ، نحن بعيدون عن المستوى الذي وصلت اليه الدول الاوربية ، مثلا ، هذا امر لا سبيل الى نكرانه . ولكن هذا الاعتراف لا ينبغي ان يذهلنا عن السبيل القويم . واخشى ما نخشاه في مثل هاته الحال هو المبادرة التي قد تصدر عن بعض المشدوهين او المذهولين . فقد يدفعهم التسرع الى الكفران بكل شيء والى اتلاف الرصيد القديم كله دون الحصول على رصيد جديد يكون له ثقل في الميزان .

والناقد هو الذي ينبه ، كلما دعت ضرورة الى المفارقات الحادثة بين الانتاج الادبي والفكري والمجتمع . وقد سبق لي ان بحثت في مقالات مختلفة ما في التهافت على الوجودية ، والسارترية ، بصفة خاصة ، من موقف مصطنع لايمت الى مشاغلنا ومشاكلنا بأي سبب ، وهذا داء سرت الينا عدواه من بعض المجلات الشرقية التي لا شغل لها الا اقتناص آخر ما تموج به التيارات الفكرية في اوربا ، في حين انها لا تكاد تجود بأي التفات الى التيارات الحقيقية التي تسري في مجتمع بلادها . وهذه التيارات القومية هي التي تمثل الواقع الحي ، الواقع الذي يعيشه كل موطن ويماسيه ويصابحه . ولاشك أن سارتر لو وجد في هذه المجتمعات المتخلفة لكانت له فلسفة اخرى ونظرة مختلفة الى الاشياء ، ولسخر قلمه لادب وتفكير يختلفان عما نعرف له . وما ذلك الا نتيجة حتمية لفلسفته التي هي تصوير للوجود الانساني في العالم الذي يعيش فيه اي واحد في المجتمع قبل كل شيء .

ونحن نسيء الى سارتر ، ونسيء في نفس الوقت فهم فلسفة سارتر حينما نحشره معنا ، بالمناسبة او بدون مناسبة ، في مشاكلنا وقضايانا الفكرية . والذين درسوا سارتر دراسة عميقة يعلمون ان مذهبه يعبر عن وضع خاص عاشه المجتمع الاوربي في اعقاب الحرب العالمية الاخيرة . فبعد المجزرة الكبيرة التي مات فيها عشرات الملايين من بني الانسان ، وبعد انواع البؤس والعذاب التي قاستها الاقطار الاوربية وسط الكوارث الحربية ، كان سارتر حقيقة خير معبر عن الياس من المصير الانساني . لقد استطاع ان يعطي للياس مذاقا آخر جعل منه عنصرا يعيش به الناس ، كما يعيشون بالملح في الطعام . ففلسفته تعبر عن المجتمع الاوربي المتقدم الذي اوغل في مسالك التطور ، فعرف الراسمالية والنمو التقني والصناعي والصراع بين الطبقات والحروب الكبيرة . وكل هذا بعيد عن مجتمعاتنا المراهقة التي لا زالت امامها آفاق متسعة ، وخطوات عديدة ، ومجال واسع للعمل والكد . فما الداعي يا ترى ، لنتخذ من فلسفة منشؤها الياس اساسا لتفكيرنا ؟ نحن ، بالعكس ، في حاجة الى فلسفة امل، الى فلسفة تملأ نفوسنا قوة ، وايمانا بمصيرنا ومستقبلنا ، وثقة بانفسنا وقوميتنا . **وانه لمن المضحك والمؤسف في آن واحد ان نجد بين ظهرانينا في المجتمعات المتخلفة اناسا يتوجعون ويتألمون ويشعرون بالاختناق الوجودي وبالعبث والضياع وهم في شعوب يجب ان تقوى نفوسها وتشحذ عزائمها وتعمم فيها اناشيد الامل والثقة بالغد .**

هذا مثال من الانحرافات التي تطرا على الكتاب والتي يجب على الناقد ان ينبه اليها ويحذر من مغبتها لانها لا تخدم تطور المجتمع وتثير من الشك اكثر مما تخلق من اليقين . ا ن احد ادوار الناقد الرئيسية هي ان يقف موقف الحكم بين الكاتب المنتج وبين الجمهور المستهلك ليبين الى اي حد

يوجد تجاوب بين الاثنين . فهنالك ادب وهنالك ثقافة وهنالك تفكير تعبر عن المجتمع وهي احسن من اي اقتباس او اي تقليد واكثر اصالة واصح ابداعا، واكثر اتصالا بحياتنا الواقعية . فالى هذا الاتجاه الواقعي والاجتماعي والقومي في آن واحد يجب ان يدعو الناقد دونما كلل ولا فتور ، اذ سيعود بنا الى الطريق الطبيعي ، الطريق التي تسلكه كل الامم التي لها شخصيتها واباؤها واعتزازها .

ومن غرائب السخافات التي قد يقع فيها بعض الكتاب انهم يسألون عن آخر موضة ظهرت في الادب الاروبي ، مثلا ، كما يسأل الانسان في السوق عن آخر مواس الحلاقة ، فيقال له عليك بروايات «آلان روب كريبي » و «ميشيل بوطور » وغيرهما من اصحاب الرواية الجديدة ، فيتسارع الى تلك الكتب تسارع الطفل الى الحلوى ، فيقحم نفسه في معمياتها والغازها اقحاما ، ويكرهها على استحسانها ، حتى اذا شعر بان فكره تلقح من براعيمها ، امسك القلم بدوره ، وشرع يكتب من حبرها وينسج من خيوطها . ولكن لمن يكتب ، ولمن ينسج ؟ ايكتب لنفسه ؟ لقد انتهت منذ زمان اسطورة الكاتب الذي يكتب لنفسه ! ايكتب لقراء «بوطور» و «روب كريبي»؟ انهم في غنى عنه ، ما دام عندهم «روب كريبي» و « بوطور » ايكتب للقارىء المغربي او العربي ، بصورة اعم ؟ نعم ، ولكن القارىء المغربي والعربي الذي يوجد في وضع ، هو غير وضع القارىء الاروبي في حاجة الى حديث من نوع آخر ، في حاجة الى شيء كثير من الوضوح ، والدقة ، والمنطق، في حاجة الى الفن الكبير ، الواضح المعالم ، في حاجة الى كتاب من نوع شكسبير ، وموليير وبلزاك ودستويفسكي الذين يحركون الشعور الجماعي ويربونه والذين يعيدون له قصة حياته اليومية في الشكل الذي يجعله يستخرج منها العبرة والموعظة .

والناقد له في بلادنا الى جانب هذا الدور التوجيهي دور آخر هو النقد الفني . وهنا نجد عندنا ايضا فوضى كبيرة في الافكار واختلافا كثيرا في المقاييس والمناهج . فهنالك الناقد الذي ليس له من الوسيلة الا ما تلقفه عن ابن قتيبة وقدامة وغيرهما من الاقدمين ، فهو يبحث عن الشعرة في الحساء ، كما يقول الفرنسيون ، وينظر الى الجزء ويترك الكل ويهجن القصيدة بالبيت الواحد ، ويبحث عن السرقات والاقتباسات . وهنالك الناقد الذي يعيب على الشاعر كونه التزم الوزن والقافية ، دون النظر الى محتوى الشعر واسلوبه ونغمه . وحجته ان الوزن والقافية من التقاليد البالية . وهنالك ، بالعكس من يعيب على الشاعر تحرره من الوزن والقافية ، دون الاهتمام بما وراء الشكل من عناصر الطرافة والابداع . وهنالك من ينتقد على الكاتب كونه كتب قصته في عشر صفحات بدل ستة او خمسة . وهنالك من يرى ان القصة لها نموذج واحد في العالم لايصح الخروج عنه . وهنالك من ينتقد على الكاتب استشهاده ببيت شعر كما كان يفعل الاقدمون . وهنالك من يبحث عن بعض الكلمات في صلب المقال او القصة مثل البنيات الفوقية والتحتية والواقع المعاش والمجتمعية ، فاذا لم يجدها بطل عنده سحر الكلام وسقط موضع الاعجاب وحكم على الكل بالقبح والفساد . وهنالك من يرى ان النقد يجب ان يكون فلفلا بعسل فيه الجرح وفيه الدواء ، يهجم فيوغل ثم يتراجع الى نقطة الابتداء فيركع ويؤدي التحية . سلام فهجوم ثم مهرب فعناق .

اقوال متضاربة وافكار متناقضة واصوات متنافرة لو اجتمع اصحابها في مكان واحد لمثلوا اروع مشهد هزلي في تاريخ العالم . ولكننا لسنا في مقام الهزل ، اننا في مقام الجد ، والنقد وان لم تكن له قواعد محددة من قبل ، وان كان يترك فيه حرية كبيرة الناقد وذوقه ، فلا بد له من ان يراعي بعض المبادىء الاساسية التي لايستقيم بدونها .

فلا بد له قبل كل شيء من ان يميز في كل انتاج بين ما هو مهم وما هو ثانوي . فهنالك عناصر تدخل في الجوهر ، وهنالك اخرى تظل في الهوامش والسطوح، ولا بد من التفريق بين الاثنين ، فقد يكون الكاتب موفقا في الجوهر ولكنه متعثر في الهوامش ، فيجب ان نعتبر له هذا وان لانتجاوز ملاحظاتنا نسبتها بازاء التنويه والاستحسان ، كما ان الذي يخفي ضآلة الجوهر وراء البهرجة والتنميق يجب ان لايخدعنا ببريقه وان لاينال من استحساننا اكثر مما هو به حقيق . يجب على الناقد ، اذن ، أن ينظر الى الاثر الادبي ، سواء أكان قصيدة ، أم قصة ، أم رواية ، أم مقالة ، أم رحلة ، أم محاولة من المحاولات ، ككل، كجسم واحد حي . فالجمال لايقوم الا في نظرة شاملة. وهذا هو الموقف الطبيعي الذي عرفه الانسان مذ كان، اذ هو في النظرة الاولى لاينظر الى العينين او الى قسمات الوجه أو الى الاطراف على حدة بل ينظر الى الجسم ككل منسجم ، ثم يعود في نظرة ثانية فيتفحص الاجزاء، ولكن النظرة الاولى كانت حاسمة في توجيه الحكم .

وبهذه الطريقة سنستطيع ان نقوم ما يكتب تقويما صحيحا وسنجتنب انواعا من الشطط والتعسف . اني لايهمني من الشاعر أوزن قصيدته وقفاها ام تركها حرة مرسلة . فكل هذه اشياء تدخل في نظري في نطاق الهوامش والشكليات ، ولكن يهمني ماذا قال وكيف قال وهل استطاع ان يكشف لنا عن ينابيع جديدة من التعبير . ولا يهمني من الكاتب القصصي اطال ام قصر ، اقلد « كامو » أم « جويس » أم (كافكا) ، ولكن يهمني أن يكون بلغ شيئا ، فاحسن التبليغ ، ويهمني أن يكون أثار مشاعري وأزاح الستار عن خبايا جديدة في النفس الانسانية .

فانا اترك للشاعر والكاتب حريته في اختيار اسلوبه ووسائل تعبيره ومنهاجه في التاليف ، ولا اقيده بقواعد جمالية ، لان هذه القواعد غير موجودة، وان وجدت فانها ذات قيمة نسبية تختلف باختلاف الزمان والمكان . فقد الف اليونان ما شاء الله أن يؤلفوا في قواعد الكتابة ثم جاء العرب فاتفقوا معهم في اشياء واختلفوا في اخرى ووضعوا قواعد للبيان والبلاغة، لكن تلك القواعد لم تبق لها اي قيمة في عصرنا ، وجاء الشاعر الفرنسي « بوالو » فحاول ان يحدد الانواع الشعرية وان يضع لها دستورا تسير عليه ، لكن اجيال الكتاب التي جاءت بعده خرقت تلك القواعد خرقا وجاءت بافانين جديدة في الكتابة والتعبير برهنت على ان الابداع لايحصر في نطاق محدد ، وأن مخالفة القواعد المتعارف عليها قد يكون في طيها مفاجآت سارة، وفي عصرنا هذا توجد مدارس مختلفة ، تحاول كل واحدة منها ان تدافع عن نظريتها في الجمال الفني ولكن الجمال اوسع واكبر من ان تستأثر به مدرسة من المدارس او تحتضنه نظرية من النظريات . الجمال هو ما يكتشفه الفنان في حريته الكاملة ، لايقوده في هذا الاكتشاف الا حدسه المرهف والهامه الموفق .

ولذلك ، فانه يجب علينا ان ننظر بشيء من الحذر والشك الى الناقد الذي يحمل مدونة من القوانين والقواعد في يده . والذي ينظر اليوم الى الآداب العالمية الرفيعة ، يرى كيف أن تحرر الكتاب من القيود والقواعد الموضوعة قادتهم الىالتنويع اللانهائي. فاي قواعد فنية تجمع بين كتاب من امثال (تولستوي) و (بروست) و (توماس مان) و (جويس) و (هيمنغواي) و (مالرو) و (جيد) و (توماس هاردي) و (سارتر) ؟

سلا — محمد زنيبر





ما كنت احسبني ملاقيا كتابين فوق ركام من بريدي ، الذي تكاثر ابان غيابي عن دمشق ، اذ كنت فى الديار المقدسة بمكة المكرمة ، قوّوما بالقاء محاضرات فى الادب ، وقد ندبتني وزارة التربية السورية لاجلها فى جامعة مكة . ولعل ابنتي الصغرى « سماء » وهي خريجة الوثائق والمكتبات من الجامعة المصرية، قد عنيت ببريدي ، فنسقته ورتبت مجلاته وكتبه ورسائله ، فآثرت وضع الكتابين على وجهه . ولست اشك فى انها عرفت مقام صاحبهما عندي ومنزلته فى قلبي ، وهو الشاعر الناثر والمفكر الاستاذ عبد المجيد بن جلون ، الذي اهدى الي كتابيه : « فى الطفولة » و « براعم » فكان محتوما علي ولزاما ، ان ابدا بهما متمليا ، من بين ما على خوان كتبي من الرسائل والمجلات والكتب الجديدة .

لقد كان على الدوام خاطري منسرحا مع المؤلفين ، فى اي اتجاه يتجهون . ولو كان مناقضا لفكري ومخالفا للراي الذي ارتئيه . ولست اقول مذهبي ، لانني ، حتى اليوم ، لم اتخذ مذهبا من المذاهب فى الفكر والاتجاه المعاصر ، حتى اتهمني احد تلاميذي بانني من زمرة « اللامنتمي » . وهذا مصطلح رطين معاصر ، ولست من هذه الزمرة ايضا . اذ كنت حيث اجد كتابا نافعا ، اجلس اليه ، فاضمه بعقلي ، واحيطه بنظري ، واقلب صفحاته فى يسر واشفاق ، وقد يتفق لي ان اجد صورة من صور حياتي فى صفحة من هاتيك الصفحات الحية النابضة بالذكريات ، وكذلك هاج خاطراتي ان اجد اخي الكاتب الكبير عبد المجيد بن جلون فى كتابه «فى الطفولة» يرسم صورا تنطبق على مواقع من حياتي وذكرياتي ، بينما هو يرسم نفسه ، ويصور حاله . فما كدت ادرج بالنظر على صفحاته الاولى ، وهو يتحدث عن مجيئه الى هذا العالم ، حتى اخذت مسارد صور تنسرح امام خيالي الشريد البعيد ، من طفولتي المسكينة اليتيمة . فلقد ترك والدي الدنيا، وكان من رجال الشرع ، وعمري سنتان ، ولم يترك لنفسه صورة اراه بها ، فكنت اسائل امي — يرحمها الرحمن — على غرارة الصبا ، فاقول لها :

— يا ام ، من كان يشبه ابي ، فدليني عليه .

فدلتني على شيخين من حينا فى « القميرية بدمشق » كنت ازورهما ، لغير سبب ، واصعد فيهما النظر واصوبه فيدهشان لامري ، ولا يعلمان انني كنت ارى فيهما صورة والدي !.

ومضيت منذ استهلالة الكتاب اتخيل طفولة طفل اسماه اهلوه عبد المجيد واتخذوا له مربية اذ كانت امه دوامة المرض منطرحة فى الفراش ، ثم نقلوه فجاة من المغرب الاقصى الى دارات من انكلترا حيث جعلت مشاعره الاولى ، وهي مبكرة ، تتفتح على بلد كامد مغمض .

وحين فرح بان تولد له اخت ، كان اهلوه يرفعونه لكي يراها فى سريرها ويحدق نظره الصغير اليها ، فاثارت تمايره التاثرية كوامن وجدي فى اختي «ميرة» التي غادرت عالمنا منذ ثلاثين عاما وقد سبقتها بعام امي . لقد كانت اختي ملأى بالاشجان ،

فان زوجها من بني الايوبي توفي عنها وكان بينه وبينها من السن ربع قرن . اني اذكره ، كان ذا لحية سوداء فاحمة صبيغة ، وكنت وانا طفل اشاهده وقد جلس في غرفته للخضاب ، وكانت اختي الشابة تسعى بين يديه باحجرة صغيرة تذيف فيها شيئا كالكحل . وغابت اختي عن الدنيا بعد ان عاشت ايما عشرين عاما وتوفيت بنتها الصغيرة ، ولحق بها ابنها الشاب ممدوح الايوبي .

ولم اكن احسب ان خوالج احزان وذكريات آلام ستهب علي من كتاب « ابن جلون » الذي صور فيه طفولته ، مثل هذا الهبوب العنيف ، فانه اخذ يشاهد وجه امه وهي على فراش الضنى ، وقد غشاه ضباب الاحزان . فاخذت اتذكر امي الحبيبة «سارة» التي لم تهنا بي فقد غادرتني يوم استطعت ان امنحها المال ، ولقد عشت في ظلالها تمنحني الحنان وتربيني وتملا صباحي نصحا ، قبل ذهابي الى المدرسة ..

ما اشد تاثري ، حين قرات هذه الكلمة في هذا الكتاب الرائع ، يقول مؤلفه النابغ ابن جلون في حديثه عن ذكريات امه :

— « ورفعت عيني الى القمر ، وتحت تاثير الايحاء ، خيل الي انني ارى من خلال دموعي ، وجه امي يطل علي من السماء ، داخل صفحة البدر الكبيرة، وكان ايحاؤها قويا يخيل الي الى الان انني اراه كلما رفعت عيني الى القمر ، فاقول انه وجه امي » ..

وترامى به القلم على ذكريات عذبة ، في حياة طفل ينشأ ، ويؤخذ الى المدرسة ، فيدخل منها الى عالم جديد ، منير للفكر ومرهف للشعور ، ومرب للاخلاق . ثم هو حين يشب ، يعود الى منبت ابيه الواعي وجده الصالح واهليه الكثر الطيبين ، في ارض الوطن المغربي العزيز ، فيضيق به اول الامر اذ يجد أرجاءه على اتساعها مملة تضل فيها الروح شاردة بين ابعادها ، ثم يتطامن ويألف مثل طائر حرون ، عاد الى السكون .

ويمضي بذكرياته ، حتى يختتم بها هذه الفصول العشرين من حياته واصفا الساعات الاخيرة لاخته « آمنة » الغالية التي يشع من خلف الوجود وجهها الاسنى ، مليئا بالبشر والابتسام والفداء !

وانه لمن طوابع الجمال والقدرة في فن الكتابة ان ينهد كاتب كابن جلون الى تسطير كتاب عن الطفولة التي عاشها ، ولقد كنت اقرأ آثارا مبيئة كتبها اصحابها عن حياتهم ، فتنهض امامي ، لتقف كسد منيع بيني وبين هذه الاثار « ايام » عميد الادب المعاصر الاستاذ والصديق الدكتور طه حسين ، فانه منذ كتب الجزء الاول منها ، عكر الاعتراف بمثلها او باروع منها . مثل حسناء وقف جمالها سدا دون اعراس الفاتنات . فمذكرات ابن جلون في طفولته فيها من الروعة والوصف الاخاذ والتصوير الدقيق ما يحلها محلا عاليا بين كتب الحياة التي الفها اصحابها من ادباء العرب المعاصرين ، وفيهم غير طه حسين علامة الشام محمد كرد علي وعلامة مصر احمد امين الذي وسم كتابه باسم «حياتي» .

ولقد تنابذ هذان العلمان اواخر حياتيهما ، وجعل كل منهما يرمي الاخر بشواظ من الكلم الجارحات في الكتب والمقالات . ثم ذهبا من وجود الدنيا . وكان اعجب من ذلك ان وجدت مذكرات «كرد علي» في مكتبتي الى جانب كتاب « حياتي لاحمد امين » فقلت :

— يا لله ! ان الحياة نفرت الالفة بينهما ، لكن ذهاب الحياة الف بينهما على رفوف مكتبتي .

وكنت يوما ، في ميعة الصبا شابا محاميا يريد ان يكون من رجال القانون ، لكني سرعان ما خلعت الثوب الاسود الذي يرتديه المحامون امام اقواس القضاة ، اذ اتجهت الى تدريس الادب . وقد بقيت في علمي امور حقوقية جامعة ، اجدني اجدها بين الحين والحين ، كلما عنت من اجلها ضرورة . فمن بواقيها علمي بان التبعات الجزائية تسقط بعد الموت . وكذلك وجدتها بين الاديبين العظيمين احمد امين ومحمد كرد علي ، قد سقطت ، فتجاورا بعدها في وئام وسلام .

وكنت أوثر ان امضي في الكتابة فأتناول ديوان الشعر الجلوني « براعم » ولن امهل قلمي حتى تتفتح هذه البراعم ، فتكون وردا ورياحين ونسرينا فان الشعر في دبيب التفتح يومىء الى مهب العبق فيه عما قريب . وبحسبي ان اكتب عن براعم الشاعر الكبير عبد المجيد بن جلون ، لاتلقى بعد حين ازاهيره ، التي لا تفنى ..

الدكتور زكي المحاسني



التحرر للتخلص من ابهام الحرية

للعميد محمد عزيز الحبابي

ليست الحرية من المفاهيم التي يكتفى في تعريفها، بتعدد هام من المدلولات والمعاني . انها ، على العكس من ذلك ، تقاوم كل تحديد تقريري ولا ترتضي بديلا عن التعريف المتفتح الذي تدخل في حسبانه كثير من الايحاءات واللوينات المفهومية . فاختيارنا للفظة « تحرر » اجابة للرغبة في تجاوز ما في « حرية » من التباس .

يحتوي التحرر على مجموع معاني « حرية » ويوحي بمعنى الفعل من اجل تحقيقها . انه في نفس الوقت : « حالة » الكائن الحر ، والفعالية التي يقوم بها كي يصير حرا : انه التحيين (L'actualisation) التاليفي للحريات الواقعية . يضم هذا التعريف ، اذن المعنى الاولي الكلاسيكي للحرية : انعدام اي اكراه خارجي . فعندما نقول « انسان حر » نقصد انه « ليس مستعبدا » او « سجينا » ، ذلك ان العبد والمسجون لايقدران على النهوض بنشاطات مستقلة عن ارادة الغير ، ولا يتمتعان بحق المبادلات .

وتشمل لفظة « تحرر » ، ايضا ، على معان مشتقة من المفهوم السابق للحرية ، اننا نتحرر من القوى الباطنية (غرائز ، رغبات ، اهواء ...) عندما نصل الى معرفتها ، وتبنيها ، وتكييفها . التحرر فعالية تسيطر على طبيعة الانسان الغامضة ، تحت ضوء العقل ، وبفضل الارادة . نعم ، ان التحرر ، بالنسبة للارادة : « هو الغاية القصوى الممكنة من الاستقلال، يحدده المعنى الخاص لهذا الاستقلال ، تحديدا يستهدف غاية قد تكونت له عنها كذلك فكرة » الواقع ان بهذا التعريف تتجلى الخاصية المعنوية للشخص التي بدونها لايمكن للأنا ان يتحمل اية مسؤولية اخلاقية او قانونية .

نجد عند (ستيوارت ميل) ان الحرية المعنوية تعرف جانبا ممتازا من جوانب التحرر ، الشعور بقدرتنا على تغيير طبعنا الخاص ، اذا ما أردنا ذلك: « يشعر شخص ما انه حر ، معنويا ، عندما يحس أن عوائده وشهواته لاتسيطر عليه ، بل انه المسيطر عليها. وحتى ان هو استجاب لالحاحها ، شعر أن في وسعه مقاومتها ... »

وبالاضافة الى ما سبق ، نرى أن « التحرر » يشمل كذلك المعنى السياسي والمعنى المجتمعي لـ « حرية » . فحينما نقول ان اغلبية « العالم الثالث » قد تحررت من الحكم الاستعماري بوصفها شعوبا نثبت أن هذه « الامم النامية » قد حصلت على مجموعة من الحريات كانت محرومة منها ، فيما قبل، ولكنها ما تزال في حاجة الى حريات اخرى لتخرج من ارث الاستعمار ومن التخلف ، ولتتغلب على الازمات التي تعتري الهيآت الانسانية . فـ « حرية » ، اذن، درجة ما متفاوتة من الاستقلال الذي حصلت عليه شعوب العالم الثالث ، والذي ينبغي العمل على اكتماله . فما حقق تدريجيا من الاستقلال قد اصطبغ، منذ البداية ، باعتبارات معنوية وقانونية ؛ انه يشكل قيمة سيكولوجية ومجتمعية ، كما يشكل حقا تاريخيا اساسيا (وثيقة « حقوق الانسان والمواطن »)

أكيد ان التحرر لايزيح اللاحتمية بكل اشكالها الكلاسيكية : حرية اللامبالاة وحرية الاختيار ... ان التحرر مجهود من اجل التغلب على العراقل الباطنية والخارجية ، على السواء ؛ انه لايقف ، ابدا ، الا عند الحد الاخير للصراعات التي نتقبلها عن وعي ورضى، خلافا لحرية اللامبالاة حيث الارادة لاتخضع مطلقا للعقل ، والاختيار لايقوم على اعتبارات تقييمية : نختار

شيئا ما او ضده، دون سبب قابل للتبرير، بل يجدر بنا ان نقول: «تختار» دون اختيار، ودون مقارنة، ودون حكم، ودون معايير وقيم.

هكذا تتحدد، بوضوح ودقة، المعاني التي تحيط بمفهوم «تحرر» انه تعدد يسود فيه العقل على الاهواء والغرائز، والفهم على الصدفة والعفوية والعرضية، والارادة على العوائد والشهوات، والجهد الشخصي والصراع على السلبية والاستسلام الى ظاهرات الطبيعة: في بداية التحرر، يوجد الفعل والارادة؛ فاذا انعدما انعدم التحرر (1).

ليس من الصواب في شيء ان نعتبر بعض الحريات اساسية واخرى غير اساسية، او اقل «اساسية» من الاولى. ومن المخالف للواقع كذلك ان نزعم ان بينها ما هو وسيلة لغيره وما هو غاية في ذاته بل ان كل الحريات، بالتساوي فيما بينها، تشكل مجموعة ضرورية للتحرر: حرية، بالنسبة للطبيعة وبالنسبة لميولاتنا، بفضل المعرفة، حرية اقتصادية، حرية سياسية ... كل واحدة منها تؤثر في الاخرى، ويستلزم وجودها وجود باقي حسب تشارط ضمني، بحيث يتأتى المجموع نحو النمو او التقهقر. فمثل الحريات في المساواة كمثل المثلث: من العبث اعتبار اي قمة (راس) ممتازة عن الاخرين، لان كل قمة ضرورية بحيث لو ازيلت لزالت معها «مثلثية» المثلث، اي لتهشم حتميا كيان الشكل المعطى؛ فمن الناحية الهندسية، لكل قمة نفس القيمة التكوينية بالنسبة للآخرين.

ان تشبيه التحرر بالمثلث، والحريات بقممه المختلفة، لن يقبل الا اذا فرضنا ان لكل حرية نوعا كيفيا من الاصالة، ضمن الصفة المشتركة بينها وبين الحريات الاخرى، تلك الصفة التي تجعل من كل واحدة جزءا مكونا للتحرر. فالحريات، على اختلافها، متماسكة تماسكا وثيقا بحيث لن تستطيع اية واحدة منعزلة ان تتفتح او تزدهر؛ واذا حدث ذلك، بالصدفة، فلن يحصل عنه اي تقدم محرر، وانما الفوضى والصراعات لا غير.

نعم، يمكن لحرية ما، في بعض الاوقات، ان تنتقل من الخبب الى العدو، او على العكس من العدو الى الخبب. ان كل عصر يكتسب لونا ابرز من الالوان الاخرى تقتضيه حاجياته المعاشية، والدرجة الحضارية التي وصل اليها، والطابع المحلي. قد تعوق ظروف تاريخية عرضية ظهور بعض الحريات (مثلا: في ايام توقف الحرية السياسية وماتستلزمه من حرية الصحافة والتجمع ...)، بيد ان مبدا تلك الحريات يبقى مكتسبا كحق، وكقيمة، وكامنية، وكواقع يعيه كل الذين يحرمون منه، ولو حرمانا طارئا مؤقتا). ومن طبيعة اي حرمان ان يجر معه حرمانا آخر، مثله في ذلك مثل التقدم، فاية خطوة الى الامام، لامندوحة لها من ان تفتح المجال الى خطوات لاحقة. فايقاف ممارسة الحريات السياسية، ابان الاضطرابات، يجر الى المراقبة الاقتصادية، والى تقنينات حول تنقل الافراد ... وهكذا، عمليا، تتقدم الحريات او ترجع القهقرى في تآلف وتجمع. فلفرط تجانسها الصميمي وتكاملها المتين، لن ينفصل ابدا بعضها عن البعض الآخر دون اضرار بالكل، نعني التحرر.

الرباط: محمد عزيز الحبابي

---

1) التحرر، أو مجموع الحريات في ترابطها وتفاعلها، يفترض سلفا وجود استقلال وطني حقيقي ونظام يحمي جميع الافراد، على السواء.

لماذا نقرأ الشعر؟

للاستاذ : عبد العلي الوزاني

عندما يسأل دارس الهندسة عن غرضه منها ، يقول انه يريد ان يضع تصميما لقنطرة او منزل ، وعندما يسأل دارس الطب نفس السؤال ، يقول انه يريد ان يخفف من امراض الانسان ، ويساهم في اعادة الصحة اليه بعد ذهابها ، وقريب من هـــذا يكون دارس الرياضيات او غيرها من العلوم الاخرى ، ذلك ان العلم يمكنه أن يهب الناس نتائج محسوسة ، قد يلمسهـــا الناس ، بل تكون قابلة لاقتنائهم اياها ، للافادة منها في حياتهم اليومية ، ولذلك يكون جواب دارس العلم عن ذلك السؤال سريعا وحاسما ، وفي كامل الدقـــة والوضوح ، دون التواء في القصد ، او غموض في الهدف. اما عندما يسأل قارىء الشعر ـــ وكذا عشاق الفنون الجميلة الاخرى ـــ عن هدفه من تعشق هذا الفـــن الجميل ، فانه تكتنفه الحيرة ، وتأخذه البلبلة ، وقد لا يجد الكلمات للتعبير عما اثاره السؤال في أعماقه مـــن خواطر شتى ، ومشاعر متضاربة ، قد تستعصي على العبارة التي تريد الاحاطة بها في وضوح ، ذلـــك أن الشعر ليس موضوعيا صرفا بحيث يمكن حصر ابعاده وجوانبه في قواعد صارمة ، وانما هو فن ذاتي قبل كل شيء ، ينبع من أعماق الذات ، وينبثق من تأثـــرات الشاعر ازاء هذا الكون ، وليست له نتائج عملية ، الا ما كان من قبيل النتائج التبعية ، التي قد تترتب عـــن سيادة الشعر على قوم معينين ، في مجتمع معين . نعم ليس امام قارىء الشعر هدف واضح محدد ، بـــل ان الشعر نفسه هدف في حد ذاته ، على حين ان العلوم هي كنظريات ومجموعة من القواعد ، مجرد وسائـــل تؤدي الى غايات معينة . ومن هنا جاءت صعوبة الجواب عن السؤال الذي وضعناه على راس هذا المقال : لماذا نقرأ الشعر ؟

ومع ذلك فالسؤال يفرض نفسه اليوم اكثر من اي وقت مضى ، ففيما قبل ، لم يكن الناس في حاجة الى ان يقتنعوا بجدوى قراءتهم لهذا الفن الجميل ، فسلطانـــه كان لا ينازع ، وحتى الذين كانوا لا يمتون اليه بصلة ، يعتبرونه من متطلبات الحياة الرغيمة ، بحيث لا تتألـــق شخصياتهم امام الكبراء ، الا اذا ازدانوا بحلية الشعر حفظا وقراءة ، ان لم يكن خلقا وابتكارا . حتى ان صيحة افلاطون شيخ فلاسفة اليونان ، عندما هاجم الشعراء ، وقال بضرورة اخراجهم من حظيرة المجتمع الفاضل ، واتهمهم بافساد اخلاق الشباب اليوناني ، وقال انـــه سألهم عن معنى كلامهم فلم يحيروا جوابا ، لم تلق آذانا صاغية في عصره ، بل مضى الناس في تعشقهم للشعر ، منتجين ومستهلكين . اما اليوم فالوضع قد تغيـــر ، اذ السرعة التي تميز بها العصر ، وانتشار نتائج الحضارة الصناعية الحديثة ، وغلبة الاتجاه العلمي المحض على المجالات الثقافية في اكثر بقاع العالم ، وكون الانسان صار نهبا لعدد كبير من المغريات ، ووسائل التسليـــة الكثيرة الميسورة ، والتي تكتنفه من كل جانب ، وضمور القرائح الشعرية نفسها ، بالقياس الى العبقريات التي ظهرت في الماضي ، وشغلت اجيالا بروائعها ، والخيبة المريرة التي أصابت انسان العصر ، بعد نكبة الحربين الكونيتين ، اذ خرج منهما اشد ايمانا بالابقاء للسيادة ولا للكرامة ، الا بالتسلح المتواصل ، بدون حـــدود او قيود ، مع الاعتدال في شؤون الخيال والعاطفة ، كل هذه العوامل وغيرها مما لم نذكره ، جعلت اصواتـــا عالية ترتفع هنا وهناك ، منددة بالشعر ، زاعمة أنه فن بدائي ، يمثل عقلية الانسان في عهد الطفولة الانسانية ، ولا يتلاءم مع الذهنية الحديثة، التي تميل الى الموضوعية والدقة العلمية . وقد لقيت هذه الاصوات اصداء لها اما معارضة أو مؤيدة ، وعقدت ندوات أدبية شارك فيها

ادباء عالميون لايضاح الدور الحي الذي يقوم به الادب في المجتمعات الحديثة ، واحدثها الندوة التي انعقدت في العام الماضي ، بجمهورية يوغوسلافيا الاشتراكية الاتحادية ، ونوقش فيها الدور الذي يقوم به الاديب في مجتمع اليوم ، والمشاكل التي يعانيها في هذا الصدد .
ولعل من نتائج ما لقيه الادب والشعر من معارضة قوية ، اننا بدانا منذ وقت ليس بالبعيد ، نسمع نقاد الادب يتحدثون عن (رسالة الكاتب) و (رسالة الشاعر) بالنسبة لوطن كل منهما ، وبالنسبة للانسانية كلها ، كما قد يكون من نتائج ذلك البحث عن (القضية) و (الفلسفة) في قصيدة الشاعر ، وعن (المعادل الموضوعي) فيها ، وبعض النقاد لا يعتبرون الشعر فنا ذاتيا محضا ، يتكون من مجرد عواطف واحساسات ، فكأنما يراد للادب في هذا العصر ، أن يبرهن عن جدارته بأن يشغل حيزا كبيرا من حياة الناس ، وان يقتبس شيئا من اسلحة العلم ، ليواجه التحديات العلمية ، صامدا امامها في عزم وقوة اصرار ، ولعل من نتائج ذلك ايضا هذه التخوفات التي بدات تساور الكثيرين من عشاق الشعر ، فهم يشفقون على الكلمات الجميلة أن تصوح ، كما تصوح الزهرات اذ تلفحها ريح السموم ، ولكن مع ذلك فالشعر ما زال بخير ، لانه ضرورة انسانية لا محيد عنها ، ولنستمع الى الدكتور عبد الرحمن بدوي يقول : (حتى في هذا العصر ، عصر الصناعة الفنية والانسان الآلي ، لا يزال للشعر مكان الصدارة بين الفنون ، لان الحاجة اليه تنبثق من أعماق النفس الانسانية ، بوصفه التعبير الحي المتجدد ابدا ، عن نزوعها الى ما فوق الواقع ، وعن احساسها بالروابط المستترة بين ظواهر الطبيعة ، وعن مشاركتها في سر الابداع والخلق ، وعن تعاطفها مع سائر بني الانسان ، وعن خفايا العواطف التي يتميز بها الانسان من سائر الكائنات) ولكي يزداد عشاق الشعر اطمئنانا نذكرهم بأن جائزة نوبل في الادب كانت في السنوات الخمس الاخيرة ، من نصيب الشعراء فقط ، منهم (سانت جون بيرس) من فرنسا ، و (جورج سفريادس) من اليونان . ويعلق الدكتور بدوي على هذه الظاهرة بقوله (ان العصر ما زال يعترف بان الشعر انبل الانواع الادبية واصدقها دلالة على المعنى الاعمق في روح الانسان ، وانه ليس عصرا تعسا يمكن أن يدفع شاعرا كهيادرلن ان يقول صارخا : (في هذا العصر التعس ما الفائدة في الشعراء ؟)

ومع ذلك فالسؤال الذي ما زال قائما هو : لماذا نقرا الشعر ؟

عند الاجابة عن هذا السؤال ، تجد من يذهب الى أن هدفه من قراءة الشعر ، ينحصر في الانتشاء بروعة الايقاع ، ومن يقول انه الاندماج مع الشعراء في عواطفهم وخواطرهم ، ومن يرى رايا آخر ، وهو ان هدفه البحث عن قضية فكرية ، أو نظرة فلسفية ، وقد يوجد من يجمع بين هذه الاهتمامات جميعا ، وقد يكون كل هؤلاء على صواب فيما ذهبوا اليه ، والاتجاهات الشعرية تتسع لكل هذه الاغراض والاهداف ، بحيث ترضى كل رغبة وكل ذوق . وما السطور التالية الا محاولة تدخل ضمن المحاولات العديدة للاجابة عن هذا السؤال .

وهل تساوي الحياة شيئا اذا خلت من الشعر ؟ بل هل يكون الانسان انسانا اذا هجر الشعر ؟ لنتصور أن الحياة بقدرة قادر ، اصبحت قاحلة من هذه الكلمات الحية ، النابضة ، المرتعشة ، المدعوة شعرا ، فأية خسارة ، واية كارثة ستحل بالانسانية ؟!! واي طعم سيبقى للاشياء ؟ وكيف يستقيم للانسان العيش في كوكب كله جفاف وصلابة ؟ اننا لم نخلق في هذه الحياة ليكون حسبنا الشبع والري ، وانما خلقنا لنتخذ من الشبع والري وسيلة لحفظ الحياة ، نتوسل بها لتحقيق المثل الاعلى ، والجنوح نحو حياة انسانية رفيعة ، تقوم على الود والصداقة والالفة ، هذه التي تكفكف من حدة الغرائز ، وتحارب الانانية البغيضة ، وتجعل الانسان صديقا لقومه وعشيرته فقط ، بل صديقا ايضا للعالم وللانسانية كلها ، وهذا هو الهدف الاسمى الذي يستهدفه الشعر .

كيف كان لي — مثلا — ان انفذ الى قلب ذلك العربي الاسود ، الضارب في أعماق القدم ، والمدعو عنترة بن شداد ، لاعيش واياه مأساته العرقية والاجتماعية ، ولاقاسمه ثورته العارمة على القدر الظالم ، وتحديه الشجاع للظروف المعاكسة، وانتفاضته الرائعة للدفاع عن كرامته الضائعة ، لو لم اقرا شعره بقلب متفتح ؟ واي شعور انساني نبيل كان سيفوتني لو لم يترك لي عنترة قصائده النابضة بالحياة ، والتي هي خلاصة نفسه الشجاعة المعذبة ، لاقراها فارجع الى الوراء اربعة عشر قرنا او تزيد ، فيلفحني هواء جزيرة العرب الساخن ، وتشوي جلدي شمسها المحرقة ، ليكون لي لقاء مع قلب كبير في عظمته ، وفي مأساته ، بين قسوة المجتمع ، وقسوة الطبيعة ؟

قد تقول : هناك كتب التاريخ ، فهي يمكن ان تحدثك عن مأساة الرجل ، لتقوم مقام الشعر . ولكن التاريخ يكتبه اناس عاشوا خارج نطاق الاحداث غالبا ،

وقد يكتبونه ببرودة أعصاب ، وحتى اذا تحمسوا فهم لا يستطيعون أن يعرفوا من مآسي الافراد والجماعات الا ابسط مظاهرها شأنا ، وتبقى هناك منطقة تخرج عن دائرة ادواتهم ، وهي منطقة القلب الشاعر الفياض ، تبقى الدوافع الداخلية ، التي تكون دائما وراء الاحداث، وتوجهها هذه الوجهة او تلك ، ولا يقدر على تصويرها الا الشعر ، والشعر فقط ، لانه بموسيقاه ، وظلاله ، والوانه ، ومرونته ، ولمساته السحرية ، هو القادر على استغراق شؤون القلب الانساني العظيم .

وعنترة هذا عندما صور مأساته في شعره والقاه على الناس ، لم يبق مجرد شخص عرفته الصحراء العربية ، ولكنه تحول الى فكرة ومبدأ وشعور انساني يمتد عبر القرون والاجيال ، ليدل على أن الانسان عظيم في مآسيه ، كما هو عظيم في افراحه ، ونحن عند ما نقرأ ذلك الشعر ، ونتملى ما فيه من ملامح انسانية ، انما نكون اوفياء للانسانية في اقدس معانيها ، واجمل مظاهرها ، اذ الامر لا ينحصر في ترديد كلمات ، وترجيع قصائد ، بل هو اهتمام بصميم الوجود الانساني ، وما تلقاه عن عنترة ، نقوله بالنسبة لكل شعراء الانسانية ، على اختلاف العصور والاجناس والبيئات . فكل من رسم حرفا شعريا ، او ترنم بكلمة شعرية اودعها ذوب قلبه ، حملنا امانة — وما اغلاها من امانة — لنمضي بها قدما فنسلمها الى الاجيال التي ستأتي بعدنا . وما اروع هذا اللقاء الروحي الذي يحدث بين ابناء التاريخ! انه اللقاء الذي يجعل من الهموم والمسرات البشرية ، هموما ومسرات عظيمة ، تستغرق آلاف السنين . وبذلك كله اجدنا نقرأ الشعر للتوسعة على نفوسنا ، اذ نضم خلجات قلوب الشعراء الى خلجات قلوبنا ، وارتعاشات ارواحهم الى ارتعاشات ارواحنا ، فيتكون عندنا احساس تاريخي بهمومنا وقضايانا كبشر ، لاننا اصبحنا نحمل في وجداناتنا ثقل الهموم الانسانية كلها ، فالعاشق المتيم تلتقي دموعه بدموع قيس ليلى ، والمتشائم الساخط ، يلتقي بتشاؤم ابي العلاء وسخطه ، وهكذا دواليك ، وما أشد ضيعتنا وضيعة انسانيتنا اذا تحجرت عندنا دموع قيس ، او تهافتت ثورة ابي العلاء ، واصبحنا نقرأ لهما بقلوب فارغة ، وآذان فيها وقر ، وعيون عليها غشاوة ، فتلك هي الخسارة الكبرى التي تجعلنا مفلسين ، في ميزان الشعور الانساني الاصيل .

هل نقرأ الشعر لهذا فقط ؟ واين تركنا مادة الشعر التي تطالعنا في كثير من الوان حياتنا . فالشعر هو الدفء الذي نحسه في صدور امهاتنا ، والروح العائلي الذي يغمرنا حول مائدة الشاي ، واللوعة المحرقة التي تهد قلوبنا عند ما نصاب في اعز احبابنا ، والسهاد الذي يستغرق ليالي من حياتنا من أجل حبيب غادر ، والجو الملائكي الذي يشتمل علينا ، عندما يتسلق أطفالنا اكتافنا في براءة وتلقائية ، والثورة العارمة التي تضطرم بين أضلعنا عندما نصاب بظلم ، ولا نملك ان ندافع عن انفسنا ، الى غير ذلك من مواقف حياتنا المختلفة ، حيث لا نكون فيها على حالتنا العادية ، اذ نشعر باننا شيء آخر ، أقوى من الزمن واقوى من المادة ، واقوى حتى من الفكر !! فالمفكر العظيم ، والعالم الكبير ، اين تكون صرامتهما واتزانهما وهيبتهما ، وما التزماه من سمت وقور ، عندما نرى الواحد منهما يجره ولده الطفل من طرف معطفه ، ليتقاذف واياه الكرة ، فينقاد جذلان مسرورا ، متخليا عن جديته ووقاره العلمي ، متحولا الى طفل ؟ وليس هذا الا مثالا من أمثلة عديدة ينسلخ فيها الانسان الكبير العاقل عن شخصيته المعهودة ، ليرتد الى شيء من طبيعته الاصيلة ، وليعود الى قواعده ، فيبكي وهو الخشن ، او يضحك وهو العبوس ، او يقفز بخفة بهلوان ، وهو الذي يزن الجبال رزانة .

لنحذف هذه المواقف العاطفية وامثالها اذا شئنا أن نعرض عن الشعور ، ولنحرق الزهور والورود والرياحين ، ولتمتد ايدينا الى النجوم لتطفئها ، والى القمر فتنتزعه من عليائه وتطرحه ارضا ، ولتصد عنا سحر العيون ، وفتنة القدود ، ولننزع هذا الخافق بين جنوبنا ، لنفعل ذلك ، قبل أن ندعي أن بوسعنا الاستغناء عن الشعر . وهل ندري معنى قول بعضنا بامكان الاستغناء عن الشعر ؟ معناه بابسط عبارة واوجزها الاستغناء عن أنفسنا ، وهل يستقيم للعقل الاستغناء عن النفس ؟ اي عن الوجود ، اي عن الحياة نفسها ؟! وان حدث ذلك ، الا يكون معناه العدم والموت والدمار ؟!

فنحن نقرأ الشعر لانه اللغة المعبرة عن كثير من لحظات حياتنا ، ومواقف وجودنا ، وجوانب كياننا ، ولا يمكن أن تعبر عنها أية لغة اخرى غير لغة الشعر ، فانا وانت والآخرون معنا ، يكون من الهازل أن نلجأ الى العلم ، في الوقت الذي نمل من الروتين المألوف ، ونتنظ من وزن كل شيء بقسطاس مستقيم ، ونود ان لو خرجنا عن ذلك قليلا ، لتكون لنا رؤى مبدعة ، ولنتجاوز محيطنا ومحدوديتنا ، حتى الفاظ اللغة نريد لها ان تخرج قليلا عن معقوليتها الضيقة ، وتتماوج ، وتتسع ، وتتحرك ، وتنبض ، وتنفصل عن معانيها البالية من طول ما استعملت فيها ، اي نريدها ان تكون ملائمة للحالة التي نحن عليها ، تبكي معنا اذا بكينا ، وتضحك

اذا ضحكنا ، وننفعل بكل ما تنفعل به نفوسنا ، ونحن لا نستطيع ان نلمس اللغة بعصى سحرية ، لتصير كما نريد ، ولكن هناك من يقدر على ذلك ، وهو الشاعر ، فلنقرأ له نجد عنده بغيتنا ، وليس في وسع غيره أن يستجيب لرغبتنا ، بالقوة التي يستجيب بها هو ، طالما كان يملك من الاستعداد والوسائل ما لا يملك أحد آخر.

ونحن لا نستطيع تجاهل الجوانب واللحظات التواقة الى الشعر في حياتنا ونفوسنا ، دون أن نشعر باننا منحرفون عن مقتضيات الطبيعة ، كيف يمكنني — مثلا — ان اتجاهل اهتزازي العاطفي لمنظر جميل اخاذ من مناظر الطبيعة ؟ او اغفال حنيني القوي الجارف الى عهود غالية ؟ او اتباري لحب بري جسدي وملأ شعب نفسي ؟ وان استطعت اسكات صوت هذه العواطف والهواجس موتنا ، فهل انا قادر على محوها وازالتها بالمرة ؟ وهل هي شيء تمتد اليه اليد ، لتقبض عليه ، وترميه خارج الذات ؟ المسألة هنا مسألة دماء تسري في عروقنا ، وخواطر تجوب في صدورنا ، ورواسب تستقر في أعماقنا ، وعواطف تنساب مع انفاسنا ، وهنا تكمن خطورة القضية التي نحن بصددها .

اننا في المناسبات العديدة ، نتقدم الى بعض أقاربنا او اصدقائنا بباقات من الورد ، أو زجاجات من العطر ، وقد نقيم لهم حفلات في بيوتنا ، نسمعهم فيها الموسيقى ، كما نبعث اليهم ببطاقات التهنئة في الاعياد ، واذا اصابهم مكروه ، نحاول التخفيف عنهم بالعبارات المؤثرة والاسلوب الرقيق ، نفعل ذلك بنفس البساطة التي نعلق بها صورا جميلة على جدران حجراتنا ، ونقتني بذور الورد لنزرعها في جنينات بيوتنا ، ونفرح باطفالنا في اعياد ميلادهم كل سنة ، ولا يخطر ببالنا أن في هذا شيئا غير لائق ، بل ان الاسر والعائلات تحرص عليه حرصها على اثمن شيء في الحياة . فاذا جئنا الى الشعر ، نجد له معارضين ، مع انه المثل الاعلى لكل جميل في حياتنا من آداب وارتباطات . فلماذا هذا الظلم للشعر ؟ وهل نفعل شيئا غير الانفعال بروح الشعر في كل تلك التصرفات الصادرة عنا ؟

وعلى هذا فالشعر متصل بحياة كل واحد منا ، وليس الشعر من اختصاص قوم دون آخرين ، فهذا ينطبق على العلم ، حيث تجد العلماء يتقسمون الاختصاصات ، كل يعمل في محيطه الخاص ، اما الشعر فهو قدر مشترك بين جميع افراد البشر ، منهم من يتعاطاه شاعرا خالقا ، ومنهم من يتعاطاه قارئا هاويا .

ولا يستقل ان يزعم انسان مثقف ان الشعر لا يعنيه قليلا او كثيرا ، بمعنى ان يقطع كل صلة له به ، كل ما هنالك ان بوسعه ان يقول انه ليس لب لباب حياته الثقافية ، اذا كان مهتما في الدرجة الاولى ، بفرع آخر من فروع المعرفة ، ولو زعم ان الشعر لا يعنيه بالمرة ، لكان هذا مرادفا لقوله ان نفسه لا تعنيه ، وان الجمال في الحياة والنفس والطبيعة لا يعنيه ، اذ الشعر ليس الا صورة جمالية ، انبثقت من روح شاعرة ، تتعاطف مع جمال هذه الحياة ، وتصدر عن الامتلاء بروعته وبهائه . ويؤخذ من ذلك ان كل واحد منا شعري الفطرة ، نعم قد يكون لاحدنا مواهب ليست شعرية ، ولكنه لا يمكن ان يخلو تماما من اي ميل شعري ، وخصوصا وان لغة الشعر هي اللغة الاولى التي طرقت اسماعنا في هذا العالم ، بها ناغتنا امهاتنا ونحن في المهد ، فكم داعب الكرى اجفاننا على ايقاعها السحري ، وكم مسحت دموعنا وأعادت الابتسام الى وجوهنا البريئة ، والاطمئنان الى قلوبنا الطاهرة ، وكم قامت عندنا مقام الحلوى في الفم ، والدمية في اليد ، وهي اول لغة انفرجت عنها شفاهنا ، يوم بدأنا نحاور من يحيط بنا من الاهل والاقارب . وما كلمة (ماما) او (امي) الا احدى تلك الكلمات الشعرية الاولى ، ما زالت عالقة بالسنتنا ونحن كبار ، ننطقها مرات ومرات ، فتخرج من افواهنا محتفظة بكل شاعريتها وصدقها وعفويتها ، وطبيعي ان تترسب لغة الشعر هذه في اعماقنا ، اذ تلقيناها ونحن ذوو قلوب فارغة ، ونفوس طاهرة بيضاء الصحيفة ، فتمكنت منا، على غرار قول الشاعر العربي :

اتاني هواها قبل ان اعرف الهوى

فصادف قلبا فارغا فتمكنا

وستبقى هذه اللغة دائما تشغل جانبا كبيرا من حياة الناس الاجتماعية ، اعر سمعك للناس ، وهم يتحاورون ، في السوق ، والشارع ، والمقهى، والحافلة، فستجدهم يتنفسون انفاسا شعرية في كثير من أحاديثهم يتمثل ذلك في الامثال الشعبية ، والحكم العفوية ، والاحاديث الرقيقة العاطفية ، بل حتى في السباب والشتائم المتبادلة ، فديوان الهجاء المغربي حافل بالكلمات الجهنمية اللاذعة ، وراقب بعض الباعة المتجولين ، ونداءاتهم على سلعهم — وان كانت هذه الظاهرة اخذت تختفي من المجتمع المغربي — والتقط شعداد النائحات في مآتمنا واتراحنا الاسروية ، واصغ الى ذلك النشيد الجميل ، الذي تزف به (النكافات)

عروسنا المغربية الى زوجها ، وكذا تغنيهن بمحاسنها ومفاتنها عند ما يعرضنها ويبرزنها للقريبات والمدعوات . وانصت الى المؤذنين في ليالي رمضان ، كيف يعطرون الجو بتراتيلهم الدينية الجميلة ، فيضفون على تلك الليالي طابعها السحري ، كل ذلك وغيره ، مما لم نذكر منه الا النزر اليسير ، يقف شاهدا على ما للشعر في حياتنا الاجتماعية من سلطان ، وليس هذا خاصا بنا وحدنا ، ففي كل مجتمع توجد ضروب من التصرفات والعادات وأساليب القول والعمل ، التي هي آثار شعرية حية ، ترجع الى عامل الفطرة الذي لا يستطيع له أحد تحويلا مهما بذل من جهد ، وهكذا نجد ان الشعر ضروري لحياتنا ، وليست مقاطعته وهجرانه قضاء عليه فهو لابد ان يبحث عن طرق اخرى للاعلان عن نفسه . اما ان يختفي تماما فهذا مخالف لطبيعة الاشياء .

فنحن اذن عندما نقرأ الشعر ونتغنى به ، بل ونتعشقه أحيانا ، نكون أوفياء للفطرة السليمة ، ونحفظ كياننا الروحي من الانهيار .

ولا نقرأ الشعر لهذا فقط ، فهناك حقيقة اخرى يجب الا تغيب عن اذهاننا ، وهي أن هذا الانسان الذي ندعوه شاعرا ، ليس الا واحدا منا ، فهو لم يخترع نفسه اختراعا ، ولم يوجد شعره من عدم ، ولم يستمد عواطفه وموضوعاته من كوكب آخر غير هذا الكوكب ، وانما هو المتحدث باسمنا ، والمعبر عن مشاعرنا ، يمتاز عنا بعمق الاحساس لا بنوع الاحساس ، وبسمو اللغة لا بحرفية اللغة ، فكانت له الصلاحية ليعبر عنا فيزيدنا شعورا بانفسنا وظروفنا ، وتصورا لمثلنا العليا ، وايمانا بآمالنا الكبيرة . واذن فهذه الكلمات المرتعشة المدعوة شعرا قد اشتركنا جميعا في تاليفها على نحو من الانحاء ، حيث يدين لنا الشاعر بقسم كبير من عواطفه وخيالاته وموضوعاته ، والجماعة دائما مصدر الهام وايحاء للشعراء والفنانين ، حتى ولو زعم هؤلاء انهم لا يدينون بشيء من فنونهم الا لنفوسهم وحدها ، فهذا ضرب من الغرور الذي ياخذ الفنان وهو في قمة مجده ، ولو تامل قليلا لالفى نفسه يدين للجماعة بالشيء الكثير ، فمن اين جاءته اللغة ؟ ومن اين جاءته الثقافة ؟ ومن اين اتاه الشعور الانساني ؟ والى من يرجع حظه من الذوق العام ؟ اليس ذلك كله من صنع الجماعة ؟ واذا استقامت هذه الحقيقة لافهامنا ، فكيف نصنع فنانا — ولو باية طريقة من الطرق — ثم نحطمه ، وننكر عليه أن يتحدث اللغة التي أجريناها على لسانه ، وأن يتغنى الالحان التي سكبناها في أذنيه ، وأن يرى الاطياف السحرية التي ملأنا بها خياله ؟ وهل تشع زجاجة العطر الا ما اودعناها من عطر ؟ وهل ترسل القيثارة من الانغام الا ما أجريناه على أوتارها من انغام ؟ لا اقصد بهذا أن الشاعر لا يملك من أمر نفسه شيئا ، وان ليست له اصالة في شعره ، فهذا لم يخطر ببالي قط ، لانه مخالف لطبيعة الشعر وطبيعة الشاعر ، وانما اقصد فقط أن الشاعر يدين بجزء مهم من فنه الى مجتمعه الذي أثر في تربيته الفنية على نحو من الانحاء ، فاذا به اذ ينشد شعره (يقدم لنا نفوسنا في ارقى مستوياتها ، وأجمل مظاهرها ، واغناها بالمعاني ، واحفلها بالصور ، ويقدم لنا الحياة من خلال مشاعر مرهفة ، وقلب كبير تتجاوب فيه اصداء الوجود ، ويقدم لنا معنى ضللنا عنه في دروب الكون ، وشجونا أودعناها صدور السنين ، وآثارا تركتها أقدامنا على طريق الحياة ، وبقايا دموع سكبناها على صفحات العمر ، واصداء لحن جميل ترنمت به شفاهنا في عهود خوالي) ونحن اذ نقرأ شعره ، نصل الرحم ، ونقرب القرابة ، ونرجع الى الاصول ، واذ نعرض عنه ، نرتكب العقوق ، ونتنكر للاخوة ، ونستهين بالانسانية ، واذا ضاعت مكانة الشاعر فينا ، واغلقنا دونه اسماعنا وأبصارنا وقلوبنا ، فأي خير يرجى بعد في هذه الحياة ؟ وماذا بقي فيها من مثل وقيم جميلة تستحق ان نعيش من اجلها ؟ فاقبح انواع العقوق ، وأشنع ضروب الخيانة ، عقوق الانسان وخيانته لاصوله الانسانية .

الحجة التي يتذرع بها خصوم الشعر ، هي انه لا يهبنا قنبلة ولا صاروخا ولا خبزا ، ولا يكشف لنا عن المعادن في بطن الارض ، ولا يحصننا ضد آفات الطبيعة ، وما هو من هذا القبيل ، وانما ذلك من اختصاص العلم ، والعلم وحده ، ولكن عندما نتامل نجد الانسان في حاجة الى شيء آخر غير القنبلة والصاروخ والمدفع والطائرة ، لان هذه قد تتوفر ولا ينتظر منها الا الدمار والخراب ، ما لم تكن من ورائها قوة روحية واخلاقية تحد من شرها ، وتقي الانسان عاقبة التعسف في استعمالها ، وفيما وقع ويقع من مآسي انسانية الدليل على ذلك . والشعر الذي هو أرفع الفنون الجميلة على الاطلاق ، كفيل — طالما احتفظ بمكانته — أن يقيم نوعا من التوازن ، بين الروح والغريزة ، لما يملكه من عفوية تفتح له حتى أشد القلوب صلابة ، وتجمع البشرية على كلمة سواء ، لا تصدها حواجز ولا حدود . وكيف لا والشعر لغة انسانية تخاطب الانسان اينما كان ، ومن اي جنس كان ؟ وهب أن الانسان شبع وارتوى ، وقبض على البندقية ، وربض خلف المدفع ، وطار في جوف الصاروخ ، فهل يكفي هذه لاشعاره بالسعادة والطمانينة ، وجمال العشرة الانسانية ؟

ليس بالصاروخ ولا بالمدفع او الطائرة نتغنى اذا احببنا ، او نتالم اذا شقينا ، او ننفس عن صدورنا اذا استبدت بنا هواجس وشكوك . ولا بها نبكي على احبابنا الراحلين ، أو نتساقى كؤوس الوداد مع اصدقائنا الاوفياء ، ولا بها نعاتب ، ونصالح ، ونعد ، ونتمنى ، ونسخط ، ونرضى ، وانما نفعل كل ذلك بالشعر . وما اعتقد ان هناك من ينكر أن هذه حاجات انسانية أصيلة ، لا يتأتى لنا العيش بدونها ، ولا يكون لوجودنا معناه الانساني الا بها . فآلاف الصواريخ والدبابات والقنابل ، لا تغنينا عن وردة في حديقة ، أو نغمة في وتر ، أو بلبل على غصن ، او كلمات في فم شاعر .. فالوردة أو الكلمة اذا استطاعت ان تزيل غشاوة عن بصيرة ، او تثير احساسا نبيلا ، او تعمق الايمان بمبدا أو عقيدة ، أو تجدد ما بلى من الصلات بين الناس ، أو تحرر انسانا من بعض عقده ، وتشعره بحقيقة كيانه ، كانت كل منهما لا تقل خطورة عن أي شيء عظيم في حياة الناس .

والشعب الذواقة للجمال ، جمال الفن ، وجمال الطبيعة ، يكون شعبا حيا واعيا ، مقدرا لحقوقه وواجباته ، محبا للسلام ، متعشقا للقيم الرفيعة ، والمثل العليا ، عزوفا عن الظلم ، كلفا بالعدل ، معانقا للانسانية كلها ، لان أضداد هذه الامور ، تتنافى وطبيعة الاحساس بالجمال .

فاس : **عبد العلي الوزاني**

المجتمع ومشاكله الكبرى

بقلم عبداللطيف مختار

ما هو المجتمع ؟

لا يمكن ان نطلق هذا الاسم على اي مجتمع من المجتمعات الا اذا توفر فيه عنصر التعدد والقاعدة الرابطة .

فالمجتمع هو عبارة عن مجموعة من المجتمعات المتكونة من عدة افراد ، تجمعهم رابطة واحدة في الدين ، واللغة ، والاهداف المشتركة .

ولذلك ففي علم الاجتماع يقال ان الاسرة هي الخلية الاولى لكل مجتمع ، ولذلك فلا غرابة اذا قلنا ان القاعدة الاساسية لكل مجتمع صالح هي الاسرة الصالحة

وكل مجتمع من المجتمعات يخضع دائما لمجموعة من القوانين والحيثيات التي تنظم منهج حياته ، وتطبعها بطابع الاستقرار والعمل المستمر .. والانتاج الكثير ، والافراد الذين يتكون منهم المجتمع ، والذين يعملون لتحقيق كل هذا يخضعون لسلطة واحدة ، ومن هؤلاء تتكون الدولة .

والدول الحديثة في عالمنا اليوم لا يمكن ان تعيش في وحدانية وانعزالية ، ولذلك تشترك في اهداف واحدة مع مجموعة من الدول الاخرى ، وهذا الاشتراك في الاهداف وحتمية المصير يطلق عليه اليوم ما يسمى بالمجتمع الدولي

لكن ...

ما هي الدولة قبل كل شيء ؟

في كتاب صدر اخيرا للدكتور يحيى الجمل يقول فيه ان الدولة تتالف من عناصر ثلاثة :

1) اقليم ، جزء من المعمورة بارضه وسمائه وما يجري فيه من انهار ، وما يقع داخله من بحيرات وما يحيط به من مياه المحيطات الى مسافة محدودة ، وما يعلو ذلك كله من اجواء السماء

2) شعب ، اي مجموعة من الناس يسكنون الاقليم ويعيشون عليه ويرتبطون به على نحو او اخر ، ولا ضرورة في القانون الدولي ان يرجع هؤلاء السكان الى جنس واحد او يدينون بدين واحد ـ المهم ان يكونوا جميعا مواطنين على ذلك الاقليم ـ اي يحملون جنسية الدولة وينتمون اليها جميعا

3) حكومة ـ والحكومة هي التنظيم السياسي الذي يستطيع ان يضع الاوامر ويكفل لها النفاذ في داخل حدود الاقليم وبالنسبة لسكانه ، وحتى يكون هذا العنصر قائما ومنتجا بالنسبة للمجتمع الدولي ، فان الوحدة الدولية حتى يصدق عليها هذا الوصف يجب ان تتمتع حكومتها بالاستقلال في امورها الخارجية عن سواها من الوحدات الدولية وهو ما يعبر عنه احيانا بعنصر السيادة)

انتهى كلام الدكتور يحيى الجمل

وانا لم ارد ان اسوق التعريف بحيثياته الثلاثة عن الدولة الا لابرز وبكيفية لا يدخل الشك اليها ان الدولة هي كل هذا العناصر فاذا افتقدت واحدة منها اصبحت مشلولة او منعدمة ، ولا جدوى منها

فكل مجتمع يرغب في ارساء دعائمه على اسس متينة لا بد وان يتوفر على شعب يقظ يعمل تحت اشراف حكومة واعية ، وكل منهما يؤدي مهمته لتحقيق الرفاهية والازدهار لمجموع البلاد المتكونة من عدة اقاليم ...

والعصر الحديث اصبحت مشكلاته معقدة تعقيدا جعلت اغلب المفكرين يسلطون عليها من نور عقولهم ، ومداد اقلامهم الشيء الكثير ، فاصبح اغلب هذه المشاكل بارز المعالم ، واضحة الحلول ، واغلب هذه الحلول ما زال موقوفا ينتظر التحقيق ، وما دام تحقيق هذه الحلول لم ياخذ طريق النور ، فستبقى بعض المجتمعات تشتكي دائما لان الوسائل الموجودة بين ايديها لا تكفي ، وسيبقى المجتمع الدولي هو الاخر يشتكي من «اثار الفاقة والجوع ، والمرض ، ويشتكي ايضا من عدم اتزان دوران عجلة التقدم التي اعطت لبعض المجتمعات النصيب الاوفى من الرفاهية ، وتركت بعض الشعوب الاخرى تعاني من ازمات لا اول لها ولا «اخر .

ونشرات الامم المتحدة في هذا الموضوع من اللجان التابعة لها كلجنة الشؤون الاقتصادية والانفاق واللجنة الاجتماعية ، والثقافية والانسانية لخير دليل على انعدام وجود هذا التوازن في المجتمع الدولي .

والانسان اليوم في المجتمع الحديث لم يعد يومن بالمبدا الرواقي القائل : احتمل وازهد لتنعم بالسلام الداخلي ، ولكنه يريد اشياء اكثر من هذا ، لان عقله تفتح على المنجزات التي حققتها كثير من الدول في المضمار الاقتصادي والاجتماعي او وصلت اليها بحكم ارتباطات المجتمعات الداخلية ان صح التعبير في المجتمع الدولي الواحد .

والانسان اليوم لم يعد يعيش حياة الانسان في المجتمعات الغابرة والتي لا تعتمد على مقومات كثيرة من اعتمادها على محراث ، وارض صالحة للزراعة ، وهناء بال .

وقد ادرك الانسان كثيرا من اسرار الطبيعة ، الشيء الذي لم يحصل عليه العقل البشري من قبل .

فاليونان كانوا يسمون الطبيعة (الام الرهيبة التي تعيش مصير البشر وتتحكم فيه ، وفي عصر «اخر كانوا يقولون : ها هي الطبيعة تدعوك وتحبك) كما كان يتغنى بذلك كثير من الشعراء الابداعيين .

ولكن الطبيعة في العصر اليوناني القديم ، وفي عصر الشعراء الابداعيين ليست هي الطبيعة التي توصل الانسان وعقله المفكر الى اكثر اسرارها ، ويحاول اليوم جاهدا ان يكتشف الباقي منها .

وكان طبيعيا ان تتغير حياة المجتمعات طبقا للتغييرات الحاصلة في الطبيعة فاذا كان الانسان هو صاحب كل التجارب ، فان هذا الانسان هو اول واحد يجب ان يستفيد من هذه التجارب ، حتى تتحقق الرفاهية التي كان يحلم بها طويلا ، وحتى ينعم بالاستقرار الطبيعي الذي اخذته منه قرون عديدة ، وحاول جاهدا ان يصل اليه بكل قواه .

ولكن لفظة الاستقرار الطبيعي في مجتمعاتنا الحديثة لفظة سهلة على اللسان ثقيلة في الميزان ، ذلك ان هناك قاعدة يجب ان نومن بها وهي ان المشاكل الانسانية تزداد اتساعا على ممر العصور بالرغم عن اكتشافات عقل الانسان المتواصلة . مثلا .

قد تكون « الالة » من اهم الاكتشافات التي حققها الانسان لصالحه طبعا ، ولكن الالة صحبت معها بعض المشاكل ، وهي في حد ذاتها مشاكل طبيعية ، ولكنها اثقلت كاهل المجتمعات وخصوصا منها النامية بالايدي العاملة التي لا تجد الشغل الضروري والكافي لان الالة قد احتكرت كل شيء وتركت هذه الايدي العاملة تتخبط في مشاكل اجتماعية لا اول لها ولا «اخر .

وفي هذا المجال يقول الاستاذ ميردال وبيرو :

لقد ولد الاقتصاد العصري مع الثورة الصناعية ، وعمل منذ قرن ونصف ، ونتائجه الحالية اذا ما نظرنا اليها من زاوية الكوكب والنوع الانساني كله تبدو متواضعة فنصف الكائنات البشرية ما زال خاضعا لنظام من الاقتصاد ـ التحت الانساني ـ ومشاكل المجتمعات يختلف بعضها عن البعض الاخر ، فاذا كان بعضها يشكو من التضخم البشري ، فان بعضها الاخر يشكو من التضخم المالي ومجتمعات اخرى تشكو من قلة البطالة كما هو حاصل في المانيا ، واخرى تشكو من كثرتها كما هو موجود في كثير من المجتمعات الافريقية والاسيوية بصفة خاصة . ولذلك

فلدراسة احوال اي مجتمع من المجتمعات يلزم دراسة مشاكل تطور هذه المجتمعات حسب مستوياتها وبالتالي الحلول المقترحة والوسائل المهيئة للتنمية ، ثم الدور الذي يمكن ان يلعبه ابناء هذا المجتمع في تطوير مجتمعهم والنهوض به الى احسن مستوى ووضعه

في اجمل اطار . لذا .. فمشاكل اي مجتمع لا يمكن ان يوجد لها الحل النهائي في اعوام قليلة ، فهذا من قبل المستحيل ، ولكن هذه المشاكل يمكن التخفيف منها بحسب الامكانيات التي يتوفر عليها كل مجتمع وبالتالي بحسب تفهم ابناء هذا المجتمع لهذه المشاكل .

ولذلك اصبحت التنمية هي طريق الخلاص لكل مجتمع يريد ان يحقق السعادة لابنائه ، واصبحنا نقرأ ونسمع على ان هناك كثيرا من الدول التي تعمل جاهدة لتحقيق الغد الافضل .

وجل الدول النامية اذا اعتبرنا ان الاستعمار كان حجرة كبيرة في سبيل تقدمها حيث استنزف خيراتها مدة كبيرة من الزمن ، وحيث تركها ايضا في ظلام فكري شامـــــل .

فاذا اعتبرنا خيرات كل بلد ، وعقول ابناء هـذا البلد دعامتـان قويتـان للنهوض بـه ادركنا فداحـــة الخسارة التي اصيبت بها الشعوب النامية التي تاخرت عن ركب التقدم ، وبقيت تشكو من الفاقة ... والجوع والمرض .. والتاخر الفكري .

اذن فالمجتمعات النامية اليوم امام مجموعـة من « الاعداء » الذين يجب القضاء عليهم كما قضي من قبل على الاستعمار بجميع اشكاله والوانه ..

ان المشكل المطروح امام الدول الناميـة اليوم هو هذا : كيف يجب ان نخرج من التخلف ، ونحقـق النمو لبلداننا ؟

واصبح هذا المشكل كذلك اليوم مثار تحقيقات ، واحصائيات ، وتخطيطات كبيرة تطبق في مجموعة من السنوات وتعطي الاسبقية فيه للامور الحيوية التي يشتمل عليها اقتصاد كل بلد .

وعلى نطاق المجتمع الدولي قامت الامم المتحدة بواسطة لجانها المختلفة بوضع مشروعات هذه التحقيقات وهذه الاحصائيات ، وهـذه التخطيطـات ، وتبيـن من بعضها فداحة التخلف الذي ما زالت تعاني منه بعض الدول وخصوصا الافريقية منها والاسيوية .

والمغرب هو الاخر بلد افريقي ابتلي بالاستعمار زمنا طويلا ، تركه فريسة لتخلف كبير يحاول اليـوم جاهدا بعد ان حقق استقلاله السياسي الكامل ان يتغلب عليه ، ويخرج بعد ذلك بالمجتمع من نقطـة التخلف الى نقطة النمو الى تحقيق الرفاهية والازدهار ...

الرباط ـ عبد اللطيف مختـــار

الحمـل يهـون اذا تحملـه كثيـرون

اذا العـــبء الثقيـــل توزعتـــه

اكـف القـوم ، هان على الرقـاب

الســري الموصلــي



للأستاذ حسن الوراكلي

- 3 -

كان « روبن داريو » يكن لاسبانيا حبا خالصا ، ويحفظ لها في سويدائه ودا صادقا ، واغلب الظن انه لم يحس لحظة ما بانها غابت عن نفسه وعقله منذ شغله عن نفسه وعمن حوله هذا التراث الادبي العظيم الذي تفتقت به القريحة الاسبانية في مختلف الاعصار ، يلتهمه التهاما او يستظهره استظهارا ، ومن ثم كان يحلم بزيارة هذا البلد الجميل اذا اصبح او امسى ، ويمني النفس برؤيته اذا غمره ضياء النهار او اظله ظلام الليل وكانت قراءاته المتوالية لاعلام الادب الاسباني تعبر بنفسه وعقله وروحه امواج المحيط الزاخرة لتنزل بها فوق الارض الطيبة ، تطوف بها بين السهول الخضراء والجبال الناصعة ، وتنتقل بها بين الوديان المتدفقة والجداول المنتشية ، وتقف بها لحظات عند الثرى الذي يضم رفات مهندسي الكلمة الاسبانية في ابهى عصور هذه الكلمة ، وتحلق بها في الاجواء حيث تردد اهات جريحة فاضت بها نفوس حزينة ، هي نفوس الرومنطقيين الخالدين من امثال « بيكيرو روساليادي كاسترو » وغيرهما

وفي كواطمالا Guatemala التي قدم اليها بعد ان اضطرته ظروف فوضى الحكم في السلفادور الى مغادرته ، هنالك تحققت امنيته التي طالما حلم بها آناء الليل واطراف النهار ، فلقد سمي من طرف حكومة بلاده عضوا في الوفد الذي سيسافر الى اسبانيا ليمثل « نيكاراكوا » في الاحتفال بالذكرى المائوية الرابعة لاكتشاف امريكا على يد « كريستوفال كولومبوس » ، وهكذا (في شهر شتنبر 1892 حقق روبن حلما من احلامه العظيمة : التعرف على اسبانيا ، ومن قبل وصلت اليها كلمته يحملها كتابه (ازرق ، كصدى اصيل لمنيكوا ، والان يصل ، ايضا ، الرجل ، الهندي الشاعر) (1)

وعند ما ينزل روبن بارض اسبانيا يولي وجهه شطر مدريد متخذا في سفره اليها ، طريقين : طريق السكة الحديدية وطريق التاريخ ، ويمضي به القطار على الارض الصلبة القاسية ارض كاستيا اسبانيا العجوز ، بالكاستيا ، انه ليحس بها تملأ احاسيسه ومشاعره ، انها كالبحر او الصحراء ... انها ككل شاسعات الارض ، وتستبد به رغبة في تامل السماء ، فيتطلع اليها من النافذة ، في كاستيا يؤلف مشهد السحب الخفيفة في السماء جزءا من المناظر الطبيعية الجميلة فوق الارض ، لقد كان الكريكو (2) يعرف ذلك ، ومن اجله كان يرسم لوحاته بفكرة مزج ما هو ارضي بما هو الهي ، ان النزعة التصوفية الشاعرية تطغى على متحدثي كاستيا العظام ، ومن ثم كانوا عند ما يكتبون لا يخلقون

---

1) انظر كتاب
Juan Antonio Cabezas, Ruben Dario - I. 76, 77, 78Segunda edicion - coleccion Aurtral, nº 1182

2) رسام اسباني عاش بين سنتي 1541/1614 ـ وذاع صيته وطارت شهرته كل مطار ، وتضم كنائس طليطلة روائع اللوحات التي سالت بها ريشة هذا الفنان الفذ ، ومن اجل ذلك يقصد الى طليطلة عشاق الفن الزيتي من جميع انحاء الدنيا ، يقرا عنه بتفصيل في كتاب (كركوريومارنيون) : « طليطلة والكريكو » Toledo y el Greco وفي كتاب (خابيير قابريكاش) : «الرسامون العظام» Grandes pintores

نظريات ، بل يخلقون اثارا اسطورية شعرية خاميـة كخـون كيخوطـي وخـون خـوان وقائـد الاعمـى Lazarillo .. ويتابع روبن رحلته الى مدريـد عبر الارض وعبر التاريخ .. وفي محطات القطار على طول الطريق يكتشف روبن ابطال القصص التي تصور حيـاة الصعاليـك ، هـؤلاء الجنـود ، والفلاحـون ، والمتشردون ، والمتبتلات ، والباعـة ، نماذج حيـة ، ناطقة ، لابطال قصص الصعلكة في الادب الاسباني ، وفي محطة القطار «بيركوس اوفياد وليد» يذكر روبن صفحة مشرقة من صفحـات سرفانتس ، هـؤلاء « الحمالون » يتحدثون باسبانيا مشرقة ، نظيفة ، لم يسمع مثلها روبن من قبل ، وهـذه الوجـوه نفسها ، وجـوه الفلاحين الكاستيين والرعاة الاكطريميين (3) هي ، هـي عينها وجوه اولئك الذين صارعوا ثورة الموج في المحيط ليكتشفوا امريكا .

لقد كان روبـن يحس برغبة عارمـة في معرفـة مدريد الثقافية والادبية والاتصال باعلام الفكر واقطاب الكلمة فيها ، وقد اتيح له ذلك او بعضه خلال الاسابيع التي امضاها بها ، فها هو ذا يتعرف على كبار الادبـاء والكتاب بمدريد اواخر القرن التاسـع عشـر ، وكان كتابه (ازرق) قد عرف به من قبل بين هؤلاء ، ومعنى ذلك ان اللقاء الروحي بينه وبين هؤلاء الاعلام كان قد تحقق بالفعل بواسطة (ازرق) الفاتن ، ومن اجل ذلك كان الطريق له ممهدا الى نفوسهم وقلوبهم ، وكان في طليعة من التقى بهم من هؤلاء الاعلام خون مارثلينو ابيلايـو صاحـب كتـاب (تاريخ الافكار الجماليـة) Historia de las ideas estéticas والشاعـر نونييـس دي ارثـي وكانوفـاس وزوجته الشاعـرة الرومنطيقية خواكينا دي اسما ، وقدمه خون خوان فاليرا الناقد المشهور الى الشاعر الاندلسي الشهير ثوريا الذي كان يحيا ايامه الاخيرة تعسا ، بائسا ، فاضطرتـه قسوة الحياة وعنفها الى بيع اكاليله الذهبية التي تـوج بهـا كشاعر غرناطة المقدم سنة 1889 ليسد رمقه ، واتصـل بالقاصة الادبية باردوبازان التي كانت تقلد في صالونها الادبي الكاتبة الفرنسيـة مـدام ركاميـر ، وفي هـذا الصالون اجبرته باردوبازان على القاء بعض قصائده ، ودعي للمشاركة في « ندوات الشعراء » التي كانت تعقد في مكتبة بشارع سان خرونيمو ، واحتفت بمقدمه صحف ومجلات مدريد وتسابقت على نشر انتاجه ، لقد كانت اقامته بمدريد فرصة مكنتـه من الاتصال بكبار الادبـاء ومشاهير الشعراء والكتاب والاحتكاك بهم والاطلاع على ءارائهم في الادب والفكر والحياة ، كل ذلك تضافـر ليخلق في اعماق النفس الروبينية رغبة عنيفة ، بعـد رجوعه الى امريكا ، في العودة الى اسبانيا والتطواف بمراكز الفن والادب والفكر في اوربا .

ولم تكد تمضي فترة بعد عودته من اسبانيـا حتى عين قنصلا معتمدا لكولومبيا في بوينس ايريس، وهنالك امضى شطرا من حياته ، مليئا بالسعادة وطمانينة النفس وفراغ البال،وكتب كتابيه الرائعين السواد Los Raros ونثر غيرمقدس Prosas profanas 1896 ــ وهذا الكتاب الاخير سجل بحق انطلاقة حركة التجديد الحديثة في الشعر الاسباني المعاصر (4) .

وشاء القدر ان يحقق رغبة روبن في العودة الى اسبانيا ، فلقد اوفدته ادارة صحيفة الوطن الشهيرة الى مدريد ليكون مبعوثها الخاص بها ، وذلك على اثـر سقوط الامبراطورية الاسبانية التي لم تكن تغيـب عنها الشمس سنة 1898، وقد اتاحت له اقامته في اسبانيا وخاصة في مدريد الاتصال المباشر بالثقافة والروح الاسبانية في تلك الفترة التاريخية الفاصلة في حياة الشعب الاسباني، وكان من نتائج ذلك كله تاليفه لكتاب « اسبانيا المعاصرة 1901 » .

* * *

لم يقدر لروبن ان يقيم طويلا في اسبانيا ، البلد الذي يحفظ له اعمق الحب واصدق الوفاء ، فما هي الا سنتان مرتا عليه تحت سماء اسبانيا كحلم في الكرى او خلسة المختلس حتى بعث به ادارة الجريدة الانفـة الذكر مراسلا لها في العاصمة الفرنسية ، والحقيقة انه قد سر للحادث وطرب له ، فلكم كان يرغب في زيارة

---

(3) نسبة الى Extremadura احد اقاليم اسبانيا .

(4) انظـر :

Angel Valbuenapart, Historia de la literatura espanola, p. 368-369. Quinta edicion - Editorial Gili.

باريس ، ويوم كان في الشيلي بامريكا يحرر في جريدة الفترة La época كان جماعة من اصدقائه وزملائه يشوقونه في باريس وجوها الادبي والجمالي ، لكنه لم يستطع يومئذ الذهاب الى باريس ، بيد ان الكتب والمجلات الفرنسية كانت تنقل اليه ، وهو يقيم في سنتياكو بالشيلي ، كل ملامح باريس التي يشوقونه في زيارتها ، لقد عاش طويلا في باريس الكتب والمجلات ، كان يجيد الفرنسية ، يقرا بها بودلير وفلوبير ولكونطي دي ليسلي وفرلين وغيرهم .

وهكذا اتيح لروبن ان يشهد بام عينيه مدينة طالما حلم بروءيتها وعلل الفؤاد بزيارتها ، انها باريس الجميله ، مدينة الشعر والجمال والفن ، ينزل بها الشاعر النيكاراكوي ذات يوم من ايام سنة 1900 وبه شوق لروءيتها هو شوق الاصداف الى اعماق البحار ، لكم كان هذا الهندي الشاعر يهوى الكلمة المجنحة ويتعشق النغم العذب ، من اجل ذلك كان يسعى الى روادهما امواتا واحياء ، فها هو ذا يزور المقابر الرومنطيقية حيث تستريح رفات بلزاك وبودلير وموسط وسطندال واخرين ، وها هو ذا يزور مقاهي الحي اللاتيني حيث يتجمع اهل الفن من فرنسيين واجانب ، وفي الحي اللاتيني ، وفي غيره من نوادي الفنانين والشعراء بباريس الرومنطيقية ، البارنسية ، الرمزية ، يتعرف روبن على جماعة من الكتاب والشعراء الذين احبهم يوم كان في امريكا من خلال كتاباتهم مثل : ريشتين ومورياس وشارل موريس واورفيل وغيرهم .

لقد امتدت اقامة روبن بباريس سنوات كانت — كما يتحدث هو نفسه — من اغزر فترات حياته نشاطا وعملا وانتاجا كما اتسمت هذه الفترة بكثرة تنقلاته بين بلاد اوروبا ، فزار — فيما زار منها — انجلترا وبلجيكا وايطاليا والنمسا وهنغاريا والمانيا ، وفي سنة 1904 سمي من طرف حكومة نيكاراكوا قنصلا عاما لها في باريس وكان من بين الكتب التي نشرها يومئذ كتابه : «اراضي مشمسة» Tierras solares وفي السنة التالية زار اسبانيا ونشرت له مجلة الوثائق والمكتبات والمتاحف ديوانه : (اغاني الحياة والامل) Cantos de la vida y esperanza وهو عبارة عن مجموعة من القصائد الشعرية الجميلة ، ويذهب اكثر من ناقد الى القول بان هذا الديوان ياتي في طليعة تواليف روبن التي اعطت لاسمه نباهة ذكر وذيوع صيت .

وعاد روبن ، بعد غيبة دامت ثماني سنوات الى امريكا ، وفي ذلك الابان الم به مرض فسافر الى بوينس ايرس ، ومنها يمم الى بالمادي مايوركا باحثا بين جوانبها عن الهدوء والسكينة ، وامضى بها شتاء سنة 1907 ، وفي السنة التالية عين وزيرا دبلوماسيا لحكومته في مدريد ، فعاد مرة اخرى الى اوروبا

* * *

يخضر الغصن ، ثم يذبل ، وتتوهج الشمعة ، ثم تنطفيء ، وتشرق الشمس ، ثم تتوارى وتغيب .

لكم يبدو ذلك عجيبا ، ومحيرا في اللحظة ذاتها .

لقد صابر روبن وجالد .. ووهب نفسه للقلم والدواة والورق ، فانرى بيدر الشعر الاسباني وحمل اليه العناصر المخصبة في الشكل والمضمون ، فاستطاع بذلك ان يعيد اليه اشراقة سلف بها العهد ، وسحرا مضى به الزمن ، فتالق اسم روبن ، وطبقت شهرته الافاق ، كل الافاق .

وهكذا بعد حياة مليئة بالنشاط والعمل والانتاج ، يصاب روبن بمرض فقر الدم ، ويرسل له صديقه خوان خوان سوريدا يدعوه الى زيارة مايوركا علّه يلقى بين جنباتها بعض الهدوء والراحة ، فلبى دعوة صديقه واقام بميوركا فترة — كما اسلفنا — وكان ان طرا على حالته الصحية تحسن ملحوظ ، حسبه شاعرنا عافية تامة ، فعزم على القاء محاضرات في الولايات المتحدة والمكسيك وامريكا الوسطى ، وفي نيويورك القى محاضرتين سقط بعدهما مريضا ، ثم سافر الى كواطلما حيث اكرم وفادته رئيس حكومتها ، وعصف به الحنين الى مراتع صباه ومغاني طفولته ، فانتقل الى نيكاراكوا وقد اشتد به المرض ، وفي منزله بمدينة ليون — 6 فبراير 1916 — لفظ روبن داريوا انفاسه الاخيرة ، فبكته نيكاراكوا جميعها ، واتشحت الاداب الاسبانية بلباس الحداد حزنا على فقيدها الفذ وتعبيرا عن المها الغائر للمصاب الذي عصف بابنها البار .

تطوان — حسن الوراكلي



- 2 -

5 – جاء في ترجمة ابي العباس احمد بن رشيق الاندلسي الكاتب الذي اشتهر في ايام مجاهد العامري بحسن بيانه وعموم فضله وشدة عدله انه كان يحتاط في الحكم فلا يقدم عليه الا اذا كان معتدل المزاج ضابطا لنفسه غير منساق لهواه . قال الحميدي : « وقد رايته غير مرة اذا غضب في مجلس الحكم اطرق ثم قام ولم يتكلم بين اثنين فظننته كان يذهب الى حديث ابي بكر «1» عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يحكم حكم بين اثنين وهو غضبان » .

والحديث كما هو واضح جاء لنهي الحاكمين عن الحكم في حالة الغضب خوفا من ضياع الحق واغتيال العدل وهذه خطة اسلامية رشيدة توافق الاسس التي جاء من اجلها الاسلام لنسف الباطل واقامة العدل بين الناس .

ومن المعلوم ان الفعل المضارع يجزم بلا الناهية سواء كان المنهي مخاطبا او كان غائبا ولم ينتبه مصحح المعجم فاورد هذا الحديث مرفوع الفعل باعتبار كون لا للنفي لا للنهي وهو سهو واضح اذ الحديث هنا بمثابة قوله تعالى : « لا يتخذ المومنون الكافرين اولياء » «2» .

6 – من المع شعراء الاندلس وكتابها ابن شهيد صاحب التوابع والزوابع ، الذي اقتفى اثره في نهجها ابو العلاء المعري في كتابه رسالة الغفران .

وقد كان ابن شهيد معتزا بنفسه يرى انه نموذج صالح لتمثيل بلاد الاندلس في الادب وقد الف رسائل مختلفة يحاول بها اثبات رايه ويسخر فيها من طبقة المؤدبين الذين لا يحسنون من البيان الا شكله الجاف دون القدرة على سبر المعاني وتذوقها .

لحق الفتنة البربرية واكتوى بوجودها فاضطربت احواله بعد امان وقلق بعد اطمئنان وتحسر على فقد عزه ايام والده عبد الملك احد الوزراء المقربين عند المنصور بن ابي عامر المصطفين في مجالسه المرغوب في منادمتهم والاستئناس بهم .

وكان في شعره يتاثر خطوات المتنبي ويعجب به ايما اعجاب بل نرى فيه احيانا نفثة من نفثات الشريف الرضي في الافتخار والاعتزاز بالحلم والصبر والكرم كقوله :

وما الان قناتي غمز حادثة
ولا استخف بحلمي قط انسان
امضي على الهول قدما لاينهنهني
وانثني لسفيهي وهو حردان
ولا اقارض جهالا بجهلهم
والامر امري والايام اعوان
اهيب بالصبر والشحناء ثائرة
واكظم الغيظ والاحقاد نيران

وهو القائل ايضا :

الم بالحب حتى لو دنا اجلي
لما وجدت لطعم الموت من الم
وذادني كرمي عمن ولهت به
ويلي من الحب او ويلي من الكرم

فهو في هذين البيتين يظهر لوعة الحب والآلام

«1» جاء في كتاب الجذوة انه كان يذهب الى حديث ابي بكرة بزيادة التاء في آخره وهو خطا لم ينتبه اليه المصحح .

«2» توجد ترجمة ابن رشيق هذا بالجزء الثالث من كتاب معجم الادباء صفحة 33 وبكتاب الجذوة ص 114 قال الحميدي عنه : « مات بعيد الاربعين واربعمائة عن سن عالية ».

الحرمان لانه لا يريد ان يشوه حبه بالخديعة والخيانة فكرامته تمنعه من الانسياق مع هواه فهو لا يجد السعادة الا في امرين فاما ان يذهل عن الحب واما ان ينحرف عن كرم النفس وكلاهما صعب تنفيذه فهو ليس خشنا فيجفو ولا مارقا فيلهو .

وورد هذا البيت الاخير في كتاب الجذوة

وزاد في كرمي عمن ولهت به

وبلي من الحب او ويلي من الكرم

وهو تحريف واضح لايتاتى معه المعنى .

والذي يرى هذا الجانب الجدي في ادب ابن شهيد قد يغفل عن ذكر جانب آخر هو اقرب الى طبع ابن شهيد والى بيئته الاولى التي نشأ بها وهو الجانب الوصفي في ذكر المجالس والملاهي حيث تدار الاكؤس المسجدية وتمتد الاصوات بالغناء الجميل وحيث الرقص والقصف وتصوير الشعور الجنسي مع محاولة التمثيل والخلق الابداعي الملائم لنفسية ابن شهيد ايام رخائه قبل الفتنة البربرية القاسية فهو الذي يقول في وصف مجلس شراب :

اذن الديك فثب او ثوب
وانضح القلب بماء العنب
وتأمل آية معجزة
ما قراناً مثلها في الكتب
ركع الابريق من طاعته
وبكى ، فابتل ثوب الاكوب
ولول المزهر ينفي كربي
وتطربت فاعيا طربي
وربيب قام فينا ساقيا
كالرشا ارضع بين الربرب
ظبية دون الصبايا قصصت
فاتت غيداء في شكل صبي
فتح الورد على صفحتها
وحماه صدغها بالعقرب
فمشت نحوي وقد ملكتها
مشية العصفور نحو الثعلب

فهو في هذه المقطعة يعبر عن نزوة من نزوات الجنس ويصف بصراحة نظرته الاستمتاعية دون مراوغة او التواء على خلاف ما لاحظناه في الابيات الاخرى . ومن المعلوم ان الشاعر يمثل النفس الانسانية في شتى نزعاتها بين اليأس والامل وبين الزهد والاستسلام وبين الثورة والتمرد لذلك يكون شعره تعبيرا عن فترة من فترات حياته التي يقضيها يائسا او لاهيا .

7 – ولد ابن شهيد هذا سنة 382هـ وتوفي سنة 426هـ ولكن وقع حين طبع الكتاب خطأ واضح في ذكر ولادته . قال الحموي«1»: احمد بن عبد الملك ابن احمد بن عبد الملك ابن عمر بن محمد بن عيسى بن شهيد ابو عامر ، اشجعي النسب من ولد الوضاح بن رزاح الذي كان مع الضحاك يوم المرج ذكره الحميدي وقال : انه مات في جمادى الاولى سنة ست وعشرين واربعمائة بقرطبة **ومولده سنة اثنتي عشرة وثلاثمائة » وهو خطا بين لم يقع في كتاب الجذوة .**

8 – مما يلاحظ حين طبع الكتاب ان المصففين نسوا ضميرا افسد المعنى على القارئين فاحمد بن عبد الملك هذا نشأ في بيئة المجد والرخاء وعاشر الادباء والشعراء على اختلاف منازعهم وكان يلقى في طفولته حدبا بينا من المنصور بن ابي عامر وقضى والده فترات العز ايام ازدهار الدولة الاموية وايام العامريين . قال الحموي في سياق الحديث عن ابن شهيد : « وابوه عبد الملك بن احمد شيخ من شيوخ وزراء الدولة العامرية ومن اهل الادب وكان في ايام عبد الرحمن الناصر له شعر وبديهة ولم يخلف لنفسه نظيرا في علمي النظم والنثر » ولكن حين طبع الكتاب اهمل الضمير فجاء النص على هذه الصيغة القاصرة : « وابو عبد الملك بن احمد شيخ من شيوخ وزراء الدولة العامرية ..الخ فاختلط الاسم بالكنية واصبح من العسير آنذاك الوصول الى المراد الا بالاطلاع على مصادر اخرى لتبين الحقيقة .

ولا بأس ان اقدم للقراء نموذجا من شعر هذا الوالد الواله المستمتع الذي قضى شطرا من حياته في اللهو قبل ان يتنسك حين بلغ من الشيخوخة عتيا . وبلغ به الانسياق مع مجالس اللهو حدا لايميز فيه بين الصحة والمرض والشباب والهرم فقد مرض بالنقرس وعسرت عليه الحركة ومع ذلك لم يقدر

«1» معجم الادباء الجزء الثالث صفحة 220

على هجر الملاهي ومقاطعة الحفلات الراقصة الصاخبة فاستمع اليه وهو يقول فى مجلس من مجالس الانس «1» :

هاك شيخ قاده عذر لك
قام فى رقصه مستهلكا
لم يطق يرقصها مستثبتا
فانثنى يرقصها مستمسكا
عاقه من هزها معتدلا
نقرس انحى عليه فاتكا
انا لو كنت كما تعرفني
قمت اجلالا على راسي لكا
قهقه الابريق مني ضحكا
ورأى رعشة رجلي فبكى

ولاشك ان شاعرية الاب كان لها اثر فى خلق شاعرية الابن الذي نشأ معتزا بنفسه وبأسرته وبادبه .

9 ـ ترجم الحموي فى كتابه للشاعر الاندلسي احمد بن كليب «2» المتوفى سنة 426هـ .

ومن يطلع على الكتب القديمة يجد ان احمد ابن كليب يأخذ منها حظا وافرا لا لجمال شعره ولكن للتندر بقصته الشهيرة التي ارتبط بها فى تاريخ العشق المنحرف فقد وله بحب اسلم بن احمد بن سعيد حين رآه فى مجلس ابي عبد الله محمد بن خطاب النحوي وتتبع خطاه بعد ذلك واصبح لا ينثني عن ذكره ولا يفتر عن تصوير عشقه ينشد فيه الشعر سرا وعلانية حتى ضاق بذلك اسلم حياء من الجماهير التي علمت بخبره واذاعت شعر عشيقه وتغنت به فى المحافل فلزم داره وابتعد عن الجماعات اياما طويلة فلم يتصل بالناس الا بعد موت احمد مضنى بهواه .

قال ابو عبد الله محمد بن الحسن المدحجي (3) :
«كان احمد بن كليب من اهل الادب البارع والشعر الرائق فاشتد كلفه باسلم وفارق صبره وصرف فيه القول متسترا بذلك الى ان فشت اشعاره وجرت على الالسنة وتنوشدت فى المحافل فلعهدي بعرس فى فى بعض الشوارع بقرطبة والنكوري الزامر قاعد فى وسط الحفل وفى راسه قلنسوة وشي ، وعليه ثوب خز عبيدي وفرسه بالحلية المحلاة يمسكه غلامه وكان فيما مضى يزمر لعبد الرحمن الناصر وهو يزمر فى البوق بقول احمد بن كليب فى اسلم :

اسلمني فى هوا
ه اسلم هذا الرشا
غزال له مقلة
يصيب بها من يشا
وشى بيننا حاسد
سيسال عما وشى
ولو شاء ان يرتشي
على الوصل روحي ارتشى

ومغن محسن يسايره فيها . قال فلما بلغ هذا المبلغ انقطع اسلم عن جميع مجالس الطرب ولزم بيته والجلوس على بابه »

وانما اوردت قصة هذا الشاعر لوجود الاختلاف فى التعريف بصاحبه اسلم فقد جاء فى كتاب الحميدي حديثا عن ابن حزم عن ابي عبد الله محمد ابن الحسن المدحجي انه قال : « كنت اختلف فى النحو الى ابي عبد الله محمد بن خطاب النحوي فى جماعة وكان معنا عنده ابو الحسن **اسلم بن احمد بن سعيد بن قاضي الجماعة اسلم** بن عبد العزيز صاحب المزني والربيع » ولكن نقل هذا النص فى كتاب المعجم بزيادة واو عطف افسد المعنى بحيث اصبح المجلس يضم اسلم بن احمد بن سعيد بن قاضي الجماعة واسلم ابن عبد العزيز وهو خطأ واضح تعرض له الناسخون فيما تعرضوا له من اخطاء حين نسخ الكتاب .

ولا بأس ان اشير الى ان داود الانطاكي فى كتاب تزيين الاسواق قد جعل اسلم هذا شخصا آخر اذ هو اسلم بن سعيد بن خلف تولى القضاء بالاندلس بعد الحجابة وله يد فى الادب وديوان شعر معروف .

وحيث ان الحميدي اقرب الادباء الى عصر القصة فان كتابه يكون اقوى حجة واقرب منالا .

«10» ينتقل المؤلف الى ترجمة الشاعر الكاتب احمد بن محمد بن عبد ربه صاحب العقد الفريد «4»

«1» تاريخ الادب الاندلسي عصر سيادة قرطبة للدكتور احسان عباس صفحة 216 .

«2» فى كتاب تزيين الاسواق بتفصيل اشواق العشاق لداوود الانطاكي ترجمة لابن كليب صفحة 160 وقال عنه هو احمد بن قزمان الشهير بابن كليب الكاتب كان اندلسيا شاعرا نحويا متفقها .

«3» كتاب الجذوة صفحة 134 . وكتاب معجم الادباء الجزء الرابع صفحة 109 .

«4» كتاب معجم الادباء الجزء الرابع صفحة 211 . ولد ابن عبد ربه سنة 246 هـ وتوفي سنة 328 هـ .

وهو يمثل مرحلة اخرى من مراحل الادب الاندلسي سبقت عصر بن شهيد المتقدم الذكر .

فابن عبد ربه نشأ في بلاط الامويين حين استقر امرهم واصبح اتجاههم يهدف الى ايجاد دولة عربية اندلسية تتمتع بكل ما يتمتع به العباسيون في الشرق من مظاهر الحضارة والثقافة . وكان يمثل الثقافة الاسلامية اصدق تمثيل لانه نهل من ينابيعها من اعلام الفقه والحديث واللغة كبقي بن مخلد وابن وضاح والخشني .

واتصل ادبه بالدولة فمدح ملوكها ووصف وقائعها واثنى على قوادها ورؤسائها ونظم ارجوزة في وصف ايام عبدالرحمن الناصر تعد من اكبر الاراجيز التي استعملت في تسجيل تاريخ الدول وذكر مفاخرهم

والف كتابا ادبيا يعد من عيون كتب الادب جمع فيه ما بلغ الى الاندلس من ادب المشرق واعتنى فيه بالعروض والموسيقى واستشهد بشعره كثيرا لكن الصاحب بن عباد حين قراه قال تلك بضاعتنا ردت الينا بمعنى ان الكتاب شرقي في مضمونه وشكله والحقيقة ان شخصية ابن عبد ربه كانت واضحة في كتاب العقد سواء في حسن اختياره او في خطراته النقدية التي كان يبديها من حين لآخر .

وكان ابن عبد ربه في شعره لايتكلف القول ولا يعقد المعاني بل كان يسير مع طبعه يرتجل الشعر بديهة فياتي حلوا شيقا وينشده في مختلف الاغراض فيلقى اعجابا وتقديرا ، الا ان اكثر شعره في اخريات حياته كان في الزهد والخوف من الموت والفناء والتحسر على ما فات من ايامه بل حرص على تمحيص آثامه والتكفير عن ايام شبابه فناقض قصائده الاولى التي عبر فيها عن اعجابه بالجمال والتي وصف فيها شعوره ازاء المراة الفاتنة والموسيقى الساحرة والتي سجل فيها انطباعات شبابه بقصائد اخرى سماها **الممحصات** (بصيغة اسم الفاعل) اي المطهرات من الذنوب ولكن الناشر لم يتنبه لذلك فكتب الممحصات بصيغة اسم المفعول وفتح الحاء وهو سهو ظاهر ما كان اجدره ان يبتعد عنه .

ومن الممحصات قوله :

الا انما الدنيا غضارة ايكة
اذا اخضر منها جانب جف جانب

هي الدار ما الآمال الا فجائع
عليها ولا اللذات الا مصائب

وكم اسخنت بالامس عينا قريرة
وقرت عيون دمعها الآن ساكب

فلا تكتحل عيناك منها بعبرة
على ذاهب منها فانك ذاهب

ومن شعره ايام افتتانه بالسماع ما ذكره الحميدي عن ابن حزم انه قال (1) : « اخبرني بعض الشيوخ ان ابا عمر احمد بن عبد ربه وقف تحت روشن لبعض الرؤساء وقد سمع غناء حسنا فرش بماء ولم يعرف من هو فمال الى مسجد قريب من المكان واستدعى بعض الواح الصبيان فكتب :

يا من يضن بصوت الطائر الفرد
ما كنت احسب هذا البخل في احد

لو ان اسماع اهل الارض قاطبة
اصغت الى الصوت لم ينقص ولم يزد

فلا تضن على سمعي تقلده
صوتا يجول مجال الروح في الجسد

لو كان زرياب حيا ثم اسمعه
لذاب من حسد او مات من كمد

اما النبيذ فاني لست اشربه
ولست آتيك الا كسرتي بيدي

ويظهر انه صادق في شعره وشعوره وان الممحصات حين كتبها لم تكن للتكفير عن الانغماس المطلق في اللهو ايام الشباب وانما كانت للتكفير عن فلتات خفيفة ادت به الى الغزل او حب النظر في الملاح او حب الاستمتاع بالاصوات الجميلة مما كان لايبيحه بعض الفقهاء المعاصرين له .

11 قال الحميدي في كتاب الجذوة عند حديثه عن ابن عبد ربه : « وشعره كثير مجموع رايت منه نيفا وعشرين جزءا جمع للحكم بن عبد الرحمن الناصر » .

وليس من المعقول ان يكون الخليفة الحكم بن عبد الرحمن الناصر ممن يضطرب المؤرخون في معرفة نسبه او جهل ابيه لذلك لم يكن من المسموح به ان يجعل الناشر الحكم ابنا لعبد الله الملقب بالناصر وان

1) كتاب الجذوة صفحة 95 وكتاب المعجم الجزء الرابع صفحة 216

يحرف ما في الاصل وينبه على ذلك دون ان يشعر بانه آثـر الصواب على الخطــا .

ان عبد الرحمن الناصر اشهر من ان يعـرف في تاريخ الاندلس فهو اول من تـسمى بالخلافة في الاندلس وهو باني الزهراء والزاهرة . واما ابنه الحكم فيعد في الاندلس ايام الامويين بمثابة المامون العباسي في الشرق فقد ضمت مكتبته ما يقرب من اربعمائة الف مجلد في العلم والادب وكان لخزانته فضل على الازدهار العلمي والادبي في بلاد الاندلس خصوصا بعد الفتنة البربريـة التي وزعت تلك الكتب في الآفاق فاستفاد منها الخواص والعوام وظهر اثرها ايام ملوك الطوائف وايام المرابطين والموحديــن .

12 قال الحموي عند حديثــه عن ابـن عبـد ربـه : « وقد اجاز لي رواية كتابه الموسوم بالعقـد الحافظ ذو النسبين بني دحية والحسين ، ابو الخطاب عمر بن الحسين (1) المعروف بابن دحيـة **السبتـي** (يريد السبتي)

ان مدينة سبتة من اشهر المدن الساحليــة في المغرب ولقد شاركت مشاركة فعالة في خلق تاريـخ مجيد لهذه الامة المغربية وكانت صلة الوصل بيننــا وبين الاندلس .

ضمت مجالس للعلم حافلــة واهتمت بنشـر الثقافة العربية والاسلامية فكان منها الادباء والنقـاد والفقهاء والمحدثـون والمفسـرون والاطبــاء وعلمــاء الرياضيات وعلماء التصوف وغير ذلك من مجــالات العلم في مختلف الاعصر . وانتقل من هؤلاء عدد كبيـر الى المشرق من بينهم ابو الخطاب عمر بن الحسيــن هذا الذي روى عنه الحموي كتاب العقد فقد زار بلاد الشام والعراق وخراسان وقد وفد على مدينة اربـل ولعله هناك التقى بالمؤلــف .

يقول الاستاذ عبد الله كنون (2) : « وابن دحيـة هذا قد استقر مع اخيه ابي عمرو بمصر وكان لصاحبها الكامل بن ايوب عناية كبيرة بهما وبنـى لابي الخطاب دار الحديث الكاملية بالقاهرة ثم سلمها لاخيـه أبـي عمرو وكانا يميلان الى النظر والاجتهاد وربما نسبــا الى الظاهرية »

وتوفي ابو الخطاب سنة 633 هـ

ان سبتة التي ينتسب اليها ابن دحيـة مدينــة مغربية صميمة لايمكن ان تنفصل مطلقا عن كياننا وعن اكمال اطارنا الوطني الموحد ولا ينبغي ان ندع اسمهـا محرفا في كتاب عربي يتداوله الادباء والعلماء

فاس : محمد بن عبد العزيز الدباغ

---

1) في كتاب النبوغ للاستاذ عبد الله كنون : ابو الخطاب عمـر بن الحسن .
2) كتاب النبوغ المغربي الجزء الاول صفحة 153 الطبعــة الثانيــة .



الترجمة من زاوية المتعة والواجب

بقلم : كلود ايلسون
تعريب الاستاذ : عبد الرحمان بنعبد الله

كلود ايلسن من المع كتاب فرنسا في العصر الحاضر ، والفكر الفرنسي مدين له بالكثير من الابحاث الرصينة والمقالات الموضوعية القيمة .

له في ميادين الترجمة والنقل ، الى جانب نشاطه الفذ وانتاجه الجم في لغة بلاده ، جولات موفقة دفعت حركة الفكر اشواطا بعيدة وما زالت لها ، خارج بلاده ، اصداء عميقة اهتز لها قراؤه في كل مكان .

عالج الترجمة منذ زمن بعيد ، فبرع اساليبها وتمرس بفنونها والم بقواعدها وافاد كثيرا من تجربته الخصبة ، بحكم ما ترجمه وما ترجم له فجاءت ارتساماته حولها في هذا المقال انعكاسا امينا لاتساع افقه ووفرة تجاربه وبعد نظراته .

هل الترجمة فن ؟ انها على كل حال مهنة ذات طابع فني ، مهنة شاقة ، تملك على المرء مشاعره وعقله ولا تدر عليه من الربح «في فرنسا» الا اقل من القليل ، واغلب الظن ان لها الى جانب ذلك محاسن اخرى تبرر اقبال البعض عليها في غير ملل ، وبنوع من الشوق ، اود ان اعرض هنا لطبيعته بشيء من البحث والتحليل .

انتهى بي المطاف الى ميدان الترجمة وقد انصرمت من حياتي خمسة وثلاثون سنة كاملة ، كان يحفزني اليها عاملان اساسيان : ضرورة الحصول على مورد للرزق ، ورغبتي في مزاولة عمل لا تجبرني ضروراته على فراق البادية حيث كان يلذ لي ان اعيش .. وقد سبق لي ان ترجمت ـ دون ان استشعر في ذلك اي متعة كتابين مبتذلين كان نقلهما اشق علي من كل انواع العقوبات التي فرضت علي ، ايام الصبا ، في المدرسة .. ومن الصدف الحميدة اني لم اكد اشرف على نهايتها حتى فوجئت بعرض خاص يسالني فيه ناشران ان اقوم بترجمة كتابين على جانب من الاصالة كبير « انا اسطورة » ارتشارد ماتيسون و « مواقف انجلوساكسونية » لانكوس ويلسون فكان ذلك نقطة تحول في حياتي .. لقد اصبح العمل في نظري مزيجا من المتعة والحب ولم يعد كما كان من ذي قبل مجرد زواج بين العقل والمنفعة .

ومنذ ذلك الحين ، ترجمت لقراء الفرنسية ما يربو على ثلاثين كتابا كان كل منها بالنسبة لي «مغامرة» شائقة ، والغرض الرئيسي من مقالي هذا ، ان اتناول بشيء من التفصيل بعض الارتسامات التي توافرت لي عن هذه المغامرة العجيبة التي تنحصر عادة في كتابة مؤلفات الغير « من جديد » .

وانا اكتفي بهذا التعريف الناقص وان كنت لا استكين اليه ، فاني لم اجد من التعابير ما يبلغ الهدف او يوفي على الغاية ، وملاك القول ان وضع المترجم شبيه الى حد بعيد بوضع الفنان الذي يؤدي مقطوعة موسيقية ، فلسنا ننتظر منه ان يخلق الانتاج او ان يعيد خلقه ، لانه قبل كل شيء ، مطالب بنقله

الى لغة يفهمها اولئك الذين لا تتأتى لهم الاستفادة منه على صورته الاصلية ؛ فهو مجهود يصطدم حتما بكثير من العوائق سواء كان نقلا لنص اجنبي الى اللغة الفرنسية او اداء لمعزوفة موسيقية بلغة الالحان والانغام . والترجمة الرديئة كالاداء الرديء ، كلاهما « يقتل » الانتاج .

كما ان من شروط الترجمة الصحيحة ان ان يجعل المترجم نصب عينيه عبقرية كل من اللغتين، والفروق السطحية او العميقة التي تفصل بينهما ، والخصائص المميزة لكل منهما ، وحتى « الجرس » الذي تنفرد به كل لغة « خاصة فيما يرجع للغة الحوار » .

فليس من السهل بتاتا ان تنقل الى الفرنسية ، بكيفية سليمة ، حوارا لشخوص رواية انجليزية او امريكية مثلا دون اعتبار لطريقة الاداء ، لاننا نعتقد ان هذه الاخيرة تعكس علاوة على جنسية المحاور ، مهنته ووضعه الاجتماعي وخصائصه النفسية وكل المعطيات التي يجب ان توحي بها الترجمة دون الاكتفاء بالنقل الحرفي فلا يليق بصحفي امريكي مثلا ان يكتب « بالفرنسية » كأحد ابطال المجموعة السوداء «1» او كأحد الاساتذة الجامعيين ، وقد لا يليق ان يعبر عن افكاره كأحد الصحفيين الفرنسيين، واهم من ذلك ، وهذا ينطبق على كل شخوص الرواية او القصة بقطع النظر عن الجنس الذي ينتمون اليه ، انه لايليق به مطلقا ان يتكلم بهذا اللفظ الذي يسمونه « ترجمة » لاينطوي على اية دلالة ، ولانه اقرب ما يكون الى تلك اللغات المشوهة فيما يترجم من صور متحركة «2» .

كان احد اصدقائنا يقول : « هناك شرطان اساسيان فى كل ترجمة صحيحة : استكناه اللغتين وكتابتهما بصورة جيدة ، بيد ان الجمع بينهما نادر جدا » .

وصديقنا مصيب فى رايه ، فالمترجمون بالمعنى الصحيح قليلون ، اذ النقل من لغة الى اخرى يستلزم كما راينا ، احاطة جدية باللغتين ، وهو شرط لا يتوافر لعموم النقلة .

ونحن اذ نؤكد على وجوب الاحاطة بكلتا اللغتين ، نرى لزاما على المترجم ، بالاضافة الى المامه باللغة التي ينقل عنها ان يجيد الكتابة باللغة التي يترجم اليها ، وفى اعتقادنا ان الترجمة الجيدة اقرب الترجمات فى شكلها ومضمونها الى الانتاج الاصلي ، على اعتبار انها خلو من شوائب العجمة والركاكة .

فى ذلك ما يفسر ان عددا من ابرز الكتاب قد توفقوا وحدهم ، او بمعونة غيرهم ، الى ترجمة مؤلفات كثيرة كتبت ، اصلا ، بلغة يجهلون عنها كل شيء او لا يعرفون عنها الا النزر اليسير .. فاقتصروا فى انتاجهم على مسودة لاحد العارفين بهذه اللغة ، ممن لا يحترفون صناعة القلم ، واعادوا كتابتها باسلوبهم الخاص . والذي لا جدال فيه ان نتاج هذا التعاون يغني ، فى بعض الاحيان ، عن غيره من الترجمات الامينة التي لا تعنى بالاسلوب ولا تتقيد بمباديء الترجمة الحق .

من اسباب الاعتزاز بالنسبة للكاتب ان تنقل كتاباته الى لغة اجنبية ، على انه لا يستكين لهذا النقل فهو فى دوامة من الحيرة والقلق ، ما دام يجهل اللغة الاجنبية التي ترجمت اليها كتاباته ، والمقال او الكتاب المنقول فى نظره لغز مغلق ، لا يتأتى له ان يسبر اغواره شكلا ومضمونا .. كذلك حين جاءني احدهم بترجمة يابانية لكتاب وضعته «بالفرنسية» واخرى المانية لمقال نشرته بمجلة معروفة ، واعترف اني لا اتقن من اليابانية ولا الالمانية كلمة واحدة ، فكان موقفي من هذه النصوص اقرب ما يكون من موقف المصروع الذي يفيق من غيبوبته ليعلم انه اتى فى تصرفاته اشياء يجهل كل شيء عن طبيعتها ومغزاها .

ان من ابسط قواعد الاحترام والتقدير للكاتب والانتاج معا ان يعمل الناقل على خدمتها فى امانة واخلاص ، وان يتقيد – ما امكن – بروح النص الذي اضطلع بترجمته ، وبكلمة ، فليس الغرض من الترجمة ان ينقل الكتاب الاصلي الى لغة اخرى ، نقلا دقيقا ، وانما الهدف منها ، كتابة النص من جديد بصورة لا يختلف فيها عن النصوص الموضوعة ، فالترجمة

«1» المجموعة السوداء : سلسلة من الكتب الفرنسية كثيرة التداول ، تعالج القصص البوليسي « المعرب »

«2» الصور المتحركة : هي الافلام . هكذا عربها الاستاذ الكبير عباس محمود العقاد . ونحن نتوخى تعريبها على هذا النحو عملا بمبدأ كاتب المقال «المعرب»

الحرفيـة التي تتقيـد باللفظ ولا تعنى بالمفهوم تنتهي حتما الى نتائج عكسيـة ولا تحقق اغراض الترجمـة.

من الكتب التي مانعت في ترجمتها ما يستحق الاهتمام لفائدته وقيمته ، وسبب اعراضي عنهـا انها مؤلفات لم تصادف هوى في نفسي ولم اجـد لقراءتها صدى في اعماقي . فليـ ـس المترجم اداة للترجمة لانه غير مطالب بنقل الكتاب الذي لا يميل الى موضوعه او المقال الذي لا يهتم بمضمونه او يستمتع بقراءته .

ومع كل ذلك ، يبقى باب النقل مفتوحا في وجه النقلة ، فلئن سعدت بترجمة دراسات وقصص عديدة هي في نظري على جانب كبير من الاهمية ، فلقد شاقني ايضا ان اترجم « انا اسطورة » او غيرها من القصص البوليـسي .

بيد انني اضيق بالترجمة حين اشرع في نقـل كتاب مبتذل ، للضرورة او ارضـاء لاحد الناشرين ، على انها في معظم الاحيـان ، تجربة في غاية الفائـدة لانها تتيح للمترجم ان يتقن عمله ، كالعازف الـذي يتمرس بالالحان او الرياضي الذي يزاول مختلـف فنـون الرياضـة .

في السطور السابقة صورة للمترجم ، قريبـة جدا من الصورة التي رسخت في اذهان الناس عـن الموسيقي والواقع ان اوجه الشبه كثيرة ايضا بينه وبين الكوميدي ، فاول واجبات المترجم حين يعرض لانتاج قصصي او روائي ، ان يتقمص شخصية المؤلف وكل شخوص القصة او الروايـة ، وهو شرط لازم لنقل المناخ النفسي الذي كتب فيه المؤلف انتاجـه ، واللهجـة التي ادى بها الاخرون ادوارهم . فليست الترجمة « تحويـلا » للكلمات والجمل والافكار مـن لغة الى اخرى ، وانما هي نقل لكل ما يكمـن وراء الكلمات والجمل والافكـار ، للطاقة التي يفرغهـا المشخصـون في ادوارهم . وهي مهمة يلتقي مـع المترجم فيها الممثلون والمخرجون على السـواء .

وسبيل القارىء الى التأكد من سلامة الترجمة ان يقرأ الحوار المترجم بصوت عال « سواء كان الانتاج قصة أو مسرحية » ليتبين الى اي حـد كان المترجم وفيـا لمبـادىء اللغـة التي ينقل اليهـا .

للترجمة امكانيات محدودة ، فليست هنـاك ترجمة فرنسية مرضية لآثار شكسبير ، وليست هناك ترجمة انجليزية مرضيـة لاثار فرلين او ملارمـي او سيلين « وانا اقصر القول على اللغات التـي اعرفهـا » .

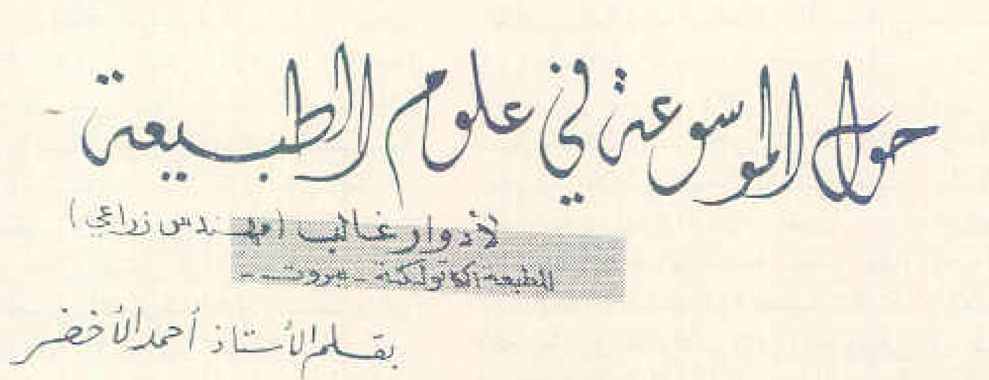
وعزاء المترجم ان لكل ادب خصائص ومميـزات يتعذر نقلها من لغة الى اخـرى . فاحسن الصـور لا يمكنها ان تعكس جمال اللوحة الاصلية ، والمعزوفـة التي اعدت للكمان لا يمكن اداؤها بالبيان دون تشويه لمعالمهـا .

على ان جودة النتائج ليست — دائما — وقفـا على الوقت الذي ينفق في ترجمة الانتاج او الامانة التي يجب ان يتحلى بها الناقل او الجهد الـذي يبذلـه في «تهذيب» هذه الترجمة . فكثرة التهذيب قد تفقـد النص شيئًا من حياته ورشاقته .. وقد تفقده هـذه التلقائية التي تمثل حجـر الاسـاس في كـل ترجمـة سليمة . ولعل في ذلك ما يؤكد ما المعنـا اليه آنفـا من ضرورة الاحاطة باللغة المنقـول اليها مع التوفـر على ملكة التقليد ، التي لا غنـى عنها لكل كوميدي .

وقد يكلفنـي الكتاب الذي يقع في مائتـي صفحة من الوقت ، اضعاف ما انفقه في ترجمة الكتاب الـذي يقع في اربعمائة صفحة ، اذ يشـق علـي كثيرا ان اتقمص شخصية الكاتب في الاول ، بينما لا اجـد اي مشقة في ترجمة الثانـي ، وتلك ظاهرة لا يلحظهـا الناقل عند قراءة الكتاب الذي يعتزم نقلـه .

في ذلك ما يفسر ان اولى صفحات الكتـاب اصعب ما في ترجمته . فالترجمة كالقميص الجديد، لا ترتاح للمسه حيـن ترتديه لاول مرة ..

كلود ايلسون — عن مجلة باريس
تعريب : عبـد الرحمـن بنعبـد اللـه



اصطلاح : تدل الحروف التي توجد بين قوسين بعد بعض الكلمات على ما يلي : ف : فتحة ، ض: ضمة ، ك : كسرة ، ش : شدة .

قدم لهذا العمل الجليل الضخم رئيس الجامعة اللبنانية فؤاد افرام البستاني بالكلمات الاتية: «يسرنا ان نزف الى ابناء الضاد ، ولاسيما العاملون منهم على النهضة باللغة مجاراة لاحداث العصر ، وتلبية لمختلف حاجاته وتكاليفه ، الغير على صفائها الاصيل ان تشوبه حوشية لفظ دخيل باسم العلم ، او رطانة تعبير غريب بحجة دقة البحث - هذه الموسوعة الجديدة ، شاملة علوم الطبيعة بانواعها وتفرعاتها مفردة ومجتمعة ، نظرية وتطبيقية في المجتمع الانساني المعاصر . فمن الفلاحة والزراعة الى النبات في متميز ضروبه ، الى الحيوان في متعدد فروعه وشعبه، الى الطفيليات والجراثيم ، وما قد ينتج بعضها من ادواء نباتية وحيوانية ، الى الفيزياء والكيمياء ، والرياضيات ، والجيولوجية ، والفلك ، الى اثر كل ذلك في المجتمع وعلاقة الناس به فائدة واستخداما ، ووقاية وعلاجا ومعاملات قانونية ، تتوالى الابحاث وفاقا للترتيب الابجدي العربي ، يقابلها في كل عنوان ، اسمها باللاتينية ، لغة العلم ، وباللغات الاجنبية .. مما يجعل الكتاب سفر علم وادب ، يرضى عنه الاختصاصي المدقق ، ويرحب به اللغوي البصير ، ويهش له الاديب المثقف ، ويفيد منه كل طالب علم على الاطلاق » .

واضيف من جهتي ان مثل هذا العمل اساس من اسس النهضة باللغة العربية ، كان علينا ان نقوم به منذ زمن بعيد حينما اصطدم العالم العربي بالمدنية الغربية ورأى وادرك ان تقدم الغرب انما هو تقدم يرتكز على العلم ويستمد قواه من تطبيقه في سائر الميادين . والمجهودات التي قمنا بها الى حد الان مجهودات جبارة ولكن تقصها التنظيم والمنهج .

وقبل ان ابدي بعض الاراء حول هذه النقطة الاخيرة اي ما تقصنا من تنظيم ومنهج في تطوير اللغة ، اريد ان ابحث في طريقة ادوار غالب لوضع بعض مصطلحاته :

طالعت هذا الكتاب وتتبعت مفرداته من اولها الى آخرها واعجبني من حيث هو مادة خام . مادة خام في فن السيد ادوار غالب وهو مهندس زراعي . وقد اميل الى الظن انه الف موسوعته هذه بالصفة الاتية :

1» عمد فيما يرجع الى اسماء الحيوانات والنباتات الى المعاجم والمؤلفات الخاصة بهذه الفنون ، والتي ذكرها في اول الكتاب .

2» طالع قواميس عربية مثل معجم مقاييس اللغة ، ولسان العرب ، والقاموس المحيط ، ومحيط المحيط، وتاج العروس الخ. وكتب اللغة مثل المخصص، والرسائل اللغوية مثل كتب النبات والشجر والنخل والكرم الخ .

ففيما يرجع الى المعاجم والمؤلفات الخاصة مثل معجم الحيوان للمعلوف ، ومعجم الالفاظ الزراعية للشهابي ومجموعة المصطلحات العلمية والفنية لمجمع القاهرة الخ. كان عمله فيها عمل ترتيب ابجدي وجمع الالفاظ المختلفة للمصطلح العلمي الواحد اكانت تلك الالفاظ عربية ام اوروبية ، اذ من المعلوم ان العلماء

الاوروبيون آثروا ان يصوغوا المصطلحات العلمية للنبات والحيوان من اللغة اللاتينية لما راوا فى لغاتهم من اختلاف الالفاظ للشيء العلمي الواحد . فهذا حيوان او نبات له في نفس البلاد اسماء متعددة يرجع اختلافها الى اختلاف نواحي البلاد فى تسمية ذلك الحيوان او ذلك النبات . مثلا نقول نحن للطائر المعروف بالبازي صقر باز او شاه باز او لويحق بينما يسميه الفرنسيون اوتور كومان او اوتور دي بالومب اما علميا فاللفظ الدولي المضبوط الذي يستعمله كل عالم فى اي بلاد كان هو : آستور بالومباريوس . ونقول نحن : بربريس او بر باريس او انبر باريس او انبارة او زرشك او عود الريح ويقول الفرنسيون بير بيريس او ابين فينيت او فينوتيي ، اما اسم هذا النبات العلمي الذي يعرفه علماء العالم ويتباحثونه ويتكاتبون فى شأنه هو : بيربيريس فولكاريس .

والسبب الاخر الذي ادى بالعلماء الاوروبيين الى اختيار اللاتينية لتسميةهذه النباتات وهذه الحيوانات هو انهم اكتشفوا لكل نبات ولكل حيوان العشرات بل المئات والالاف من الانواع بحيث ان هذه الانواع منها الكبير المرئي ومنها الصغير الذي لم ينتبه اليه احد من قبل والمجهري الذي لم يره احد قبل اكتشافه بالمجهر . وعلى سبيل المثال كلنا نعرف شجرة الزيتون وكلما رأينا شجرة منه الا وقلنا هذه زيتونة دون ان نعبا الى انها ثلاثون نوعا ولكل اسم علمي خاص يميزه عن غيره ، وكلنا يعرف شجرة الكالبتوم ولكن ليس احد منا يظن انها مئة واربعون نوعا ؛ لكل واحد اسمه العلمي الخاص المتداول بين العلماء الذين يدرسونه من جميع نواحيه . وكلنا يعرف الفطر ذلك النبات الذي منه النافع ومنه السام ولكن انواعه مرئية ومجهرية تتعدى المئات والمئات، وكل واحد له اسمه العلمي المضبوط ، ومنها طبعا من ليس له اسم عامي ولو اوروبي من اللغات الراقية .

وهذه الاعتبارات هي التي ادت بالاوروبيين الى ان يختاروا اللغة اللاتينية لتكون خاصة لغة هذه العلوم لكونها وما زالت لغة مشتركة عندهم فى ثقافتهم وفى كنائسهم . ولم يثر هذا الاختيار اي نزاع بل النزاع كان يثور لو اختاروا لغة اوروبية معينة لان كل بلاد تدافع على لغتها وبالخصوص وصل النزاع اللغوي بين فرنسا وانكلترا ، وان كان نزاعا خفيا ، الى حد انهما تتزاحمان وتتنافسان فى توسيع نفوذ لغتهما ونشرها فى العالم بتخصيص اموال باهظة وتشجيع كل مبادرة فى هذا الميدان .

ومن جهة اخرى فان لغاتهم تكتب بالحرف اللاتيني مما وطد استعمال اللاتينية ودعم اثباتها كما ان اصوات اللاتينية لا تختلف بكثير عن اصوات لغاتهم من سواكن وصوتيات الشيء الذي يشكل صعوبات للامم غير الاوربية فاضطرت الى استعمال الحرف اللاتيني للمحافظة على الرسم والنطق الصحيحين لهذه الاسماء العلمية . ولو استعمل كل عالم منهم لغته الخاصة فى تعيين هذه الحيوانات والنباتات لحصلت بلبلة عظيمة ولما تقدم العلم تقدمه الملحوظ بين تلك الامم الاوروبية ولبقي كل علم محصورا فى حدود البلد الواحد لا يتعداها . ولا ننسى ان نذكر ان هذه العلوم كانت موضع التباسات واختلافات فى ايامها الاولى لان كل عالم كان يضع اسماء لاتينية من عنده كلما اكتشف نوعا جديدا من انواع النباتات او الحيوانات ، فحدث ان عالما آخر اكتشف نفس النوع وسماه باللاتينية من عنده باسم يخالف العالم الاول مما ادى الى عقد مؤتمرات دولية لتوحيد هذه المصطلحات وانشاء مؤسسات دولية للمحافظة على وحدة المصطلح العلمي .

وفيما يرجع الى غير هذه المعاجم الفنية الخاصة التي قد يكون استوفاها المؤلف ، هناك الفاظ وضعها من عنده امام مصطلحات علمية لاتينية يظهر انها كانت عديمة المقابل العربي فاشار الى هذه الالفاظ بعلامة صفر صغير بعدها دلالة على انها من وضعه وهي تنقسم الى دخيلة ومعربة ومشتقة ومنحوتة ونظيرة . واعني بالنظيرة اللفظة العربية التي لها نفس المعنى فى اللغتين العربية واللاتينية او الاوروبية . وهاكم امثلة من النوع الاول :

1» ابس «ك.س» وهو من الدخيل فى مقابل ips المصطلح العلمي وهو « جنس حشرات خاشبة من فصيلة الكراشيات ورتبة غمديات الاجنحة» ، وابس التنوب «ف.ضش» فى مقابل: ips des abiètrines والتنوب شجرة من فصيلة الصنوبريات وقبيلة التنوبية . فلم يترجم المؤلف « سيكسدانتاتوس» وهي اللفظة اللاتينية العلمية بل ترجم اللفظة العامية الفرنسية وهي « ابيتيني » الاتية من اللاتينية : « آبيس » بمعنى صنوبر . « وسيكسد انتاتوس» مركبة من « سيكس » بمعنى ستة «ودانتاتوس» بمعنى ذي اسنان اي حشرة ذات ست اسنان . وكلمة التنوب نظيرة اللفظة الفرنسية .

2» بلنون ض.س.ض» وهو من المعرب على

وزن فعلول في مقابل balaninus اللاتينية الاتية من اليونانية : « بالانوس » بمعنى بلوط . وهو «جنس خنافس صغيرة القد من فصيلة السوسيات » . وسميت بذلك لسببين اولهما لانها تعيش غالبا في اشجار البلوط وثانيهما لان جسدها في شكل ثمرة البلوط .

3» بياءة «ك.» وهو من المشتق ، في مقابل mesologie اللفظ العلمي المركب المنحوت من لفظتين يونانيتين وهي « ميسوس » بمعنى: المتوسط و « لوغوس » بمعنى : لغة . اي علم التفاعل بين الوسطين او البيئتين الطبيعية والذات البشرية او الحيوانية او النباتية . فوضع المؤلف بياءة على وزن فعالة الذي اصبح يستعمل في مقابل المصطلحات العلمية المختومة بالكاسعتين اليونانيتين «لوجي» و « غرافي » «1» . ومن الملاحظ ان الامير مصطفى الشهابي كان وضع لها لفظة بيئيات .

4» مشقاسي «ض.س» وهو من المنحوت ، في مقابل commensurable اللفظ الفرنسي المركب من اللاتينية الفصيحة او العالية « كوم » بمعنى : مع ، ومن اللاتينية العامية او السفلى « مانسورا» ومعناها : قياس ، ومن الكاسعة : « آبل » التي اصلها : ايبليس اللاتيني والذي يدل على الصفة اذا التحق بالاسم . واللفظة العربية التي وضعها المؤلف ركبها بالنحت من كلمتي « مشترك » و « قياس » فاصبحت : «مشقاسي» اي الشيء المشترك القياس وهذا المعنى نظير المعنى الفرنسي تماما .

والامثلة كثيرة في منهج المؤلف هذا منها الموفق تمام التوفيق ومنها المحتمل ومنها الجائز وهو مشكور على اجتهاده في وضع المصطلحات العربية المقابلة للمصطلحات الاوروبية بهذه الطرق العربية المطابقة لفقه اللغة العربي .

هذا من جهة . ومن جهة اخرى وهي مصادرة العربية من معاجم وكتب اللغة ، فانني اراه تناول هذه المؤلفات والقلم في يده وصار يطالع مطالعة المهندس المتقن للغة « ويرشم » كما تقول بالمغرب اي يضع علامة على كل لفظة رآها تنتمي الى فنه وقد تصلح لمقابلة لفظة اوروبية او علمية اكانت مشتقة من اللاتينية ام من اليونانية ، وذلك ، من شتى نواحي منهج الوضع في فقه اللغة . واليكم بعض الامثلة :

5» معاص «ف» في مقابل اللفظة الفرنسية milieu بمعنى وسط . ويقول المؤلف « هو البيئة ، اطلبها » وفي البيئة يقول « هو الوسط الذي تعيش فيه المادة » . ولفظة معاص وضعها بالاشتقاق على وزن مفعل من العيص : « منبت خيار الشجر ، والعيص : الشجر الكثير الملتف ، والعيص : الاصل ، يقال : فلان من عيص بني هاشم : اي من اصلهم ، وفي المثل : « عيصك منك وان كان اشبا » اي اصلك منك وان كان ذا شوك ، والمعيص : المنبت » « عن المعجم الوسيط »

فنحن امام كلمتين عربيتين للفظة فرنسية واحدة تستعمل في جميع الميادين بنفس المدلول وهو الوسط والبيئة .

6» مئدل ومصرب « ك.س.» في مقابل اللفظة acidimètre بمعنى : آلة قياس الحموضة . ويقول المؤلف « مقياس الحموضة ، يستعمل لمعرفة مقدار ما في بعض السوائل كالخمر والحليب وما اشبه من حوامض » فوضع مئدلا ومصربا على وزن مفعل ، صيغة الالة ؛ الاول من الادل «ك.س» اللبن الخاثر المتلبد الشديد الحموضة ، والثاني من الصرب « ف.ف » وهو اللبن الحامض . وجاء في سائر الكتب الاخرى مقياس الحموضة ، ووضع لها مجمع اللغة بالقاهرة لفظة محمض « ك.س » .

7» علسط «ف.س.ف» في مقابل altimètre بمعنى آلة قياس العلو وهي مركبة من «آلتي» = علو، ومتر . ويقول المؤلف « جهاز يعين رهاء الموقع بالنسبة الى سطح البحر اي ارتفاع المكان عن مرمى مياه البحر » . ولفظة « علسط » الموضوعة منحوتة من العلو والسطح «2» ، وليس لها علاقة بمادة علسط الاخرى التي بمعنى « كلام غير ذي نظام » « انظر لسان العرب » . فلم ينهج المؤلف هنا منهجه في acidimètre ليضع لها ، على وزن مفعل لفظة معلاء ، اضف الى ذلك ان كلمة «رهاء» «ض» التي اوردها في تعريف العلسط وضعها من قبل في نظير altitude المنحدرة من اللاتينية altitudo بمعنى العلو ، او الارتفاع والتي تفيد دائما معنى الارتفاع بالنسبة الى سطح البحر فكان يقول : مرهاء على وزن مفعال . ولفظة رهاء بهذا المعنى اخذها من مادة رها يرهو رهوا « سكن ، وعيش راه : خصيب ساكن رافه » .. وكل

1» انظر بالخصوص معجم المرجع لعبد الله العلايلي

2» لم يشر المؤلف الى اصول الكلمات المنحوتة وهذا عيب كبير .

ساكن لا يتحرك راه ورهو .. ورهي البحر سكن ، وفي التنزيل العزيز : واترك البحر رهوا .. والرهو والرهوة : المكان المرتفع والمنخفض ايضا يجتمع فيه الماء وهو من الاضداد ، وعن ابن سيدة : الرهوة الارتفاع والانحدار ضد » « عن اللسان باختصار » وبقطع النظر عن المعاني الاخرى التي تفيدها كلمة الرهو والتي ليس لها علاقة بمدلول السكون والارتفاع يظهر ان المؤلف زاوج في ذهنه بين سكون البحر والارتفاع بالنسبة الى سطح البحر الساكن فراى المادة صالحة للانطباق على اللفظ الاوروبي .

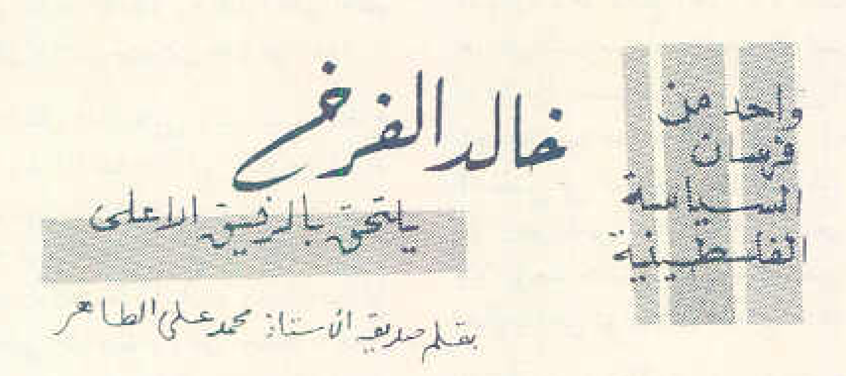
8» بربخ «ف.س.ف» في مقابل aquedue بمعنى قناة لسوق الماء ذلك على وجه الارض ام تحت سطحها . واللفظة ماخوذة من اللاتينية «آكواي دوكتوس» حرفيا : سائق الماء . والبربخ الموضوعة هنا عرفها المؤلف بانها «قناة لجر المياه عبر الوادي ترتكز على قناطر من حجر او اقواس من باطون « البيطون الفرنسية » تمكنها من احتمال ثقل الماء وضغطه » . وتحديدها في الفرنسية لا يقتصر على سوق الماء على وجه الارض بل ويكون ذلك حتى سطحها . اما البربخ في اللغة فهو « منفذ الماء ومجراه والبربخ : البالوعة من الخزف وغيره «ج» برابخ « عربيتها الاردبة «ك.س.ف.قش.» » « المعجم الوسيط » . اما الاردب فجاءت عنده بمعنى «القناة التي تجري « كذا » فيها الماء على وجه الارض .»

9» تنوخ « ض . ض » في مقابل ecologie التي بمعنى : دراسة علاقات الانواع الحيوانية والنباتية بالوسط او البيئة التي تعيش فيها . واللفظة العلمية منحوتة من اليونانية «وايكوس» بيت و«لوغوس» : لغة : علم . والتنوخ في اللغة هو الاقامة « بالمكان » والثبات على الشيء . وجاء في مقابلها عند الامير مصطفى الشهابي : « علم البيئة او البيئات » في معجمه للمصطلحات الزراعية .

10» نتالة «ف.» ونتل «ف.ف» في مقابل: Apogamie المركبة من اليونانية من « ابو » التي تفيد المنع و « غاموس » : زواج . والتي معناها: الظاهرة التي تجعل بعض النباتات تتولد بعد فقدانها خاصيتها الشرقية ــ بالتبرعم او تبقى على حالها دون انتاج . فوضع لها المؤلف لفظتين مشتقتين من مادة واحدة وهي نتل ومعناها في اللغة التقدم والتهيؤ في القدوم ، والاستعداد ، والجذب الى قدام ، والنتالة : البيضة . والنتل «ف.س.و.ف.» بيض النعام يدفن في المفازة بالماء ، وتناتل النبت : التف وصار بعضه اطول من بعض « اللسان » واظن ان هنا كذلك تزاوج في فكر الواضع معاني التقدم والبيض والنبات فادى به الى وضع تلك اللفظة . مع انه من الملاحظ ان مجمع اللغة العربية بالقاهرة كان قد وضع لنفس المصطلح العلمي لفظة : « لامشيجي » ، من لا المانعة النافية والمشيج كل لونين اختلطا ، وقيل هو ما اختلط من حمرة وبياض ، وقيل : هو كل شيئين مختلطين .. ومشجت بينهما مشجا : خلطت ، والشيء مشيج. وعن ابن سيده : المشيج : اختلاط ماء الرجل والمراة.. قال والصحيح ان يقال: المشيج: ماء الرجل يختلط بماء المراة ، وفي التنزيل العزيز : انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه .. وفي حديث علي رضي الله عنه : ومحط « ف.ف.ف.» الامشاج من مسارب الاصلاب ، يريد المني الذي يتولد منه الجنين «اللسان» . وعند الشهابي : فقد الالقاح وفقد

وهذه الالفاظ كلها كما يظهر ذلك جليا وضع اغلبها بالتوسيع والتشبيه والمداناة علاوة عن الاشتقاق والتعريب والنحت وغير ذلك من ضروب الوسائل المعهودة في نمو اللغات وانمائها . الا ان لي ملاحظات اخرى في مفردات هذه الموسوعة وهي ان المؤلف اصدر الى حد الان جزاين من موسوعته يحتويان على المواد من العربية الى الاعجمية اي اللاتينية والفرنسية بالخصوص باضافة الانكليزية في غالب المواد والالمانية والايطالية في الكثير منها . وسيصدر عن قريب الجزء الثالث وهو كما اعلن عن ذلك يحتوي على معجم الالفاظ الاعجمية ولاشك ان الالفاظ ستكون متبوعة بارقام تدل على الصفحات في الجزاين الاولين حيث المواد العربية وسنرى اذ ذاك كثرة وافرة من المقابلات العربية للفظ الاعجمي الواحد مما يسمح لي ان اتابع مقالي هذا ان شاء الله بطرق موضوع النظام والمنهج اللذين نقصانا في تطوير لغتنا منذ اوائل النهضة الحديثة كما اشرت الى ذلك في اول هذا الكلام . واختتم بالاشارة الى ان هذه الموسوعة مرتبة الفاظها لا حسب الترتيب الالفبائي العربي بل حسب الترتيب الالفبائي الاوروبي اي باعتبار نظام تتابع الحروف الهجائيةلاباعتبار جذور المواد والاشتقاق ، كما راينا ذلك في « المرجع » وهو المعجم الثوري الذي وضعه العلامة عبد الله العلايلي والذي سنتناول الكلام عنه عندما يتم ان شاء الله اذ لم يظهر منه الا المجلد الاول الذي ينتهي بمادة « جحدل » ، والذي تجلت فيه مع ذلك الفائدة العظمى التي كانت تعوزنا في ميدان التعريب .

الرباط : احمد الاخضر



لنت القبه « بخالد الاسد » وهو يصر على انه ليس اكثر من « خالد الفرخ » فكنت اقول له : لولا انك تخدع الاعداء بلقبك المتواضع، لارغمتك على اخذ حكم قضائي بتصحيح اسمك ، ليكون « خالد الاسد» فيطابق الاسم المسمى !

لقد استشهد هذا المجاهد اخيرا بعد ان واكب الجهاد الفلسطيني نحو ثلث قرن بلا انقطاع ، موغلا في تيه من المتاعب ومماحلة المتعصرين ليس له نهاية ولا حدود .. ولا سيما منذ اصبح من ركائز الهيئة العربية الفلسطينية العليا بعد نكبة فلسطين

ولولا ان الموت قد باغته في احدى ساعات الصباح من 30 نيسان (ابريل) 1966 في مدينة بيروت ، واختطفه من فوق السرج ووضع حدا لحياته الغالية ، لما خطر ببال هذا الفارس ان يترجل .. برغم كل ما لقي في هجرته وتشريده من خصاصة بعد غنى ، ومن تعذيب في السجون .. ذلك ان جهاد فلسطين الذي ابتدأ قبل نحو خمسين عاما لا يمكن ان ينتهي عند غياب احد المجاهدين، او استشهاده في المعركة ، لان جهاد فلسطين لا ينتهي الا يوم اجلاء الاعداء من عقر الدار وساحات الديار ..

والحاج خالد برغم ذلك رجل لطيف الذات ، هادئ الطبع ، صغير الجسم والحجم ، مثقف العقل واللسان ، واسع الصدر والافق ، خفيف الخطوة ، متصل السعي ، دؤوب على العمل ، لا يكل ولا يمل ولا يتافف من شيء ، ثم اني اضيف الى ذلك شيئا كريما هو ان الحاج خالد كان من اصبر الناس على تحمل اثقال الناس .. ، محيط بالقضايا العامة على اختلاف مواطنها وصورها واشكالها ، بل هو قاموس حي متحرك لرجالاتنا في جميع انحاء العالم العربي .. وان خطر لك ان تضيف اليهم معظم رجالات الاسلام في العصر الحاضر ، فلن تكون قد ابتعدت عن الحق والصواب .

* * *

والحاج خالد فوق ذلك رجل المعي بعيد عن الادعاء ، وسريع الفهم ايضا ، حتى ان الزعيم الايراني الكبير السيد ضياء الدين الطباطبائي الرئيس القديم السابق لوزراء ايران الذي حضر المؤتمر الاسلامي العام الكبير بالقدس سنة 1931 وبقي بفلسطين اعواما طويلة على راس المكتب الدائم للمؤتمر بالقدس ، طلب من سماحة الحاج امين الحسيني رئيس المؤتمر ان يخصص له الشاب خالد الفرخ بالذات ليساعده بعد ان خبره ـ قائلا للحاج امين وهو يصفه (ان خالد الفرخ انسان فذ دقيق الملاحظة ، سريع البت في الامور ، ومن الذين ان قلت لهم الف باء .. قال لك فورا تاء ثاء حتى بدون ان يحوجك الى سرد كل ما في ذهنك وخاطرك ، او يستوضح منك ما تريد ..) .

كان الحاج خالد الفرخ المجاهد في شبابه صحفيا من طراز رفيع مناضل مكافح يهمه تصيد الحجج في جداله للاعداء ، وليس من الراكضين وراء الاعلانات التي تدر على الجريدة ينابيع المال .. كما انه كان واسع الاطلاع بعيد النظر ، وحسبك ان تعرف عنه انه كان قبل ثلث قرن مديرا ورئيسا لتحرير جريدة « اللواء » بالقدس التي كانت يومية وفي 8 صفحات كبيرة ، لسانا رسميا للحزب العربي الذي كان ينطق بلسان الحركة

الوطنية ضد الاستعمار البريطاني ، ويجادل اعوانه الذين ابتلينا بهم وهم منا مع الاسف ، وكانوا على امتهم اشد من شواظ الانكليز واكثر منهم في عداوتها لددا ..

والخلاصة ان البطل الفلسطيني السياسي الحاج خالد لم يبرح مكانه منذ ثلاثة وثلاثين عاما من اعوام الجهاد والنضال والجدل مع الاستعمار ، فلم يكف عن العمل سواء باشتراكه في المعارك السياسية الفلسطينية ، او بتسليح المجاهدين بالحديد والنار ، وقضاء حوائج اصحاب الحاجات ، حتى كل متنه ، وحل جسمه ، بدون ان يشكو التعب لاحد ، او يرضى بالخروج من الساحة ، الا بان يفترسه الموت الذي لا يخلف الميعاد !

لم يبق بلد عربي بدون ان يطرق الفقيد دياره من اجل فلسطين ومجاهديها ، ولا يوجد في دنيا الاسلام قطر ولا مصر ، الا اجتازه هذا المجاهد المتواضع الذي نجح في جميع المهام الوطنية التي ندبته امته لها ..

اما سر نجاحه فهو في حبه للصمت في اثناء تأديته مهماته ، والتستر فيها ، والبعد عن اماكن الضجة والاعلان عن النفس ، حتى لا يصدر عنه ولو بدون ارادته ما يدل على انه يمن على امته باعلاء كلمتها ..

* * *

وفي صباح السبت 30 نيسان (ابريل) 1966 تخطفه الموت بغتة في بيروت وانزله عن السرج مكرها ، ثم اخذه الى المقر الاخير غير متمهل وما غابت الشمس الا بعد ان غيبه المصير المحتوم في الثرى ، حيث شيع في موكب هادىء متواضع ، كان الدنيا تستجيب له لاول مرة ، وهي التي لا تستجيب لاحد ، الا اذا كانت الاماني المتمناة معكوسة الرجاء ..

وكان الحاج امين الحسيني زعيم فلسطين يتقدم الجنازة وهو دامع العين ، وكانت العشرات من فلولنا هم كل المشيعين المجزوين ، وليس المئات ولا الالوف ـ فكانوا يحيطون بزعيم فلسطين الصابر الحاج امين ، لتعزيته بصديقه المجاهد الصابر ايضا ، الذي لم يبق فلسطيني في المهاجر كلها،واماكن تشريد امتنا الشهيدة، الا وهو مدين للحاج خالد بمسعى فيه الخير للناس .
ولا يوجد حاكم من حكام عصرنا ، ولا في دوائر حكومتنا من لم يستقبل الحاج خالد في سبيل قضاء حوائج المنكوبين ، والاصغاء الى لباقته في كيفية عرضها على المراجع الرسمية ـ وغير الرسمية ، وهو توفيق له من اللـــــه

ذلك لان الحاج خالد في تبتله لخدمة امته ، فوق غربته وتشرده الطويل الامد في ديار العروبة كلها ، من فلسطين الى لبنان ، ومن مصر الى العراق ، ومن الحجاز الى السودان ، قد تمكن بهذه المثابة من خدمة وطنه ومواطنيه حتى النفس الاخير اجل الخدمات ، فلو قضى الحاج خالد نحبه في وطنه وكان حرا مستقلا ، لمشت يافا مدينة باسرها في موكب وداعه الحزين .

* * *

ان مدينة يافا التي انجبت قبل ستين عاما الوجيه المثقف السيد خالد الفرخ احد ابناء الاسر الكريمة فيها ، ليحق لها ولبقايا السيوف من اهلها ، ان يسكبوا الدمع السخين على نابغتهم ، كما يحق للمشردين من اهل فلسطين ان يعتزوا به ، ويترحموا عليه ، وان يتقدموا الجميع في تقبل التعزية على فقده ، والبكاء عليه ، مع صديقه القديم ، ومواطنه المحزون .

بيروت : محمد علي الطاهر

خدعة الاستعمار الاوربي في احصاءاته لسكان مستعمراته وممتلكاته ومحمياته

للأستاذ عبد القادر القادري

اطلعت في مجلة دعوة الحق في العدد الخامس من سنتها التاسعة الصادر في مارس 1966 على احصاءات لسكان المغرب العربي موسومة « بدراسة ديمغرافية » للاستاذ المهدي المنبهي ، فقرات في طليعتها ما نصه : يظهر من خلال اهم المعطيات الديمغرافية لبلاد المغرب العربي ان عدد السكان في تزايد مستمر منذ عدة سنوات وهذه الثروة البشرية يجب ان نقدرها اليوم ونبحث عن اسرارها حتى نعرف كيف نسخرها للنمو الاقتصادي لهذه البلدان او حتى لا تكون عائقا من عوائق نموها وازدهارها فنبحث عن التوازن بين المعطيات والحاجيات ، فاذا القينا نظرة على جدول تطور عدد السكان في بلاد المغرب العربي فيما بين سنوات 1936 الى 1956 .. فاننا نلاحظ ان عدد هؤلاء السكان كان يبلغ سنة 1956 000 970 23 بينما صار يناهز سنة 1960 — 1961 اي بعد خمس سنوات : 000 870 27. اه

ويظهر ان الكاتب المفضال لم يتفطن الى ان هذه الزيادة قد وقعت في عهد الاستقلال أي من سنة 1956 الى سنة 1961ولم يقع مثلها وفى نفس مدتها في عهد الاستعمار الاروبي .

فكيف يعقل ان يبلغ تعداد سكان المملكة المغربية عام 1952 : 000 440 7 ويبلغ عام 1956 000 310 9 وهو تاريخ انتهاء الحماية الفرنسية بالمغرب ويبلغ عام 1960 — 000 625 11 نسمة ، ويبلغ عام 1965 : 000 950 12 نسمة وهي سنوات الاستقلال فكيف اذن يمكننا ان نفسر هذا الانفجار السكاني في المغرب ، لاشك انه نتيجة لقيام الدولة المغربية باحصائها سكانها بنفسها وهي تتمتع باستقلالها الاكمل ولانكشاف حيل الاستعمار لنا في احصائياته لمستعمراته وممتلكاته ومحمياته .

فعندما وطئت قدما الرجل الابيض الاروبي اقطار افريقيا واسيا واحتلها بخيله ورجله عمد الى التقليل من تعداد سكانها لاسباب ثلاثة هي في نظري :

اولا — امكان الزيادة في تعداد سكان مستعمراته كل عشر سنوات قصد الادعاء ان تزايد السكان يقع بفضل استتباب الامن في المستعمرات وايجاده وسائل العيش « للاهالي » ونشره الوسائل الصحية بين السكان .

ثانيا — التقليل من عدد السكان في ممتلكاته لئلا يلفت اليها الانظار وللحط من شانها في اعين الدول الحديثة عهد بالاستقلال .

ثالثا — العمل على ترجيح طائفة مسيحية على طائفة اسلامية في انتخاب رئيس جمهورية .

ففي الحالة الاولى — نرى ان الهولانديين عندما بسطوا سلطانهم في اوائل القرن السابع عشر على اندونيسيا بعد ان استقلت هولاندا عن اسبانيا كان عدد سكان اندونيسيا يبلغ انذاك عشرة ملايين بينما بلغ عددهم اليوم مائة مليون نسمة وكان يبلغ عدد سكان هولاندة وقت احتلالها لاندونيسيا مليونين ونصف ويبلغ عددهم اليوم ثمانية ملايين . فهل يعقل ان يرتفع سكان هولاندة من مليونين ونصف نسمة عام 1620 الى ثمانية ملايين نسمة في يومنا هذا بينما تضاعف سكان اندونيسيا عشر مرات من عام 1620 الى عام 1966 ، اي بزيادة تسعين مليون نسمة في ظرف ثلاثة قرون ونصف .

وهل يمكن ان يقال ان للاستعمار الهولاندي فضلا فى هذا الانفجار السكاني باندونيسيا .

ومثل هذا وقع فى الجزائر حيث كان عدد سكانها يبلغ عام 1850 000 328 2 وصار عام 1956 يبلغ 000 707 9 نسمة وهي عهد الاستعمار الفرنسي وفى عام 1961 صار عدد سكان الجزائر يبلغ : 000 950 10 نسمة .

ومثل هذا الاحصاء الاستعماري وقع فى الهند حيث كان يبلغ عدد سكانها عام 1810 مائة مليون نسمة ويبلغ عددهم اليوم اربعمائة مليون نسمة باستثناء الباكستان التي انفصلت عن الهند .

وقس على ذلك احصائيات الاستعمار الاسباني والبرتغالي والايطالي والبلجيكي لسكان مستعمراته .

وفى الحالة الثانية : نلاحظ ان الروس يعمدون الى التقليل من تعداد سكان بلدان آسيا الوسطى وما وراء القوقاز وجزيرة القريم وسيبيريا الاسلامية لئلا يلفتون اليها انظار مسلمي الشرق الاوسط والشرق الادنى والشرق الاقصى والقارة الافريقية حيث زعم الاستاذ سعيد كامليف من خريجي معهد الدراسات الشرقية بموسكو فى المحاضرة التي القاها فى ابريل 1964 بقاعة المحاضرات بالشبيبة والرياضة بالرباط بعنوان : « المناطق الاسلامية بالاتحاد السوفياتي » بان عدد سكان المسلمين بالاتحاد السوفياتي يبلغ خمسة عشر مليونا ، والحال ان المؤرخ التركستاني الاستاذ حسن بصري جنتاي رئيس جمعية الاتراك المهاجرين من التركستان ومحرر مجلة « طريق الدين » ومجلة « الاسلام » ومجلة « نور الاسلام » التي تصدر فى تركيا باللغة التركية يقدر عددهم بخمسين مليون مسلم فى كتاب « الاسلام الصراط المستقيم » ويقدر عددهم كذلك السيد « اسماعيل مخدوم فنكاني » نائب رئيس المركز الاسلامي باسيا الوسطى وقازخستان بخمسين مليون مسلم اي ان ربع سكان الاتحاد السوفياتي من المسلمين .

وفى الحالة الثالثة : نجد انه لم يشرع فى احصاء سكان لبنان منذ عام 1927 لئلا ترجح كفة طائفة المسلمين على طائفة النصارى فيصبح رئيس الجمهورية من المسلمين لان العرف الجاري به العمل فى لبنان يقضي بان يكون رئيس الجمهورية من الاغلبية ورئيس الوزراء من الاقلية ولهذا احجم الاستعمار الاروبي منذ عام 1927 للقيام باحصاء سكان لبنان .

مما سبق يبين لنا ان خدعة الاحصاء الاستعماري التي خدع بها الاستعمار الاروبي طيلة اعوام سكان مستعمراته ومحمياته وجمعية الامم السابقة وهيأة الامم المتحدة لتبرير حكمه شعوب اسيا وافريقيا قد انكشف عندما قامت الدول الحديثة العهد بالاستقلال باحصائها سكانها بنفسها فوجدت ان لا دخل للاستعمار الاروبي فى تزايد سكانها .

وان ادعاء هذا الاستعمار ان له الفضل فى تزايد سكان مستعمراته انما هو محض **كذب وبهتان** .

الرباط ـ عبد القادر القادري

ديوان المجلة



للشاعر المدني الحمراوي

هب من نومه مع الفجر يسعى ... نحو حقل حباه حبا وعطفا
سائقا ثوره الهزيل فلما ... هم بالحرث سيم قهرا وخسفا
فانبرى يرتمي الى الحقل لكن ... وجد الجند و « المعمر » صفا
ومشى نحوه « المعمر » فظا ... يتلظى ويقذف الحقد قذفا :
ما الذي تبتغي بحرثك حقلا ... بعته بالالوف مني صيفا ؟
هو ذا الصك ليس فيه خفاء ... سجلته القضاة حرفا فحرفا
فانطلق واحذر الخلاف والا ... فستلقى بالسجن دهرا وتنفى
بيدي سلطة « المراقب » ان شئـ ... ـت حياتي بما اريد واوفى
واذا شئت ان تكون اجيرا ... في حقولي قبلت فضلا وعرفا

* * *

قال ادريس ـ بعد ما جن وقتا ـ ... اي هول يهدني اليوم قصفا ؟
ما ارى ؟ هل جننت ؟ ام هو حلم ؟ ... ام اراني لقيت زورا وحيفا ؟
هذه الارض من جدودي تراث ... ولها كنت طول عمري الفا
انا منها ، وهبتها كل جهدي ... فحبتني ودرت الخير ضعفا
لم ابعها ، ولن ابيع تراثي ... هي امي ، وهل تعق وتجفى ؟
هي ملكي ، وفيها انشد قبري ... وعليها حنو قلبي رفا
فسال الناس يشهدوا انها ملـ ... ـك يدي ، لا يمالؤونك خوفا
هذه ارضنا ، وانت دخيل ... بيننا تغصب المزارع عنفا
انت زورت ما تشاء من الافـ ... ـك ، وقبلي افقرت حولي الفا
ليتكم تقتلون كل سليب ... قبل ان تهلكوه جوعا وضعفا
ما اتيتم لغير محق وفتك ... وخراب يبث رعبا وعنفا
فدع الحقل انني لا اخلي ... عنه حتى يضمني القبر ظرفا

* * *

فاستشاط « المعمر » الفظ حتى ... قال للجند : اوثقوا الوغد كتفا

سوف يرمى بقعر سجن ويكوى   بعذاب حتى يتوب ويشفى

* * *

ومضى الجند بالاسير فجاءت   زوجه تستغيث : رفقا وعطفا

من لصبيانه الصغار اذا ما   حل بالسجن او تكبد مرفا

ويحكم قد غصبتمو الارض منا   فسفتم حياتنا اليوم نسفا

هل جننتم بحب محق وقتل   واستطبتم من سفكة الدم رشفا ؟

قد سدلتم على البلاد ستارا   اضمر الفتك من ورائه كفا

* * *

فتصدى لها الجنود بضرب   ونكال يؤلم القلب وصفا

فارتمت بالتراب والدم يجري   ودموع الاسى تصب وكفا

* * *

قال ادريس ـ وهو بالسجن يلقى   كل هول بقعره ليس يخفى ـ :

اي ذنب جنيت ؟ ما بال ارضي   غصبت ؟ هل اطيق للحق كشفا ؟

ها انا في الظلام اذبل جوعا   ومن البرد يرعد الجسم رجفا

فحوني بكل شغل اليم   فكأني جنيت ما ليس يعفى

ما مصيري ؟ وهل اكون اجيرا ؟   لست ارضى ، وكيف اخدم جلفا ؟

سوف امضي الى « الرباط » فاشكو   ما الاقي ، ولا اجنب حرفا

واذا ما لقيت نكرا فاني   سوف اجني على « المعمر » حتفا

غير اني اذا قتلته ضاعت   صبيتي واجتاحهم البؤس قطفا

يا الهي ! اليك اشكو مصابا   وخرابا يهد ارضا وسقفا

خذ بحقي فان حولي ضعيف   وظلومي امسى يشمخ انفا

وقضى السجن ثم راح بعيدا   بعد ما شارف الهلاك واشفى

ضاربا في مدائن القطر حتى   قر في معمل به الشغل الفى

سكن الكوخ مثل من سبقوه   من رجال تجرعوا الظلم صرفا

الرباط ـ المدني الحمراوي





شفشاون الخضراء . ارض العطر والانغام . قيثار السواقي والحمام
عش البلابل . معبد الشعراء ، موجات الظلال الخضر فى صيف السآم
اسطورة الالوان ، معجزة الرؤى والفن ، فجر فى متاهات الظلام
نجواي انت فاينما وليت وجهي لا ارى الاك فى زاهي القوام
يا ضفة الاطياف . يا عري الجمال ، ويا تسابيح الذي عاف الكلام
ليلاي انت وان رحلت الى بعيد فى سماوات عجيبات الغمام
لا البعد ينسيني ولا الاوهام تغريني ولا الدرب القريب ولا المقام
فانا عشقتك منذ عرس الزهرة الحمراء بالعطر السماوي الفرام
فانا هويتك منذ ميلاد الجمال وحق كل السر فى كأس المدام

شفشاون : عبد الكريم الطبال

يا لسان الحق الفصيح

للشاعر :

محمد احمد حيدر

ما تعمدت هاجرا « دعوة الحـ ـق » وحسبي اني غدوت صديقا
« دعوة الحق » فيك شاهدت للجـ ـنة للمغرب الحبيب طريقا
من رفيق البيان ، من نفحات الشـ ـعر ، من جوك ، اتخذت صديقا
يا لسان الحق الفصيح وغير الحق لم تتخذ خدينا صديقا
حلقت فى سمائنا وشربنا من ينابيعها العذاب الرحيقا

دراسات مغربية :

جولة في المخطوطات العربية باسبانيا

للأستاذ : محمد ابراهيم الكتاني

في اسبانيا مخطوطات عربية كثيرة في عدة مكتبات تبلغ فيما يظن حوالي ثلاثة آلاف مخطوط ، حوالي الفين منها في الاسكوريال والباقي في مكتبات اخرى بمدريد وقرطبة وغرناطة وغيرها .

ولم يتيسر لي ـ لحد الان ـ الوقوف على ما يوجد من المخطوطات العربية خارج مدريد والاسكوريال ولكني قضيت في مدريد ما يقرب من شهر ، زرت خلاله : المكتبة الوطنية ـ ومكتبة الاكاديمية التاريخية الملكية ـ ومكتبة المدرسة العربية الاسبانية ـ ومكتبة متحف بلنسية دودن خوان .

كما قضيت شهرا كاملا في الاسكوريال ، واطلعت خلال هذه المدة ـ في كل من مدريد والاسكوريال ـ على حوالي خمسين ومائتي مخطوط ، ووصفتها في دفاتري ولخصت منها كثيرا من المعلومات المفيدة ، وصورت بعضا منها .

والمخطوطات في هذه المكتبات على العموم في حالة جيدة ، الا انه لا يوجد من بين المكلفين بها من يعرف شيئا عن اللغة العربية على خلاف ما كان عليه الحال باسبانيا قديما باستثناء المدرسة العربية الاسبانية بمدريد التي يعتبر مديرها من المستعربين وان كان لا يتحدث بالعربية ولا يفهمها اذا سمعها .

واذا كان الاطلاع على مخطوطات المكتبة الوطنية بمدريد والاسكوريال وتصوير ما يريد المرء تصويره منها امرا ميسورا في الجملة ، في نطاق التقنينات الادارية الخاصة ، فان الامر يختلف عن ذلك كثيرا بالنسبة للاكاديمية التاريخية الملكية التي لا يكاد يتيسر الدخول لها الا بصعوبة ، ثم اذا نجح الزائر في الدخول لها لم يتمكن من معرفة جميع ما بها من مخطوطات ، نظرا لعدم وجود فهرس مطبوع لهذه المخطوطات وانما توجد لها جذاذات لا يمكنه المكلفون بالمكتبة من الاطلاع عليها كلها ، مدعين ان ما مكنوه من الاطلاع عليه هو كل ما عندهم ، مع انه يعرف وجود مخطوطات معينة في الاكاديمية لا يجد لها ذكرا فيما بين يديه من جذاذات . وما يطلع عليه من الاوراق لا يتمكن من الوقوف على جميع ما تتضمنه من مخطوطات

فمن بين 27 مخطوطا طلبت الاطلاع عليها اثناء مقامي بمدريد لم اتمكن من الوقوف الا على اثنين وعشرين ، اما الخمسة الاخرى فقد قيل لي عن بعضها انه مفقود ، وربما احضر لي المكلف كتابا يحمل نفس الرقم الروماني المسجل في الجذاذة ولكني اجده غير الكتاب المطلوب ، وربما كان كتابا مطبوعا في حين ان المكلف لا يعرف عربية ولا فرنسية .

اما محاولة تصوير شيء مما يوجد في الاكاديمية التاريخية الملكية فهو امر من الصعوبة بمكان ، ويقال انه يتوقف على قرار من لجنة خاصة .

1 ـ فهرسة ابن القاضي :

واغرب ما وقفت عليه في مكتبة الاكاديمية التاريخية الملكية بمدريد هو : فهرسة المؤرخ المغربي احمد بن محمد بن ابي العافية الشهير بابن القاضي المسماة « رائد الفلاح ، بعوالي الاسانيد الصحاح » التي طالما بحث عنها المهتمون ، وكادوا ييأسون من العثور عليها فاذا بها في هذه المكتبة ـ بخط يد ابن القاضي ، في 156 ورقة ، وفيها شطب والحاق ، كتبها عام عشرة والف للسلطان زيدان بن احمد

المنصور، اجازه فيها بمروياته المختلفة ذاكرا اسانيده فيهـا .

ومما تجدر الاشارة اليه هنا ان زيدان لم يبايع بالخلافة الا بعد موت ابيه – سنة 1012 – بينما نجد ابن القاضي يحليه بالسلطان سنة عشرة، مما يدل على ان كلمة سلطان لم تكن اذ ذاك في الاستعمال المغربي مرادفة لكلمة خليفة او ملك، بل ان زيدان اذ ذاك لم يكن حتى وليا للعهد – كما هو معلوم – وانما كان خليفة لابيه على تادلة .

وقد كتب ابن القاضي بخط يده على اول صفحة من الفهرسة :

هذا كتابي « رائد للفلاح »
بشر بالملك المتين المتاح

كما لكم روى حديث علا
فقد روى عنكم حديث السماح

وما روى من سحركم ختمه
ما يعجز الضليل يوم الكفاح

لا زلت في عز وفي رفعة
ما قد روى عنكم عطا عن رباح

وهو يذكر اسانيده في 314 كتاب باسمائها، وفي عموم مؤلفات 243 مؤلف آخر .

ويبدأ بكتب القراءات والتجويد، ثم التفسير ثم الحديث وشروحه، والسيرة النبوية، والاجزاء والمسلسلات، وعلوم الحديث، ثم كتب العقائد، واصول الفقه، والتصوف، والاذكار، والمواعظ، والمناقب، والرحلات، والفهارس والمشيخات والمعاجم، ثم الفقه، ثم النحو، والبلاغة، واللغة، والتراجم ويؤخر كتب الادب والشعر الى الخاتمة، فاصلا بينهما بذكر اسانيده في تآليف المؤلفين .

ذاكرا بين الحين والحين عدد مؤلفات المؤلف :
فتآليف ابن ابي الدنيا الف تاليف .

ولابي عبيد القاسم بن سلام بضعة وعشرون .

ولعبد المنعم بن غلبون اربعة عشر .

ولابن الاعرابي اربعون .

ولابن الحسن القابسي خمسة عشر .

ولابن ابي زمنين اربعة عشر .

ويقال ان عبد الله بن حارث الختعمي الف للحكم المستنصر مائة تاليف .

ولعلي بن ابي طالب القيرواني نحو مائة تاليف .

ولابي بكر الباقلاني خمسون تاليفا .

ولابي الحسن الدارقطني ازيد من اربعين .

ولابن ابي زيد القيرواني نحو من عشرين .

وللخطيب البغدادي نحو من مائة .

وللقاضي عبد الوهاب ستة عشر .

ولمكي بن ابي طالب القيرواني نيف على ثمانين تاليفا .

ولابي بكر عاصم البطليوسي نحو من عشرين .

ولابي معشر الطبري المكي نحو من ثلاثين .

ولابي عبد الله الساحلي المالقي اربعة عشر .
ولابي القاسم بن جزي خمسة عشر .
ولابن ليون نحو من ثلاثين .
وللسراج البلقيني ازيد من مائة تاليف .
ومؤلفات جعفر بن شرف الجذامي تنيف على خمسة وعشرين .
ولابن حيان نحو من خمسين .

ثم يروي ثمان قطع شعرية لزيدان : سبعة قطع منها انشدها زيدان نفسه لابن القاضي، واجازه كل ما له من نظم ونثر، ووضع له خطه الكريم بذلك، وواحدة منها رواها عنه بواسطة .
وتقع القطع الثمان في سبعة عشر بيتا .
ثم روى عنه بيتين لولده احمد المنصور في وصف نهر المسرة .

وللقطعتين الاولى والثانية قصة طريفة كتبها ابن القاضي من لفظ زيدان، وخلاصتها ان زيدان كان بالزيدانية – بني عمير – فاشتد به الشوق الى حظية له اسمها نوار، التي قال عنها انها ممن **شرف سلافة الادب**، فركب اليها في منتصف ليل اشتد ظلامه، واذكره زئير الاسد في طريقه اليها ما اتفق لابي الطيب . قال : واتفق انها ذكرتني وعرفت في الحال من كان معها اني قادم عليها، فكثر عبثهم بها، ثم اخذت في لباس الحلي والحلل، وزاد تعجبهم منها، ثم لما

حصل بها ما حصل بي اخذت تردد شطر بيت من ابيات قصيدة اتفقت قبل ذلك لنا فحفظته عنا وهو :

يا ليلة وافى بها بدري

فبينما هي تردد الشطر اذ طلعت عليها ، فاجزت البيت ، بما يناسب من قولي :

والشوق احكم في الدجى سهري

وانشد في الحال اربعة ابيات ، وقع في اولها تحريف وكسر ، والثلاثة الاخرى هي قوله :

فركبت بحرا للدجى متلاطما
والنجم في لجاته يسري

فطرقتها سحرا وكاد يزورها
سنة الكرى ، من حيث لا تدري

فوجدتها في القصر قائلة :
يا ليلة وافى بها بدري

ولكن ابن القاضي لم يرو لنا القصيدة الزيدانية الاصلية التي ورد فيها الشطر الذي حفظته نوار عن زيدان .

ونفهم من القصة والابيات بعد ما بين الزيدانية التي كان به زيدان والقصر الذي كانت به نوار ، فقد خرج اليها في منتصف الليل ، ولم يصل اليها الا سحرا ، ولعل القصر كان بتادلا .

ثم اورد ابن القاضي قصيدتين للحافظ المجتهد ابي بكر محمد بن احمد بن يوسف ابن مسدي الاندلسي ثم المكي : اولاهما نونية في الاشتياق الى مكة وهي 53 بيتا . والثانية دالية في مناجاة الرسول «ص» امام الضريح الشريف ، وقد اورد منها 31 بيتا ، ثم قال : وهي طويلة جدا ، يقول في اثنائها :

ما حرقتي والله مما شان من
شان الحريق ولا تكلت المسجدا

لكن لشرعتك التي سد الورى
كل الشعاب لها وخلوها سدا

امروا ، نهوا ، ردوا ــ خلافا للنهي ــ
امريك فاجتمعوا بمهواة الردى

واضعية الاسلام بين معاشر
قد اسلموه وسالموا فيه العدى

صاروا به فرقا فبادوا كلهم
لما تفرق جمعهم وتبددا

فالشرع ملقى ، والهداية ضلة
والغي منقاد اليه ومهتدى

لله اشهد ان ما حذرتنا
ووعدتنا لما يخالف موعدا

هذا ، وقد سمى الحافظ التقي الفاسي المكي في «العقد الثمين» هذه القصيدة « باسنى المنائح ، في اسمى المدائح » وذكر ان ابا اسحاق البلفيقي راى النبي «ص» في المنام وعنده جماعة وهم يذكرون قصائد في المدح النبوي ، فقال لهم : اين انتم من قصيدة ابن مسدي الدالية ؟

كما ذكر في ترجمة احمد بن محمد القيسي القسطلاني المكي انه سمع من ابن مسدي القصيدة الموسومة باسنى المنائح ، في اسمى المدائح .

وابن القاضي يروي عن اثنى عشر شيخا ، خمسة منهم مغاربة ، وسبعة مشارقة ، فالمغاربهم هم :

1» الخطيب ابو عبد الله محمد بن يوسف المستاري الترغي .

2» والفقيه الاستاذ الفرضي الحافظ ابو راشد يعقوب بن يحيى اليدري .

3» وابو العباس احمد المنجور .

4» وابو عبد الله محمد بن عبد الواحد الزروالي الحضري .

5» وابو مالك عبد الواحد بن احمد الشريف الحسني مفتي مراكش الذي يروي عنه فهرسته .

واما السبعة المشارقة فهم :

1» ابو عبد الله محمد بن احمد الرملي الانصاري، واورد اجازته له مؤرخة بسنة ثلاث والف .

2» وابو الحسن علي بن محمد بن علي الشهير بابن غانم المقدسي النجار ، المصري الدار ، الخزرجي، واورد نص اجازته له ، وفيها انه ولد سنة 920 .

3» وابو الحسن علي بن احمد بن علي الانصاري القرافي الشافعي ، واورد اجازته في فاتحة الكتاب

مؤرخة بحادي عشر ذي القعدة عام ست وثمانين وتسعمائة .

4» وابو الحسن علي بن محمد بن علي بن غانم الخزرجي المقدسي .

5» وابو اسحاق ابراهيم بن عبد الرحمن بن ابي بكر العلقمي الشافعي .

6» وزكرياء بن محمد الحطاب .

7» وابو عبد الله البهنسي الشافعي المصري «اذنا» .

* * *

واغلبية مروياته عن ابي عبد الله محمد بن يوسف الترغي الى المنتوري ، وكثيرا ما يقول : وبالسند قبله الى المنتوري ، وتليها روايته عن ابي راشد اليدري .

ولعله لو اكتفى بكتابة اجازةعلى فهرسة المنتوري واضاف اليها ما زاد عليها لوفر على نفسه تعبا كثيرا لا مبرر له .

وقد طلبنا تصوير نسخة من « رائد الفلاح » لابن لقاضي للخزانة العامة بالرباط .

2 ـ المغازي لابن حبيش :

ومن مخطوطات الاكاديمية التاريخية الملكية بمدريد الجزء الثاني من المغازي لابي القاسم عبد الرحمن بن محمد بن يوسف ابن حبيش .

مما امر بنظمه وتصنيفه ، وجمعه وتاليفه ، الخليفة الامام الموفق المسدد الظفر المؤيد المنصور، الناصر لدين الله امير المومنين ابو يعقوب بن الخليفة الامام امير المومنين ، مد الله في افاضة انوارهم واعلاء منارهم ، واطالة اعمارهم ، واعزاز حماتهم وانصارهم ، واعلائهم على جميع الامم واظهارهم .

وهو مبتور الاخر يصل الى : غزو الوليد ابن عقبة اذربيجان وارمينية لمنع اهلها ما صالحوا عليه الاسلام . وعليه وثيقة ـ بخط مشرقي ـ بوقف هذا المجلد وما قبله .

هذا ـ وقد كتب الي الدكتور عبد المنعم مختار امين ، الاستاذ المحاضر بالمعهد الشرقي لجامعة بودابست ـ لما علم بوقوفي على هذه المغازي انه توجد نسخة منها في المكتبة الامبراطورية في برلين ، في جزاين الاول تنقصه الصفحات الاولى التي يظن انها تتناول التحركات الاولى للفتوح وخاصة تحركات خالد بن سعيد ، والسفر الثاني مؤرخ بعام ثلاثة وثلاثين وخمسمائة ، ومن وصفه له عرفت ان ما ينقص جزء مدريد شيء قليل ، كما ذكر لي انه بحث عن نسخ اخرى للكتاب فلم يتوصل الى نتيجة .

وذكر لي الدكتور عبدالمنعم مختار امين ـ الذي انتفع بهذه « المغازي » في كتابة اطروحته لنيل درجة الدكتوراه ـ انه يرى اهمية كبرى لهذا الكتاب ، لان مؤلفه شرح بشكل منهجي الروايات المختلفة مبينا ضعف روايات سيف بن عمر في قضية الفتوح المبكرة.

ويرى ان نشرها من شانه ازالة الغموض عن التاريخ الاسلامي المبكر .

ثم كتب الي اخيرا انه علم بالعثور على نسخة اخرى من « المغازي » في احدى مكتبات استانبول .

3 ـ الوافي بالوفيات :

ومن مخطوطات الاكاديمية التاريخية الملكية بمدريد الجزء الثالث والعشرون من « الوافي بالوفيات » لصلاح الدين الصفدي ، ويقع في 196 ورقة ، بخط شرقي جميل جدا ، وورق جيد ، وقد كتبت فيه اسماء المترجمين بالحمرة والهامش . ومن المغاربة المترجمين فيه :

عيسى بن عمران ، ابو موسى المكناسي ، قاضي مراكش ، وكان من رجال الكمال ، توفي عام 578 .

وعيسى بن محمد بن شعيب ابو موسى الغافقي الوراق الفقيه الكاتب الشاعر الذي كان مقيما بفاس والمتوفى عام 576 .

وابو الهدى عيسى بن احمد بن محمد بن مسعود السبتي الصوفي المتوفى عام 696 .

وعيسى بن عبد العزيز بن يلبخت بن عيسى ابو موسى الجزولي ، صاحب الكراسة الجزولية في النحو .

ونقل ـ اثناء ترجمته ـ عن بعضهم ان المقرب لابن عصفور اخذ حدود الجزولية واحترز

ما اورد عليها ، وتلك صفحة من تأثير الكتاب المغربي في الكتاب الاندلسي .

4) نزهة المشتاق :

ومن مخطوطات الاكاديمية التاريخية الملكية بمدريد نسخة مغربية حديثة من « نزهة المشتاق » مبتورة الاول ، تقع في 204 ورقة .

5) مسالك الابصار :

ومنها الجزء الثالث عشر من « مسالك الابصار في ممالك الامصار » لابن فضل الله العمري ، بخط شرقي حديث ، في 280 ورقة ، ويشتمل على تراجم كثير من الادباء المغاربة والاندلسيين .

6-7) ونسختان من السفر الخامس عشر من مسالك الابصار ، تقع احداهما في 298 ورقة ، بخط شرقي حديث وقد تكلم في هذا الجزء على الاندلس وبر العدوة وجبال البربر ومملكة افريقية .
وهو يريد بمملكة جبال البربر بلاد ملوك ثلاثة ببلاد السودان بيض من البربر ، **واكبرهم سلطان اهير ، خاضع لابي الحسن المريني .**

8) ومنها **الفوائد المسطرة ، في علم البيطرة ،** تاليف ابي الحسن علي بن عبد الرحمن بن هذيل الفزاري . وهو في 142 ورقة بخط غليظ جيد، وعليه تملك احمد بن علي بن ادريس الحسني الجوطي .

وقد الف ابن هذيل « الفوائد » بعد ما فرغ من تأليف « تحفة الانفس » ورفعه لمقامه الكريم ، فرأى أن يشفعه بتآليف اخرى في معاناة ادواء الخيل ... وفيه مقدمة واربعة اقسام .

9) ومنها **الروضة الغناء ، في** اصول الغناء ، يوجد منها مائة وثمان ورقات ، وتنقصها الورقة الاولى كما انها مبتورة من الاخر ، بخط مغربي جميل واسع ملون ، وتشتمل على الاشعار والموشحات والازجال التي يتغنى بها .

10) ومنها **النصح التام للخاص والعام ،** لابراهيم التازي ، وهي نصيحة في خمسة واربعين بيتا .

11) ومنها **رحلة الغساني** الى الاندلس ، بخط بعض الاوروبيين من غير تسمية لا للكتاب ولا للمؤلف ، وتقع في 152 ورقة .

12) ومنها السفر الاول من **فتوح افريقية** الى بلاد ارض بارز « كذا » وهو مبتور الاول ، توجد منه 68 ورقة بكتابة قديمة تملا الورقة من اولها الى آخرها وهو كتاب قصص واساطير .

13-14-15) ومنها الاجزاء الحادي عشر ، والثاني عشر والثالث عشر من **عقد الجمان ، في تاريخ اهل الزمان** المعروف بتاريخ العين الحنفي .
وتتضمن تاريخ 142 سنة ، ابتداء من سنة 61 للهجرة وهي بخط شرقي حديث ، ومجلدة تجليدا رفيعا .

16) ومنها كتاب **كنز العلوم ، ودر المنظوم ،** في حقائق علم الشريعة ، ودقائق علم الطبيعة، تصنيف الشيخ الاجل جمال الدين محمد بن علي بن تومرت المغربي الاندلسي . ويقع في مائة ورقة وورقة ، كتب سنة الف وثلاثمائة من اصل كتب سنة 1096.

17) رحلة الدولجي الى فرنسا :

ومنها رحلة محمد افندي الدولجي المرسل الى فرنسا من قبل الدولة العثمانية في رابع ذي الحجة 1132 وقد استغرق ذهابه وايابه سنة كاملة .
تقع في 17 ورقة من القالب الكبير ، ترجمها من التركية الى العربية ترجمان طائفة الافرنج المستامنين بمدينة صيدا .

18) ومنها 49 ورقة كثيرة اللحن والاخطاء ، تتضمن اتهام ملكة غرناذا «كذا» المسيحية بان لها صلة باحد الشبان المتنصرين ومحاكمتها من اجل ذلك .

19) وثائق ابن مغيث :

ومنها الوثائق المستعملة وشرح فصولها وعيونها للفقيه الحافظ ابي جعفر احمد بن محمد بن مغيث الطليطلي انتخبها من وثائق : يحيى بن يحيى ، وابن حبيب ، وسحنون ، وابن مزين ، ومحمد بن لبابة ، وقاسم بن محمد ، ويحيى بن ايوب ، وابراهيم بن قاسم ، وابن هلال ، واحمد بن سعيد ابن الهندي ، ومحمد ابن احمد ابن العطار ، والوثد ، وابن الملون ، وابن ابي زمنين ، والفضل بن ابي سلمة ، وابن عبد الغفار وغيرهم .
كتبت في ربيع الاول 538 وتقع في 105 ورقة، وبعض اوراقها حديثة .

20) وتليها عدة اوراق مبتورة الاول والاخر في صنعة الغوالي والجعفريات والعنبر والمنعمة

والمكتومة والفياحة والنضوح والعود والمسك والذريرة ، والغالية ، والسنونات ، والقرنفلة ، ودهن طيب .

21» ومنها **شرح المقدمة لابن بابشاذ** في النحو ، مبتور الاول الموجد منه 66 ورقة كان الفراغ منه سنة 547 .

وهو يقدم لكلام المتن بقوله : قال الشيخ الجليل ، ولكنه اثناء الشرح يقول : اما قولنا .. واما قولنا .. وتارة يقول : قال الشيخ ايده الله .. او قال الشيخ ادام الله توفيقه .

ويفهم مما نقله في « كشف الظنون » 2-1795 عن شرحها ليحيى بن حمزة العلوي ان للمؤلف شرحا على مقدمته .

22» ومنها **منهاج الغنا** ، ومزيل العنا عن « كتاب البنا » « في التصريف » تاليف احمد بن محمد الاندلسي الملقب بابن عبد العزيز الحنفي الماتريدي ، فرغ منه في شوال 1038 . وهذه النسخة كتبت سنة 1123 وتقع في 45 ورقة بخط مغربي ضمن مجموع مغربي .

واما المخطوطات التي طلبتها فلم اجدها ، فمنها :

رسائل ابي المطرف بن عميرة

وسفر من الاندلس ومن ارض الروم .

وكتاب الذخائر والاعلاق ، في اداب النفوس ومكارم الاخلاق لابي الحسن سلام بن عبد الله بن سلام الباهلي الاشبيلي .

وكتاب « المفيد » لعبد الملك بن محمد بن اصبغ القرشي .

وكتاب نور الحياة ، فيما يجب للخالق على المخلوقات لمحمد بن عبد الله بن احمد بن عزوز المراكشي .

واما الكتب التي سجلت اسماءها ولم يتسع لي الوقت للاطلاع عليها فهي :

كتاب فضالة الاخوان ، في طيبات الالوان ، لابي الحسن علي بن محمد بن ابي القاسم بن محمد بن ابي بكر ابن وزير التجيبي الاندلسي .

وكتاب ريحان الالباب وريعان الشباب ، لمحمد ابن ابراهيم بن خيرة بن المداعيني الاشبيلي .

والاربعون لابن طاهر السلفي .

وكتاب الجغرافية في مساحة الارض وعجائب الاصقاع والبلدان .

وكتاب الموافقات .

وفي العدد التالي نتحدث - بحول الله - عما وقفت عليه من المخطوطات بالمدرسة العربية الاسبانية بمدريد ونشرع في الحديث عن مخطوطات المكتبة الوطنية .

الرباط - محمد ابراهيم الكتاني



وثائق تاريخية أندلسية

عقد زواج نصري من انشاء المؤرخ الوزير لسان الدين ابن الخطيب

تحقيق الدكتور محمد كمال شبانة
أستاذ التاريخ الاسلامي بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة

تقديم :

بعث الينا الاستاذ محمد كمال شبانة دكتوراه الدولة في الآداب من جامعة غرناطة ، ومدرس التاريخ الاسلامي بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة بتحقيق ودراسة لمخطوطة « كناسة الدكان ، بعد انتقال السكان » الذي الفه لسان الدين محمد بن عبد الله بن سعيد الخطيب السلماني ، بعد ان صحب السلطان الغني بالله منفيا الى بلاد المغرب ، واستقر به المقام بمدينة سلا ، حيث اقام في هذا المنفى ثلاث سنوات، لم ينقطع خلالها عن الدرس والبحث ، بل جاب المغرب ، والتقى بالعلماء والشيوخ ...

« وكناسة الدكان ، بعد انتقال السكان » نص بالغ الاهمية وعظيم القيمة ، اذ يعتبر مجموعة من الوثائق النادرة الفريدة في تاريخ العلاقات بين المغرب والاندلس ، وبالذات حول العلاقات السياسية بين مملكتي غرناطة ، وفاس في القرن الثامن الهجري ... وتمشيا مع المنهج العلمي والاعلامي ، عند نشر وثائق تاريخية او ادبية حتى يتسنى للقارىء ان يقف على مضمون الوثائق فقد قدم للكتاب الدكتور محمد كمال شبانة بمقدمة ضافية ، كما حقق وثيقة عقد الزواج تحقيقا علميا جامعا ، واثرى الهوامش بالكثير من الاضافات ، والالتفاتات .

ولنترك القارىء الكريم مع مقدمة الدكتور محمد كمال شبانة ...

تمهيد

لا احسب اننا بحاجة ملحة الى التعريف بالمؤرخ الاندلسي المغربي ابن الخطيب ، فقد تحدث عنه كثير من المشتغلين بتاريخ اسبانيا المسلمة ، وافاضوا في الاحاطة بترجمة حياته ، كما فصلوا القول في معظم مؤلفاته ، ولا سيما ما حقق منها وما نشر ، كالاجزاء الاولى من كتابه « الاحاطة في اخبار غرناطة » ، « اللمحة البدرية في تاريخ الدولة النصرية » ، القسم الاول من مؤلفه « أعمال الاعلام ، فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام » ، « الكتيبة الكامنة ، فيمن لقيناه بالاندلس من شعراء المائة الثامنة » .

لذلك سنتناول هذه الشخصية في هذه المناسبة في أضيق الرسوم ، وبعبارة أدق سنعرض لفترة من فترات حياته السياسية ، تسنى له فيها ان يتقلد منصب رئاسة ديوان الكتابة مع الوزارة ، فكان الناطق الرسمي بغرناطة باسم كل من السلطان ابي الحجاج يوسف الاول النصري (733 — 755 هـ — 1333 — 1354 م) ، ثم لولده السلطان محمد الخامس الغني بالله ، والذي وزر له في الفترة الاولى من توليه السلطة (755 — 760 = 1354 — 1359 م) .

كان لسان الدين محمد بن عبد الله بن سعيد بن الخطيب السلماني — عندما تولى السلطة يوسف الاول

ــ في مثل سن هذا السلطان ، أو يتجاوزه بقليل ، وترعرع قرب قصر بني الاحمر ، ابان خدمة والده في ديوان الانشاء ، فتوثقت بينه وبين الملك صلات فتوة وشباب ، وكان من الطبيعي أن يصل ابن الخطيب يومئذ الى مرتبة الوزارة ، فضلا وعلما وادبا ، ثم ثقة بعد كل هذا ، وكان لمهارته وذكائه وقع عظيم في نفس ابي الحجاج ، فقوضه في معظم شؤون الدولة ، من اختيار العمال والقضاة ، الى اصدار المراسيم ومكاتبة الولاة ، بل انابه عنه في ادارة دفة الحكم ، عندما قاد السلطان بنفسه الجيش الاندلسي في معركة طريف الشهيرة (7 جمادى الاولى 741 هـ = 30 اكتوبر 1340 م) ، ورمى اليه بخاتمه وسيفه حتى يعود من الجهاد ، بالرغم من أن استاذ ابن الخطيب ابا الحسن بن الجياب كان على راس ديوان الانشاء يومئذ . مما يعطينا صورة جلية عن ثقة السلطان البالغة بصاحبنا ، بعد ان راى فيه عزم الشباب ، وحصافة الشيوخ .

وكان أن توفي ابن الجياب في وباء الطاعون الجارف (شوال 749 هـ = يناير 1349 م) ، فخلف ابن الخطيب أستاذه في الوزارة ، وتقلد ديوان الانشاء لابي الحجاج ، وكان قد ملك زمام اللغة نثرا وشعرا ، بفضل شيوخه من اعلام الاندلس ، وعلى راسهم ابن الجياب هذا ، بالاضافة الى ثقافته الشخصية وتجاربه الذاتية والنفسية ، حتى ظهر اثر كل هذا في رسائله السلطانية واخوانياته ، والاولى منها تلك التي بعث بها على لسان كل من السلطان يوسف الاول وولده الغني بالله ، الى كل من ملوك المسلمين والنصارى المعاصرين ، والتي كانت محل اعجاب المؤرخ المعاصر ابن خلدون وتقديره ، فسماها بـ « الغرائب » ، وقد جمع ابن الخطيب نفسه منها الكثير في كتابه الضخم « ريحانة الكتاب ، ونجعة المنتاب » ، كما اورد المقري عددا لاباس به منها في كتابه « نفح الطيب » ، هذا المؤلف الذي اوقف صاحبه الجانب الاعظم منه على ابن الخطيب ، بل قرن اسم الكتاب به ، فسماه « نفح الطيب ، من غصن الاندلس الرطيب ، وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب » .

هذا وحدث أن نفي ابن الخطيب مع سلطانه الغني بالله الى المغرب فاستقر في مدينة سلا قرب الرباط ، كما اشار الى ذلك في المقدمة ، وذلك لفترة دامت ثلاث سنين (760 ــ 763 هـ = 1358 ــ 1361 م) اقتنى خلالها الاموال والضياع . بيد انه لم ينقطع عن الدراسة والبحث والتاريخ ، فجاس خلال المغرب ، والتقى في مدنه بالعلماء ، وفي خاتمة مطافه هذا رجع الى سلا ، حيث رابط قربها بضاحية « شالة » الى جانب اضرحة بني مرين ، والف مجموعة من كتبه ، منها مؤلفه « كناسة الدكان ، بعد انتقال السكان » الذي نحن بصدد تحقيقه ، والكتاب كما يبدو من تسميته قد اشتمل على تراث فكري سبق له يوم كان بالاندلس ، وانه بقية من البقايا الادبية التي حمل اشتاتها معه الى المغرب . بعد ان انتقل اليه بحكم ظروف خلع سلطانه الغني بالله كما اسلفنا . وقد لجأ الى هذه التسمية قصد التلميح للظروف السابقة والظروف اللاحقة ، في تعبير مسجوع مألوف ، كشأنه في معظم مؤلفاته ان لم يكن في مجموعها كلها .

ان هذا الكتاب « كناسة الدكان » ليست له سوى مخطوطة يتيمة بمكتبة الاسكوريال بمدريد تحت رقم 1712 من فهرس الغزيري ، وتقع في احدى وستين لوحة من الحجم المتوسط ، قد كتبت بخط اندلسي جميل اما النسخة الموجودة بدار الكتب بالقاهرة ، والمسجلة تحت رقم 19879 ز ، فهي نسخة مصورة بالفوتوستات عن الاصل المخطوط المحفوظ بمكتبة الاسكوريال بمدريد ، وقد نوه في فهرس الدار بذلك ، وهو الفهرس الخاص بالمخطوطات والمطبوع في عام 1380 هـ (1961 م) . بيد ان هذا لا يمنع القول بأن جزءا ليس باليسير من رسائل المخطوطة قد ثبت ذكره في مؤلف ابن الخطيب ايضا « ريحانة الكتاب » وقد اشار الناسخ الى ذلك امام كل رسالة وفي بدايتها تلك العبارة (مثبوت في الريحانة) وقد دعانا هذا ــ بطبيعة الحال ــ للرجوع الى « الريحانة » ، ووقع الاختيار على ثلاث نسخ منها ، قوبل ما جاء بها من تلك الرسائل على ما ورد منها بالكناسة ، فألفينا بعض الزيادات واحيانا بعض النقص في كلا الجانبين ، وكانت النتيجة في النهاية لهذه المقابلات ان وصلنا الى صورة متكاملة في الجملة لمخطوطة الكناسة ، ونبهنا عند كل نقص او زيادة الى ذلك اما هذه النسخ الثلاث للريحانة فهي :

ا ــ نسختان بدار الكتب بالقاهرة :

الاولى : يوجد منها الجزء الاول وبعض الجزء الاخير في مجلدين ، بخط مغربي ، وباثنائها ثقوب ونقص واضطراب . وهذان الجزآن مصوران بالفوتوستات عن النسخة الخطية المحفوظة بمكتبة تونس ، ويقعان في 309 لوحة ، تحت رقم 19875 ز .

الثانية : بها نقص يسير من الخطبة : اولها بعد الديباجة ... وسميته لتنوع بساتينه المنسوقة ، وتعدد

افانينه المعشوقة ، بريحانة الكتاب ، ونجعة المنتاب ... الخ ، فى مجلدين كتبا بخط النسخ ، وقد نقلا عن الجزآين المخطوطين المقيدين بدار الكتب برقم 524 ادب ش ، ويقعان فى 460 / 650 صفحة ، ومسطرتهما 21 سطرا، وقد سجلا تحت رقم 13459 ز .

ب — نسخة الاسكوريال بمدريد ، والمسجلة تحت رقم 1835 فهرس الغزيري وهي نسخة جيدة للغاية ، قد كتبت بخط اندلسي باهت ، وتقع فى 281 لوحة كبيرة اعني 562 صفحة ، فى كل صفحة 27 سطرا ، وفى كل سطر 12 كلمة تقريبا ، قد ذكر فى نهايتها انها كتبت فى سنة 888 هـ . وهي عبارة عن مختارات من كتب ابن الخطيب ، ثم مجموعة كبرى من الرسائل عن السلاطين الذين وزر لهم بالاندلس والمغرب (ابو الحجاج — الغني بالله — ابو سالم المريني) .

والكناسة بعد هذا تنتظم اقساما ثلاثة : المقدمة ، وثيقة عقد زواج نصري ، رسائل سياسية .

فالاولى منها وهو المقدمة يشغل نصف لوحة فقط من المخطوطة ، وهي بهذا تكاد تكون اقصر مقدمة لكتاب من مؤلفات ابن الخطيب .

والثاني منها وهو وثيقة الزواج فتقع فى سبع لوحات وبعد المقدمة مباشرة ، وقد جرت رسوم هذه الوثيقة فىقصر الحمراء بغرناطة، بين السلطان ابي الحجاج يوسف الاول ، بصفته وليا ووكيلا عن اخته ، وبين احد القواد من أبناء الاسرة النصرية ، **وهو القائد الرئيس ابي الحسن بن ابي جعفر بن نصر** . وتلقي الوثيقة — فى عمومها — ضوءا على تاريخ بعض الملوك الاول من بني الاحمر ، فقد نوه ابن الخطيب فيها بجهود هؤلاء السلاطين ، عن خلال سلسلة تاريخ ارتقائهم لعرش غرناطة مشيدا بدفاعهم عن آخر ممالك المسلمين فى الاندلس . وفى اثناء هذه الاشادة بتاريخهم نراه يحقق لنا نسب الاسرة النصرية هذه ، حتى يصل بأصول شجرتهم الى جدهم الاول ، الصحابي الجليل « سعد ابن عبادة بن الصامت الخزرجي الانصاري » .

أما القسم الثالث والاخير مما تحتويه هذه المخطوطة فهو مجموعة من الرسائل السياسية تبلغ ثنتان وعشرين رسالة دبجها ابن الخطيب بقلمه ، وكان قد بعث بها — على لسان سلطانه يوسف الاول — الى معاصريه السلطان أبي الحسن المريني ، وابنه من بعده ابي عنان فارس ، بن السلطان ابي الحسن علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المريني ملك المغرب. وهي رسائل تمثل — فى مجموعها — العلاقات الديبلوماسية التي كانت قائمة يومئذ بين مملكتي غرناطة وفاس (منتصف القرن الرابع عشر الميلادي) ، وهي علائق تتسم بالود والصفاء ، تبودلت خلالها الرسل والهدايا ، وتدفقت معها المعونات الحربية والمادية المغربية على الاندلس ، جريا على سنة الاسلاف الاقدمين من ملوك المرابطين والموحدين ، ولم يعكر صفو هذه العلاقات بين ابي الحجاج وبين ابي عنان مكدر ، اللهم الا مسالة الامير ابي الفضل المريني اخى ابى عنان ، والتي الحقنا اليها فى مناسبتها من الرسائل الخاصة بها ، وعادت السماء بعدها صافية الاديم ، حتى قضى السلطان ابو الحجاج يوم عيد الفطر من عام 733 هـ .

كما تعتبر هذه الرسائل وثائق هامة للباحثين فى احداث تاريخ المغرب والاندلس ، لما تكشف عنه من حقائق تاريخية ذات اهمية بالغة .

هذا وقد وردت فى نهاية « كناسة الدكان » عبارة، اغلب الظن انها من وضع الناسخ وهي :

« الى هنا انتهى ما الفي من المبيضات التي كتب بها عن السلطان أبي الحجاج رحمه الله ، ما عدا الثابت فى السفر المسمى بالسلطانيات » .

ويهمنا من هذا ان نذكر ان جزءا كبيرا آخر من رسائل ابن الخطيب غير ما ورد فى « الكناسة » قد ذكر بمؤلفه « الريحانة » ، ولما كان المؤلف قد اعتاد تقسيم كتبه الى اسفار ، وانه ذكر — اثناء ترجمته لحياته فى الاحاطة — ان كتابه ريحانة الكتاب يقع فى ثمانية اسفار، فقد وضح اذن أن احد هذه الاسفار قد خصصه برمته للرسائل السلطانية ، تبعا لما جاء مؤخرا بعبارة الناسخ للكناسة ، والتي أشرنا اليها .

اخيرا ، آمل ان اكون بهذا التحقيق لهذا الكتاب قد ساهمت بلبنة فى صرح المكتبة الاندلسية عامة ، وفى نشر ذخيرة من ذخائر ابن الخطيب خاصة . والله الموفق .

القاهرة : يولية 1965 **محمد كمال شبانة**

تقديم :

لقد وردت هذه الوثيقة التاريخية باول كتاب « كناسة الدكان ، بعد انتقال السكان » لمؤلفه المؤرخ الوزير لسان الدين ابن الخطيب (ابو عبد الله محمد) «713 — 776 = 1313 — 1375 » ، والذي توجد منه نسخة يتيمة مخطوطة في مكتبة الاسكوريال بمدريد باسبانيا ، تحت رقم 1712 . وتقع في ستين لوحة من الحجم الكبير ، تشغل المقدمة نصف لوحة فقط . وبهذا تكاد تكون اقصر مقدمة لكتاب الفه ابن الخطيب ، من بين مؤلفاته التي تربو على الستين ، حسبما اورد ذكرها بنفسه في مؤلفه الضخم « الاحاطة في اخبار غرناطة » . ثم تلي مقدمة « الكناسة » هذه وثيقة عقد زواج نصري تم اجراؤه في قصر الحمراء بغرناطة ، بين السلطان ابي الحجاج يوسف الاول ابن الاحمر ، بصفته وكيلا ووليا على اخته ، وبين احد القواد العسكريين من ذوي القرابة . وتقع الوثيقة في سبع لوحات من المخطوطة المشار اليها ، اي من اولها حتى اللوحة السابعة . اما بقية الكتاب وهو ثلاث وخمسون لوحة فهو عبارة عن مجموعة من الرسائل السياسية التي دبجها ابن الخطيب بقلمه كذلك ، على لسان السلطان ابي الحجاج المذكور ، وتمثل تلك الرسائل العلاقات السياسية التي كانت سائدة بين غرناطة وفاس، أوائل القرن السابع الهجري (منتصف القرن الرابع عشر الميلادي) .

وقد الف الوزير ابن الخطيب هذا الكتاب — ضمن مجموعة اخرى من مؤلفاته — بمدينة سلا بالرباط ، وذلك عندما كان منفيا بالمغرب مع سلطانه محمد الخامس الغني بالله بن السلطان ابي الحجاج يوسف الاول ، لفترة دامت ثلاث سنوات (760 — 763 هـ / 1358 — 1361 م) ، عكف خلالها على التاليف ، بعيدا عن اعاصير السياسة في الاندلس ، فقد طاب له العيش ، واستقر به المقام ، في ظل السلطان ابي سالم المريني ملك المغرب يومئذ .

هذا وتلقي وثيقة الزواج هذه — التي تحقق وتنشر لاول مرة — ضوءا على تاريخ بعض الملوك من بني الاحمر ، حيث نوه الوزير ابن الخطيب — منشيء الوثيقة — في تسلسل تاريخي — بجهودهم في سبيل تدعيم مملكة غرناطة ، تلك الدولة التي ولدت في ظروف غير عادية ، بين اعاصير حروب الاسترداد الاسبانية في الخارج ، وتيارات الطامعين في عرشها من الداخل ، كما حقق لنا الكاتب في هذه الوثيقة نسب ملوك بني نصر ، ووصل بنا لاصول شجرتهم ، الى الصحابي الجليل المعروف « سعد بن عبادة الصامت » ، وهو بهذا يعتبر الجد الاعلى لهذه الاسرة النصرية ، والتي حكمت آخر ممالك المسلمين بالاندلس (غرناطة) قرابة مائتين وخمسين عاما ، منذ عهد مؤسسها محمد الاول ابن الاحمر ، والذي تربع على العرش في ابريل 1238 م ، حتى سقوط المملكة في يد الاسبان ، على يد ابي عبد الله محمد الاخير ، في 2 يناير سنة 1492 م .

(الوثيقة)

« ... (3 — أ) فمن ذلك صداق منعقد على (3 — ب) أخت السلطان الكبير المجاهد ابي الحجاج(1) — قدس الله روحه — لعريسه الرئيس أبي الحسن ، ابن ابي جعفر ، بن نصر .

نصه : « الحمد لله مانح اشتات الهبات ومسديها، وفاتح ابواب الآمال البعيدة المنال ومدنيها ، وجاعل البركات الطاهرة منوطة باتباع اوامر هذه الشريعة الطاهرة واجتناب نواهيها ، حمدا يصل المنن بالمنن ، ويربط المواهب بالمواهب ، الذي انشا الانسان من نفس واحدة ، وجعل العالم علامة صفاتنا حدوثها بقدمه شاهدة ، وجاد على الخلائق من نعماه وعواطف رحماه بأفضل صلة واكرم عائدة ، واوردهم من موارد لطفه كل عذب المشارب . هو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة (2) ، ومنهي عباده الى ما سبق فيهم من سابق الارادة ، وجاعلهم قسمين : فمنته الى الشقاء ومنته الى السعادة ، لا اعتراض على حكمه الفصل وامره الغالب ، تقدس على لحاق الحوادث والاغيار . وتعالى عن هواجس الخواطر وخطرات

---

1) هو السلطان يوسف الاول ، ابن السلطان ابي الوليد اسماعيل ، بن فرج ، بن نصر . سابع ملوك بني الاحمر ، تولى ملك غرناطة في 13 من ذي الحجة 733 هـ = 25 اغسطس سنة 1333 م ، وقتل بمسجد الحمراء اثناء ادائه سنة عيد الفطر من عام 755 هـ = 19 اكتوبر 1354 م . وقد وزر له ابن الخطيب ، ثم لابنه من بعده الغني بالله محمد الخامس .

2) اقتباسا من قوله تعالى : « هو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة ، هو الرحمن الرحيم » سورة الحشر ، آية 22 .

الافكار ، وسع الاكوان ظاهرها وباطنها باللطف الخفي والجود المدرار ، فشملت نعمته الهامية السحائب . اوجد العيال ليعبدوه ، والزمهم أن ينزهوه ويمجدوه ، وعرفهم وجوده الضروري ولولاه ما عرفوه ولا وحدوه، وخلقهم من بطون أمهاتهم خلقا من بعد خلق في ظلمات الغياهب (1) . شرع لنا الاسلام سبيلا واضحا ، واطلع لنا من مراشده الباهرة نورا لائحا ، وبعث الينا نبيه الكريم رسولا أمينا هاديا ناصحا ، فعرفنا برسالته المستحيل من الجائز والمحظور من الواجب .

والحمد لله الذي تنزه في عظمته ، وتوحد في كبريائه ، وتعالى ملكه القديم وسلطانه ، الكريم في أرضه وسمائه ، واحاط علما بأسباب كل أمر واحواله ، وانبعائه ومآله ، وابتدائه وانتهائه، وصور نوع الانسان بحكمته من الطين اللازب (2) ، نحمده سبحانه على ما اجزل من احسانه ، وخول من رفده . ونسبحه آناء الليل واطراف النهار ، « وان من شيء الا يسبح بحمده (3) » . ونعترف بأن كل عارفة ، ونعمة واكفه ، ومنة تالدة وطارفة ، فانما هي من عنده . ونبرأ من المجادلة والمناصبة ، ونشكره — عز وجهه — على ما اسبغ من الانعام ، ونقر له بالوحدانية المنزهة عن الانتهاء والانصرام ، ونستزيده من مواهبه الفياضة وعوارفه الجسام ، وآلائه المحسبة للمآرب ، ونسأله ان يمدنا بالتوفيق والعصمة ، ويصل لنا اسباب العناية والنعمة ، وينور ابصارنا بنور هداه الذي يشفي من العمى ويذهب بالظلمة ، ويحملنا من رضاه على أوضح المذاهب .

ونشهد أنه الله الذي لا الاه الا هو ، الغني عن الانداد ، المبرأ عن الانفصال والاتصال والصاحبة والاولاد ، المنفرد بالقبض والبسط والامداد والايجاد ، المالك الذي (3 — ب) لا تفيض خزائنه على كثرة المسترفد والراغب . ونشهد ان محمدا النبي الكريم عليه، عبده ورسوله الطيب العناصر ، ونبيه العميم المكارم العظيم المفاخر ، وامينه المحرز فضل الاول والآخر ، وصفيه الطاهر المناصب ، الكريم الضرائب . تخيره من اشرف القبائل محتدا ومنتسبا ، وآتاه من كل الفضائل سببا يتلو سببا ، واختار له البطون الطاهرة والاصلاب الفاخرة اما فاما وابا فابا ، واختصه بما اختصه منشرف الاخلاق وكرم المناسب. والبسه من المفاخر الرائقة الطرر والمحامد ، المتالقة الغرر اشرف الباس ، وآتاه من كمال الخصائص وخصائص الكمال كل مطرد القياس ، وجعل امته التي كرمها باتباعه ، والاستبصار بنور شعاعه ، خير أمة اخرجت للناس (4) ، وملكها بعز دعوته مازوى (5) له من المشارق والمغارب ، فشرع — صلى الله عليه وسلم — النكاح ذريعة الى النما وحفظا للانساب ، ومألفة لمفترقات الاهواء وصلة لمتباعدات الاسباب ، ورفعا لما يهجس من الشك ويختلج من الارتياب ، وصونا لبيوت الشرف عن الاوشاب والشوائب (6) . وخطب عليه السلام وخطب اليه في الاحياء ، وتبل الخطبة واصغى للدعاء ، وجدع بانحلال انف الغيرة والاباء ، وأمر بالتخير للنطف (7) ، والارتياد لعقائل الشرف ، تكريما للمناسب ، وتنزيها للمناصب ، فسعد باتباعه (4 — ا) ، كل سالك لطريقه ، واوى الى جناب الله كل آو لحزبه المفلح وفريقه ، وبان المبتدع من

---

1) اقتباسا من قوله تعالى : « خلقكم من نفس واحدة ، ثم جعل منها زوجها ، وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج ، يخلقكم في بطون امهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث ، ذلكم الله ربكم ، له الملك ، لا الاه الا هو ، فانى تصرفون » . سورة الزمر آية 6 .
2) اقتباسا من قوله تعالى : « فاستفتهم اهم اشد خلقا ام من خلقنا ؟ انا خلقناهم من طين لازب » سورة الصافات ، آية 6 .
3) اقتباسا من قوله تعالى « تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن ، وان من شيء الا يسبح بحمده ، ولكن لا تفقهون تسبيحهم ، انه كان حليما غفورا » سورة الاسراء ، آية 44 .
4) اقتباسا من قوله تعالى : « كنتم خير امة اخرجتللناس تأمرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله ، ولو آمن اهل الكتاب لكان خيرا لهم ، منهم المؤمنون ، واكثرهم الفاسقون » سورة آل عمران ، آية 11 .
5) زوى له : جمع له .
6) الاوشاب : الاوباش والاخلاط ، واحده وشب بكسر الواو ، والشوائب : الاقذار والادناس . كذا في المحيط .
7) اقتباسا من الحديث النبوي الشريف : « تخيروا لنطفكم ، فان العرق دساس » رواه البخاري ومسلم .

المتبع بتمييز الحق وتفريقه ، ليميز الله الخبيث من الطيب (1) ، وما الاخابث كالاطايب . فصلوات الله وسلامه ، وتحيته واكرامه ، تستلم بشريف ترابه ، وتزاحم الوفود على بابه ، وتعرس ركائبها بين روضته الطاهرة ومحرابه ، وتحدو جنائبها ايدي الصبا والجنايب (2) ، صلاة نجدها زلفى في الميعاد ، وتربى الى رب العباد ، وذخرا يوم قيام الاشهاد ، ووسيلة ننال بها من رضا الله اسنى الرغائب . والرضا عن آله واصحابه نجوم الاقتداء والائتمام ، وسيوف دين الاسلام ، السادة البررة قادة الاعلام ، احلاس الخيل (3) ، ورهبان الليل ، واسد الكتائب ، ما لهجت الالسن بترداد انبائهم ، وتولعت بنشر ثنائهم ، وضربت الامثال بمآثر عليائهم ، ونظمت مفاخرهم نظم التوام العجائب .

ونستوهب من الله للمقام العلي المولوي السلطاني الكريم اليوسفي النصري سعدا ضافية حلله ، وعزا يساعد به الدين الحنيف امله ، وتمهيدا يتوفر بجميل صنع الله فيه جزله ، وغاية الاهبة يدل حاضرها على الغائب . ولا زال نظره الجميل يعم الاقارب والاباعد ، وعطفه وشفقته يقدمان للخلق الموارد ، وخلاله الكريمة تقيد الامداح الشوارد ، والزمان يتحلى من حلاه ومآثر علاه (4 — ب) ما نفس من عقود الترايب

❋

اما بعد هذه المقدمة التي كرمت اختتاما وافتتاحا ، ووجدت في ميدان الرضا والسعد وبلوغ الامل واحراز القصد مغدى ومراحا ، واوسعت العيون قرة والصدور انشراحا ، فان من المعلوم الذي لا يحتاج الى دليل ، والمسلم الذي لا يتطرق اليه بتعليل ، ولا يخاف على محكمه وارد نسخ ولا عارض تأويل ، فقد وضح منه كل سبيل ، وحل توام الايمان في قلب كل قبيل ، ما خول الله هذه الدولة النصرية (4) ، كتب بفضله نصر كتايبها ، وجعل محامدها قلايد تجعلها الايام فوق نحورها وترايبها ، من الكمال الذي وردت غير مدافعة حياضه والمجد الذي تفيات ، في انقى رياضه ، والعدل الذي رفعت فوق العباد ظلاله ، والفضل الذي استشعرت شيمه وخلاله ، والجهاد الذي تلقت رايته بالاستحقاق ، وقامت بفرضه كفاية عمن دونها من ملوك الآفاق . وان الله سبحانه نصر الدين الحنيف بسلفها في القديم ، ثم تداركه بخلفه غريبا في هذا الاقليم (5) ، فضاء بنورهم جنح الليل البهيم ، واينع دوح العز فلا بالمصوح ولا بالهشيم (6) ، وتوارثوها صدرا عن صدر ، وهلالا عن بدر ، وولدا عن أب ، وارثة حق ونسب ، من كل ملك صادع بالحق ، مبرر في حلبة السبق ، مراقب لله في الخلق ، وهمام يجيل جياد النصر ، ويطلع شمس السعادة في العصر ، كلما افل شهاب ثاقب (5 — ا) ، طلع بدر افلاكه مفاخر ومناقب ، صانوا حلل العليا عن ابتذالها ، وحفظوا على الايام رونق جمالها ، وعالجوا الملة الحنيفية من اعتلالها .

وماذا عسى ان يبلغ القول وان اطرد ، او ينتهي المدح وان شرد ، في ابناء صحابة الرسول وانصاره ؟ وسلالة سعد بن عبادة ، وزيره الذي لا يضاهى في رفعة شأنه وعلو مقداره ، ووليه الذي اعلن باجلاله في قومه الانصار واكباره ، وقال لهم لما اطل : قوموا لسيدكم تسجيلا لعقد افتخاره الى ان البس الله طوق هذه الخلافة النصرية اشرفها في العشيرة جيدا ، واكرمها ابا وجدودا ، وجعل زمامها في اولى الناس بمقادتها ، واحقهم عند اجالة القداح بسهم سعادتها ، واطولهم باعا في توفر الخلال التي تقتضيها ، والمحامد التي تختارها وترتضيها ، مولانا السلطان الكبير ، الشهير ، الخطيب ، العادل ، الفاضل ، الماجد ، الكامل ، الاروع ، الباسل المجاهد ، الحافل ، الماضي الصفاح في ذات الله والذوابل . هضبة الثبات اذا هفت من الروع الهضاب ، وسيف الله الماضي اذا لهمت السيوف العضاب .

---

1) اقتباسا من قوله تعالى : « ليميز الله الخبيث من الطيب ، ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجعله في جهنم ، اولئك هم الخاسرون » سورة الانفال ، آية 37

2) الصبا : الريح تهب من مطلع الشمس . والجنوب : هي الريح القبلية ، كذا في اللسان .

3) أحلاس الخيل : ج حلس ككتف : الشجاع ، والمراد : انهم قوم فوارس شجعان .

4) هي آخر دولة للمسلمين بالاندلس ، وتعرف ايضا بدولة بني الاحمر ، تدحكمت مملكة غرناطة قرابة مائتين وخمسين عاما (635 — 897 هـ / 1238 — 1492 م) مؤسسها محمد الاول ابن الاحمر ، وآخر ملوكها ابو عبد الله محمد بن علي بن سعد بن محمد بن يوسف النصري .

5) يقصد به « الاندلس » .

6) المصوح : الجاف اليابس ، كذا في القاموس .

الذي استهل بالطهارة يانعا وكهلا (1) ، وكان مذ كان لخلافة المسلمين اهلا ، المجاهد السعيد ، الشهيد أبي الوليد (2) ، بن مولانا الهمام الاخطر ، العلم الاشهر ، عنصر المجد اللباب . وبحر النوال الفياض العباب ، وطود الرياسة العالي الجناب ، وصارف (5 ـــ ب) عنان الدولة الى ابنائه بالعزم الثاقب الشهاب ، والرأي المصمي ثغرة الصواب ، ومستحقها بالاكتساب والانتساب ، ومخلدها منهم في الاعقاب ــ ان شاء الله ـــ واعقاب الاعقاب ، أبي سعيد فرج ، بن اسماعيل ، بن يوسف ، بن نصر ، المباهي من نصار الانتساب ، الرفيع بغير الزائف ولا البهرج ، المنتمي في ذؤابة كرام الخزرج، جدد الله عليه ملابس الرحمة ، وجزاه الله أفضل ما جزى الصالحين من ملوك هذه الامة .

فلله من سنة أحياها ، وسيرة عدل أطلع محياها، وسبيل بر أوضحها ، وحديث مجد عن سلفه من صحابة رسول الله اثبتها وصححها . وصير الله ملكه الى قرارة رضاه واختياره ، وخلاصة حبه من بين سائر بنيهوايثاره بدر اقماره وندرة نضاره ، وعنوان سعده وبركة داره . الذي أعلا عماد ملكه ورفعه ، وضم شمل المسلمين من بعده وجمعه ، وبنى على أساسه ، وأنتج الكمال من مقدمات قياسه ، مولانا وعمدة ديننا ودنيانا ، الواحد المعدول بآلاف الملوك الصيد ، درة السلك وبيت القصيد، الجامع لما تفرق من محاسن الدهر ، كفى الخلافة الملى لها بالمهر (3) . ذي العزم الامضى ، والسعي الارضى ، والسياسة التي اقرت العيون الموهى والنفوس المرضى، الشهير الحلم والاناة في شرق المعمور وغربه ، الميمون النقيبة في سلمه وحربه ، المصنوع له في أعدائه عناية من ربه ، (6 ـــ ا) امير المؤمنين ابي الحجاج يوسف ، ابقاه الله وايامه عن غرر السعد سافرة ، واقسامه من النصر والعضد وافرة ، وكتائبه ظاهرة ظافرة ، والحوادث عن مقامه شاردة نافرة .

فمن ذا له مجد كمجد هذه الدولة التي لها الفخر الحقيق ، والنسب الصريح العريق ، والسبب المتين الوثيق ، واقتدى بهذه الشجرة النصرية الشماء ، الذي اصلها ثابت وفرعها في السماء ، فروعها من الاقارب والرؤساء ، فكانوا نجوما امدتهم شمسها المنيرة بالسنا ، فلم يال في الاهتداء بها والاقتدا ، فضلا منشور اللوا ، وعدلا مديد الافيا ، ومجدا كريم الانبا ، وجهادا تاما للاعدا ، يقوم منهم الابناء في ذلك بحقوق الاباء ، ويتوارثون كابرا عن كابر مذخور ذلك العلا ، فأصبحوا صوارم جلادها ، وولاة بلادها ، وظهراء سلطانها ، وزين اوطانها ، حفظ الله عليهم من عز هذه الايالة (4) النصرية اليوسفية مادة سعدهم ، وعنصر مجدهم . وان من أفضل منانجبتهم هذه البيوت الرياسية من ابنائها ، وانبته من فروع عليائها ، الرئيس الكذا (علي) أبو فلان (ابو الحسن) ، ابن الرئيس الكذا (أبي الحسن) أبي فلان (جعفر) (5) . وصل الله سعده وحرس مجده . فانه نشأ والعفاف يظله ، والمجد ينهله ويعله (6) ، والطهارة تضفي عليه سابغ أذيالها ، والاصالة تورده عذب زلالها ، والسعادة (6 ـــ ب) تأخذ بضبعه صعدا ، وتفسح له من بلوغ الآمال مدى لم يعلق باثواب شبيبته ما يريبها ويشينها ، ولا تلبس بما ينافيه فضلهاودينها ، واسندت اليه الولاية فسلك فيها سيرة العدل ، وتحلى بحلى النزاهة والفضل ، وانه ـــ اعزه الله تعالى ـــ ترقت الى الغاية القصوى من الشرف الغر آماله ، وانفسح في التماس العز الاقعس مجاله ، وتشوقت نفسه الى احراز الوسيلة التي طمعت فيها الكواكب الزهر لتزحزحت عن مراكزها استطالها ،

---

1) هكذا في الاصل وجدناها معطوفة بلا اسناد لفعل آخر غير « الاستهلال » المناسب لليفاعة دون الكهولة . فلعل هناك سقطا من الناسخ .
2) هو السلطان أبو الوليد اسماعيل النصري ، خامس ملوك بني الاحمر ، تولى السلطة في شوال 713 هـ ابريل 1313 م ، وقتل بيد ابن عمه محمد بن اسماعيل صاحب الجزيرة ، لاسباب شخصية ، في اواخر رجب 725 هـ / يونية 1325 م
3) لعله خطأ من الناسخ ، وصوابه « ذو » على الخبرية لمبتدأ محذوف « هو » .
4) الايالة الدولة .
5) ذكر في المقدمة هذه الوثيقة ، وكذا في مقدمة مخطوطة القاضي النباهي « نزهة البصائر والابصار » بالاسكوريال رقم 1653 .
6) النهل : الشرب الاول ، العل : الشرب الثاني : والمراد : انه حاز المجد اولا وآخرا .

ومشت من آفاقها استنزالا واستعطافا ، وسأل الله أن يكيف لها من المقام اليوسفي مصاهرة تزيد مجده والعالى اضعافا ، فوافقت دعوته من الله اجابة ، ووافقت رغبته في خليفته اسعافا ، وما برح يستخير الله سبحانه ونعم المستخار ، وعائد الضراعة اليه والله يخلق ما يشاء ويختار (1) . وعرض على المقام المقتدى بالرسول ، الذي خطب اليه — صلوات الله وسلامه عليه — ما توجهت اليه آماله ، وتوسل بالقربى التي يتوسل بها أمثاله ، فلما اتصلت رغبته وانثالت ، وتمادت وتوالت ، ورى بالسعادة زنده ، وخفق بالظافرة بنده ، ورأى مولانا — أيده الله ، وأعز نصره واعلاه — أن وصل سببه وزكى حسبه ، وأوضح في الانعام عليه مذهبه ، واوجب له العقد السني ، والاملاك السني (7 — أ) في أخته الحرة ، الجليلة ، الطاهرة ، المعظمة ، السيدة ، فلانة ابنة والده مولانا أمير المسلمين ابي الوليد ، وصل الله لها عوائد اليمن والسعد ، وعرفها في انتقالها أضعاف ما عرفته في منشأ المجد ، ايجابا حالفته السعود ، وانجزت به للآمال الوعود ، وأسس بنيانه على تقوى الله ورضوانه (2) الذي تؤسس عليه العقود الدينية والعهود ، فعرف الرئيس الاجل — أعزه الله قدر هذه النعمة التي لا تقاس بالنعم الا ترفعت عن اجناسها وخرجت عن حكم قياسها ، وتلقاها بما يجب من الشكر الذي تقابل به جلائل النعم ، وتستزاد به عوارف الكرم.

وانعقد بينهما الاملاك السعيد على الحرة الجليلة المخطوبة المسماة ، على صداق أوجبت السنة تعيين مقدمه وتاليه ، وبين نقده وكاليه (3) ، واجرى قبوله من المقام الكريم اليوسفي حرس الله أسباب معاليه ، فجرى رفده الذي يصله واحسانه الذي يواليه ، مبلغه بين نقد حاضر وكال مستاخر ، الفا دينار اثنان من الذهب العين (4) وكذا وكذا (5) . على هذا انعقد النكاح ، وبه تم ، وبه كمل .

ولو كان هذا الصداق يوازي مقدارا ، أو يكافى منصبا ملوكيا ونجارا ، لم يكن لهذا المنصب الرفيع في عروض الدنيا ونقودها ، على اختلاف اقطارها وتباين حدودها ، ما يكافي قدرا (7 — ب) ويوفي مهرا . لكنها سنة الاسلام ، واقتفاء مذاهب الشرع الواضحة الاعلام، وسبيل العقود الشرعية فيما يخصها من الاحكام .

تزوجها بكلمة الله التي علت على جميع الكلم ، وعلى سنة سيدنا ومولانا محمد رسوله المبتعث للعرب والعجم ، الماحي بنور هداه أسداف الظلم ، وبما اخذه

---

1) اقتباسا من قوله تعالى : « وربك يخلق ما يشاء ويختار ، ما كان لهم الخيرة ، سبحان الله وتعالى عما يشركون » سورة القصص آية 68 .

2) اقتباسا من قوله تعالى : « أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير ، أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار ؟ فانهار به في جهنم ، والله لا يهدي القوم الظالمين » .

3) كاليه : المؤخر والمؤجل منه ، من : كلاء الدين يكلؤه كلؤا أي تأخر فهو كالىء بالهمز ، والاندلسيون والمغاربة يسهلون الهمزة .

4) ذكر لسان الدين ابن الخطيب في كتابه الاحاطة ان الدينار يومئذ كان في الاقية منه ستة دنانير وثلثا دينار، وفي الدينار الواحد ثمن أوقية . قد نقش عليه في شق منه « قل اللهم مالك الملك . بيدك الخير » ويستدير به قوله تعالى « الهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم » ، وفي شق منه « الامير عبد الله يوسف أمير المسلمين أبو الحجاج . أيد الله أمره » ويستدير به كذلك شعار هؤلاء الامراء النصريين (ولا غالب الا الله) .

ولقد كان هذا الدينار الذهبي المذكور يوازي خمسة وستين درهما فضيا مما كان سائدا منه يومئذ. ولما كان من العسير تحديد النسبة بين تلك النقود وبين عملاتنا المتداولة الآن ، فانه من الممكن أن نتخذ أساسا لتقديراتنا وزن الوحدة الذهبية للعملة الغرناطية والعلاقة بين هذه ووحدة العملة الفضية ، وعلى هذا يكون وزن الدينار الغرناطي الوافي المعيار اثنين وعشرين قيراطا ، اي جرامين من الذهب على وجه التقريب .

راجع في هذا : الاحاطة ج 1 ص 143تحقيق « عنان » وكذا « وثائق غرناطية » نشر وتحقيق المستشرق الدكتور سيكو دي لوثينا باريدس (مدريد 1380 هجرية / 1961) باشراف معهد الدراسات العربية بمدريد .

5) لم يعين ماهية هذه الملحقات من المهر .

الله عز وجل للزوجات على أزواجهن في كتابه العزيز الذي أوضحه لاولي الالباب قصده ، من الامساك بالمعروف أو ما بعده (1) . فليعاملها بما يجب لمنصبها الكبير ، ومجدها الشهير ، من المكارمة المتكفلة باستخلاص الضمير ، وهي — وصل الله لها اسباب السعد ، وحرس مالها من رفيع الجد — تعامله بما يقتضيه حالها ، وتعرف له الدرجة التي لا ينكرها امثالها .

عقد عليهما هذا الاملاك السعيد وكيل المولى اخيها (2) ، وهو فلان بما بيده مقامه من التفويض العام، الذي من فصوله انكاح من يرجع الى نظره ، ايده الله بنسب او ملك او ولاء ، حسبما يعرفه شهوده . وهي بكر في حجر المقام المولوي ، وتحت ولاية نظره العلي . وبعد تقدم الاستئمار ، واقتضاء الاذن من مقامها الرفيع المقدار ، وتحصيل ما يجب في هذه الحال شرعا على حسب الاختيار .

والله تعالى يجعل هذا العقد المبارك اسعد عقدا جادت البركات الهامية ارجاه ، (8 — 1) واجابت السعادة المعادة مداه ، وتبقى عليهما من عناية هذا المقام الكريم المولوي ما يحمدان اعادته وابتداه ، بفضل الله .

شهد على الرئيس الكذا (القائد ابو الحسن علي بن ابي الحسن علي بن ابي جعفر بن نصر) والوكيل (ابو الحجاج يوسف بن ابي الوليد اسماعيل بن نصر) بما فيه عنهما من اشهاده به ، وهما بحال كمال الاشهاد، في الرابع والعشرين لصفر عام اثنين وخمسين وسبعمائة (سبتمبر 1350) .

القاهرة : حققه د . **محمد كمال شبانة**

---

1) يشير بهذا الى قوله تعالى : واذا طلقتم النساء فبلغهن اجلهن فامسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف ، ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا ، ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه ، ولا تتخذوا آيات الله هزوا، واذكروا نعمة الله عليكم ، وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة ، يعظكم به ، واتقوا الله ، واعلموا ان الله بكل شيء عليم « سورة البقرة آية 231 .

2) لعله « اخوها » على البدل من « وكيل » الفاعل المرفوع هو السلطان ابو الحجاج ، كما هو معلوم .



مقــدمـــــة :

كان من اثر نهضة الشعر فى العصر الموحدي ، ان شاع بالاندلس والمغرب العربي وضع انظام علميـــة مطولة ، وهكذا نظم الطبيب الاندلسي ابن الطفيـل : «ارجوزة» فى الطب العام تشتمل على 7765 بيتا(1)، كما نظم ابن المناصف القرطبي الآتي الذكر : ارجوزته اللغوية الالفية المسماة بـ « المذهبة » فى الحلى والشيات ، وهي فى صفة خلق الانسان ، وذيلها « بارجوزة » الفية اخرى فى الخيل وخلقها(2) ، ثم نظم نفس المؤلف « الدرة السنية ، فى مقتضى المعالم السنية » فى شعر رجزي يزيد على 7.000 بيت (3) .

وهناك منظومات مطولة للكتب والمتون العلميـة صدرت عن بعض ادباء هذه الحقبة ، حيث نظم يحيى بن معط الجزائري الزواوي كتاب « الجمهرة » لابن دريد ، وابتدأ نظم الصحاح للجوهري فحالت وفاتــه دون اتمامه (4) ، وبعده جاء فتح بن موسى بن حمـاد الاندلسي الجزيري ثم القصري الآتي الذكر ، وقد قام بنظم المفصل للزمخشري واشارات ابن سينا (5) .

ثم كان من اثر ازدهار شعر المديح بالخصوص ، ان تميز أواخر العصر الموحدي بشيوع الامداح النبوية، وكان من سبب هذا ـ أيضا ـ الحالة النفسية التي صار اليها الغرب الاسلامي بعد سقوط قواعد الاندلـس

---

1) محفوظة بخزانة القرويين تحت رقم 3158/40 ، واقرأ عن التعريف بها جريدة « المكافح » ، السنة الثانية العدد 72 ـ الجمعة 27 رجب 1381 هـ / 5 يناير 1962 م .

2) من الارجوزتين نسخة جيدة تقع أول مجموع بالمكتبة الملكية بالرباط رقم 25 . وجاء بعد ختامهما : كملت الارجوزتان ، اللتان عدد أبياتهما الفان ، فى صفة خلق الانسان ، ونعوت الحصان ، الفهما ... محمد بن عيسى بن محمد بن أصبغ بن محمد بن محمد بن اصبغ بن عيسى بن اصبغ الازدي المناصفي ، قاضي بلنسية ومرسية وعمليهما ، كان قبل الفهما عام 594 بداخل مدينة تونس ...
وبعد هذا توجد صورة سماع على الناظم من طرف ابي الوليد محمد بن الشيخ ... أحمد بن محمد بن محمد بن سابق سنة 609 .
ويوجد ـ أيضا ـ ما نصه : عدد أبــواب الارجوزة الاولى فى خلق الانسان : احد عشر بابـــا ، وعدد فصولها عشرة ، وباب واحد مشترك مع فصل ، وعدد ابواب الارجوزة الثانية فى الخيل وخلقها: سبعة ، وعدد فصولها ستة .
وقد نشر نص الارجوزة الاولى : « المذهبة » ضمن التقويم الجزائري لسنة 1330 هـ / 1912 ، ص 73 ـ 122 .

3) انظر المنظومة رقم 1 .

4) بغية الوعاة للسيوطي ، وطبعة السعادة ـ ص 416 .

5) المصدر الاخير ص 372 .

واختلال امر الموحدين ، وقد جاء التلويح لهذه الحالة فى الرسالة الحجازية التي بعث بها الامير ابو زكرياء الحفصي الى الحضرة النبوية الكريمة ، حيث ورد فيها:

« وقد اوى كثير من بلاد الاسلام الى ذمة الصليب، ولم يأخذ اهلها من الراي والقناة بصليب (6) » .

وهكذا شاع فى هذه الفترة — بالاندلس والمغرب — ابواب جديدة فى المديح النبوي وما اليه ، وهي التي سنستعرض نماذج منها فيما يلي :

1 — رسائل وقصائد حجازية :

ومن الواضح ان هذه الموضوعات وجدت — فى الغرب الاسلامي — قبل هذه الفترة (7) ، وانما تتميز هذه بوفرة اكثر ، ومن الرسائل والاشعار الحجازية التي انشئت فى هذا الظرف بالذات :

ا — قصيدة ميمية للامير الموحدي ابي علي عمر بن عيسى بن الشيخ ابي حفص (8) .

ب — رسالة للامير ابي زكرياء الحفصي (9) .

ج — رسالة لابي عبد الله ابن الجنان المرسي (10) وهو من المبرزين فى هذا الصدد قال فى نفح الطيب (11): « وكلامه فى النبويات — نظما ونثرا — جليل » .

د — قطعة شعرية لابي عبد الله ابن الابار القضاعي البلنسي (12) .

هـ — قصيدة دالية حافلة لجمال الدين ابي بكر ابن مسدي (13) .

و — رسالة وقصائد حجازيات لابي الحسن الجياني (14) الآتي الذكر عند المنظومة رقم 4 .

ز — موشحات وقصائد فى الشوق الى المقام النبوي الكريم والمديح ، شعر ابي عبد الله محمد بن احمد بن الصباغ الجذامي (15) .

2 — فى النعال النبوية الشريفة :

ا — « نتيجة الحب الصميم، وزكاة المنثور والمنظوم» اسم كراسة تحتوي على نظم ونثر فى مثال النعال النبوية الشريفة ، لابي الربيع سليمان الكلاعي (16) .

ب — قصيدة وقطعة لابن الابار ايضا (17) .

ج — « القطع المخمسة ، فى مدح النعال المقدسة » لمحمد بن الفرج السبتي (18) .

---

6) انظر مرجع نص هذه الرسالة فى التعليق رقم 9 .

7) ممن كتبوا رسائل او قصائد حجازية قبل الفترة المشار لها :
ا — ابن ابي الخصال : له رسالة الى الروضة الشريفة مشفوعة بثلاث مقطعات توسلية — تاريخ الادب الاندلسي : عصر الطوائف والمرابطين للدكتور احسان عباس ، ص 170 .
ب — أبو العباس ابن العريف : له قصيدة فى هذا الصدد نقلها المقري عن كتابه : « مطالع الانوار ومنابع الاسرار » ، انظر « نفح الطيب » — المطبعة الازهرية ، ج 4 ص 474 .
ج — القاضي عياض : له رسالة واردة فى القسم المخطوط من ازهار الرياض » بعد روضة المنثور ، مع قطعة شعرية اثناء كتاب الشفا .
د — ابو بكر يحي بن بقي السلوي الواعظ : له قصيدة ، فى « زاد المسافر » ص 116 — 117 .

8) رحلة النجاني ، ص 363 — 365 .

9) ورد نصها فى « البيان المغرب » مج 3 — خ ٠ ع ، ق 200 ، ص 387 — 390 .

10) نفح الطيب ج 4 ، ص 436 — 437 .

11) ج 4 ص 440 .

12) « ازهار الرياض » ج 3 ص 225 .

13) وردت ضمن مرويات ابي القاسم التجيبي فى برنامجه حسب مصورة العلامة الاستاذ محمد ابراهيم الكتاني عن نسخة الاسكوريال .

14) ورد نص الرسالة والقصائد فى « الذيل والتكملة » ، السفر الخامس ، القسم الاول ، ص 288 — 301.

15) وردت ضمن ديوانه المحفوظ بالمكتبة الملكية بالرباط ، رقم 109 ، فى نسخة عتيقة وفريدة ، وهناك غرر من موشحات هذا الديوان وغيرها فى « ازهار الرياض » ج 2 ص 230 — 252 .

16) « الذيل والتكملة » — بقية السفر الرابع ، ص 86

17) « ازهار الرياض » ج 3 ص 224 — 225

18) اثبتها — مع قصائد ومقاطيع فى هذا الغرض لنفس الشاعر — فى « ازهار الرياض » ج 3 ص 225 — 261 .

3 — مراثي الحسين واهل البيت :

وهذه الظاهرة ابتداها — فى العصر المرابطي — ابن أبي الخصال (19) ، ثم اشتهر بها فى اواسط العصر الموحدي صفوان بن ادريس التجيبي المرسي ، حيث انفرد — على حد تعبير الذيل والتكملة (20) — من تأبين الحسين وبكاء اهل البيت بما ظهرت عليه بركته ، وفى هذه الفترة الموحدية الاخيرة كتب فى هذا الصدد :

ا — ابو عمران موسى بن عيسى بن محمد بن اصبغ الازدي المهدوي القرطبي الاصل المعروف بابن المناصف نزيل مراكش والمتوفى بها عام 627 هـ ، له ارجوزة فى قصة مقتل السبط الحسين ، نظمها باقتراح ابراهيم زكرياء الدرعي الكفيف (21) .

ب — ابن الابار سابق الذكر ، وقد وضع :

« معادن اللجين ، فى مراثي الحسين » ، ويبدو انه بالغ فى اجادته حيث يقول عنه الغبريني (22) : « ولو لم يكن له من التاليف الا الكتاب المسمى بكتاب اللجين فى مراثي الحسين ، لكفاه فى ارتفاع درجته، وعلو منصبه وسمو رتبته .. ، كما كتب نفس المؤلف فى هذا الصدد « درر السمط ، فى خبر السبط » (23) .

4 — معشرات وعشرينيات ووتريات

وهي قصائد تنتظم اتساما على حروف الهجاء : عشرات او عشرين فى كل قسم ، وتسمى معشرات وعشرينيات ، ثم جاء ابن رشيد البغدادي ونظم قصائد على حروف الهجاء ، من واحد وعشرين بيتا فى كل قسم

وتعرف قصائده فى هذا المنزع بـ « الوترية فى مدح خير البرية » (24) .

❋

وشيء آخر تبع ازدهار المديح الموحدي ، بما فى ذلك هذه الابواب المستجدة فى النبويات : حيث ابتدا ظهور مجموعات كبرى فى المدائح النبوية ، وهي تهدف الى تدوين ما يقف عليه جامعها فى الامداح النبوية عامة ، او فى احد فروعها (25) ، وقد انتدب لتدوينها ادباء من الاندلس والمغرب فى هذه الفترة وبعدها ، وكان الاهتمام بها فى الغرب الاسلامي اكثر منه فى الشرق .

كما تبع ذلك — ايضا — وضع انظام مطولة فى السيرة النبوية فى نفس الفترة ، وقد تبارى فيها — فيما بعد — شعراء مشارقة ومغاربة .

ومما شجع هذه الظاهرة — بفرعيها — حدوث الاحتفال بالمولد النبوي فى الغرب الموحدي ، واعتناء أبي حفص المرتضى بشأنه وبالمؤلفات فى هذا الصدد، قال فى « البيان المغرب (26) » آخر ترجمة هذا الخليفة :

« ... وكان يقوم بليلة المولد خير قيام ، يفيض فيه الخير والانعام ، وكان اشار له بذلك ابو القاسم العزفي لانه لما الف كتابه « الدر المنظم . فى مولد النبي المعظم (27) » ،بعث به اليه، واشار بذلك الرأي عليه»

ثم ذكر بعض الكتب التي وضعها — برسم المرتضى — ابو محمد الحسن ابن القطان ، ومنها فى السيرة النبوية :

---

(19) انظر فهرسة ابن خير ص 421 .
(20) بقية السفر الرابع ، ص 140 .
(21) « الذيل والتكملة » ، قطعة الغرباء ، مصورة خ . ع 1705 د — لوحة 67 .
(22) « عنوان الدراية » ص 185 — 186 ، وقد ورد — ايضا — ذكر هذا المجموع فى الذيل والتكملة . وصورة خ . ع ، 2647 د — لوحة 467 ، ولا يزال غير معروف .
(23) غير معروف ، وقد وردت فصول منه فى « نفح الطيب » ج 2 ص 601 — 604 .
(24) انظر « كشف الظنون » ط . الاستانة 1310 هـ — ج 2 ص 627 .
(25) جاء فى « المدايح النبوية فى الادب العربي » للدكتور زكي مبارك ص 17 : « واكثر المدايح النبوية قيل بعد وفاة الرسول ، وما يقال بعد الوفاة يسمى رثاء ، ولكنه فى الرسول يسمى مدحا » .
(26) مج 3 — خ . ع . ق 200 . ص 446 .
(27) «يقع مجلد مخطوط» خ . ع . ك والمكتبة الملكية رقم 816 ، والمكتبة الزيدانية بمكناس .

ـــ « كتاب شفاء الغلل ، فى أخبار الانبياء والرسل» ويظهر انه نفس المخطوط الذي يحمل بالمكتبة الملكية رقم 671 ، وهو مبتور الطرفين (28) .

ـــ « كتاب الاحكام لبيان آياته عليه السلام » ، منه نسختان ورد ذكرهما عند المنظومة رقم 3 .

ـــ « كتاب المسموعات » : فيه قصائد متخيرات فيما يختص بالمولد الكريم ، وشهر رجب وشعبان ورمضان ، وهذا لا يزال غير معروف (29) .

ثم كان ـــ ايضا ـــ مما شجع وضع هذه المنظومات المطولة فى السيرة النبوية ، استحسان أوساط من المثقفين لفكرة نظم المسائل العلمية ، وقد سجل هذا ابن المناصف فى طالعة أرجوزته الدرة السنية الآتية الذكر رقم 1 ، وايضا : فان بعض الموحدين كانوا يتقبلون هذه المنظومات ويستحسنونها ، قال فى الذيل والتكملة (30) فى ترجمة أبي الحسن علي بن محمد بن علي الاشبيلي :

« ورفع للرشيد من بني عبد المومن ارجوزة طويلة على طريقة ابن سيدة فى « ما اسمك يا اخا العرب » ، تتجزا منها ارجوزة ابن سيدة نحو الربع ، وارجوزة ضمنها اسماء خيل العرب والمشاهير من اهل الاسلام » ، يضاف لهذا ما جاء فى طالعة ترجيز كتاب الاحكام الآتي الذكر عند المنظومة رقم 3 ، حيث يسجل مرجزه انه بعد ما شرع فى هذا النظم عاقته بعض الموانع من الاستمرار فيه ولما طولع بذاك المرتضى الموحدي استحسن عمله وشجعه على اتمامه (31) .



وبعد هذا فان من مزايا هذه المنظومات المطولة فى السيرة ، انها تقدم شبه قصائد قصصية ، وملاحم عربية ، بما تتوفر عليه من قصص السيرة المنظوم فى الوف تصل فى بعض الاحيان الى تسعة عشر الف بيت

---

(28) يبتدىء الموجود منه اثناء بحث بذكر النبي عيسى والحواريين ، وعند نهاية هذا الموضوع يذكر الفصول والابواب التالية :

فصل فى فتنة ابليس للناس بسبب عيسى عليه السلام ـــ فصل فى مكر اليهود به ـــ فصل فى تلخيص ما اثبت فى هذا الباب من آياته وآيات أمه عليهما الصلاة والسلام ـــ باب فى ذكر الرسل الثلاثة المعزز بهم اثنان بثالثهم ـــ باب فى قصة اصحاب الكهف ـــ باب فى ذكر النبي شمسون ـــ باب ذكر النبي جرجيس ـــ باب ذكر النبي جيعون ـــ باب ذكر النبي خالد بن سنان ـــ باب فى ذكر قوم انفرد صاحب القصص بأن زعم انهم أنبياء ـــ باب ذكر انبياء مجهولي الاسماء سوى من سلف منهم وعددهم ثلاثة عشر نبيا ـــ انبياء آخرون ـــ باب فى ذكر الفترة ـــ باب فى ذكر النبي الرسول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ـــ فصل فى أسمائه ـــ وبعد هذا ذكر بدون عناوين المواضيع الآتية : نسبه الشريف من جهة أبيه ـــ والدته السيدة آمنة ونسبها ـــ امهاته من الرضاع ـــ جداته ـــ أخواله ـــ وخالاته ـــ اعمامه ـــ عماته ـــ ثم ذكر قصيدة مطولة فى نسبه الكريم ، وهي « معراج المناقب ومنهاج الحسب الثاقب » لابن ابي الخصال، وقبل انتهاء هذه القصيدة تم الموجود من الكتاب .

وقد ذكر فيه ـــ أول فصل اسمائه الشريفة ـــ هذه الفقرة : « اما اسماؤه صلى الله عليه وسلم فقد ذكرنا منها فى « كتاب الاتمام ، لكتاب الاعلام ، فى ما له عليه الصلاة والسلام ، من الايات والاعلام » : مائة اسم وثلاثة اسماء » .

ومن هنا نستفيد أن مؤلف هذا الكتاب هو ابو محمد الحسن ابن القطان ، كما نستفيد من سياق الكتاب انه نفس « شفاء الغلل فى أخبار الانبياء والرسل».

عدد أوراق هذا المخطوط 98 ، مسطرة 17 ، مقياس 180/265 ، خط اندلسي جميل واضح عتيق مكتوب على ورق ضارب للحمرة .

(29) هناك تأليف فى هذا الصدد لابن القطان ايضا ، وقد ورد ذكره فى « فهرسة الخزانة التيمورية » ج 2 ص 340 هكذا :

« البشائر والاعلام ، لبيان آيات النبي عليه افضل الصلاة والسلام » تأليف العلامة أبي علي الحسن علي « كذا » بن عبد الملك الرهوني المعروف بابن القطان المتوفى سنة ..... اوله : الحمد لله الذي خلق كل شيء فأحسن خلقه ... »

(30) السفر الخامس ، القسم الاول ـــ ص 372 .

(31) انظر « الخزانة العلمية بالمغرب » ص 13

او اكثر ، كما هو الواقع بالنسبة للمنظومات الآتية التي تحمل ارقام 5 ، 6 ، 10 ، 15 ، وغيرها .

وبهذه المناسبة انبه الى ان الدكتور فرانزروزنتال فى القسم الاول من كتاب « علم التاريخ عند المسلمين » (32) ، يذكر انه « ضعف تيار التواريخ المنظومة فى القرن الثالث عشر م ، ولم يستعد نشاطه قط » .

ولعل هذه المنظومات الكثيرة فى السيرة التي سيستعرضها هذا البحث تخفف من هذا الحكم بالنسبة لاحد فروع التاريخ وهو السيرة النبوية .

كما انبه — مرة اخرى الى أن مؤرخي الاداب العربية لم يهتموا بمجموعات المديح النبوي ، بل اهمل ذكرها من كتبوا فى هذا الموضوع بالذات مثل الدكتور زكي مبارك فى كتابه « المدائح النبوية فى الاداب العربي » والشيخ يوسف النبهاني فى مدخل « المجموعة النبهانية فى المدائح النبوية » ، وهو اهمال غريب .

❋

والان سنصل الى الموضوع الذي سيقدم 23 منظومة ومجموعة ، ومن الواضح أن هذا العدد ليس الا قلا من كثر ، وبعضا من كل فى هذا الميدان ، وفى خصوص المدائح النبوية يقول النبهاني فى مقدمة « المجموعة النبهانية (33) » :

« اعلم ان مداح النبي صلى الله عليه وسلم فى كل عصر ومصر كثيرون ، لا يحصيهم عد ، ولا يحيط بهم حد ، ولو جمعت مدائح اهل عصر واحد منهم لبلغت عدة مجلدات » .

وسيكون تقديم هذه الموضوعات حسب الترتيب التاريخي لاصحابها ، مع وصف ما وقفت عليه منها ، وبالله — سبحانه — التوفيق .

1 — المعلم الرابع من « الدرة السنية فى مقتضى المعالم السنية »

وهي منظومة رجزية لابي عبد الله محمد بن عيسى ابن محمد بن اصبغ الازدي القرطبي المعروف بابن المناصف نزيل مراكش والمتوفى بها عام 620 هـ / 1223 م .

رتبها على اربعة اقسام سماها معالم : الاول فى التعريفات ، الثاني فى النكت الاصولية والادلة الشرعية ، الثالث فى الفروع الفقهية ، الرابع فى السيرة النبوية والاعلام المحمدية ، ومجموع ابياتها يزيد على سبعة آلاف بيت .

ويهمنا منها المعلم الرابع الذي يتناول السيرة ؛ ويبتدىء من ص 279 ، الى ص 358 ، حسب نسخة مكتبة الجامع الكبير بمكناس التي تحمل رقم 404 ، ومطلعها :

الحمد لله الاه الحمد   اهل الثناء وسناء المجد

وأول معلم السيرة :

الحمد لله منبي الرسل   وموضح الحق بهم والسبل

بالمنظومة 358 ص ، مسطرة 21 ، حجم صغير . خطوط مغربية حسنة مختلفة يتخللها بياض يسير . فرغ من نظمها — بقرطبة — فى مستهل صفر عام 614 هـ .

من هذه الارجوزة نسخة اخرى خ . ع ضمن مجموع يحمل رقم ك 1075 ، من ص 1 الى ص 441 . ورد ذكرها فى « كشف الظنون » ج 1 ص 484 ، وتوجد ترجمة ناظمها ومراجعها فى الاعلام بمن حل بمراكش واغمات من الاعلام ج 3 ص 95 — 97 .

2 — منتهى السول فى مدح الرسول

مدونة امداح نبوية ، جمعها ابو الحكم الحسن بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم ابن عذرة الانصاري الاوسي الاندلسي الخضراوي الذي كان بقيد الحياة عام 644 هـ/ 1246 — 1247 م .

يقع فى 25 مجلدا او اكثر ، وكان اول من ذكره وسمى مؤلفه هو التجاني فى « رحلته » — ص 92 — دون ان يعين المجلد الذي نقل منه ، ثم ورد اسم المجموعة وصاحبها آخر « نفح الطيب » — ج 4 ص 453 — حيث وقف المقري على المجلد الخامس والعشرين ، واخيرا وقف ابو سالم العياشي بمكة المكرمة على السفر التاسع منه وقال عنه فى رحلته ج 2 ص 256 :

32) الترجمة العربية ص 253 .
33) ج 1 ص 15 — 16 .

« رايت بمكة المشرفة ، سفرا فى القالب الكبير فى امداح النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، قال كاتبه فى آخره : « كمل السفر التاسع من كتاب « منتهى السول من مدح الرسول » ، وذلك فى أوائل ربيع الاخر ، عام ثلاثة وسبعين وستمائة ، وكتب محمد بن ابي القاسم ابن احمد بن عبد الرحمن الانصاري » .

قلت : وهذا التاليف لم يقصد فيه جامعه جمع كلامه او كلام مخصوص ، بل ما انتهى اليه عمله من الامداح النبوية وما شاكلها ، والله اعلم كم بقي لتمام الكتاب ... » .

وردت ترجمة المؤلف ومراجعها فى «معجم المؤلفين» ج 3 ص 235 ، وهي خالية من اسم هذا الديوان الذي ورد ذكره فى « ايضاح المكنون - فى الذيل على كشف الظنون » مج 2 ص 573 ، وفى « بغية الوعاة » — ص 223 — ان المؤلف كان على قيد الحياة عام 644 هـ .

3 — نظم الدرر بآي احمد اجل البشر

لابي علي حسن الرهوني الذي كان بقيد الحياة اوائل عام 661 هـ / 1263 م حسب « الخزانة العلمية بالمغرب » ص 13 ، وهي ارجوزة مطولة « تبلغ — تقريبا — 6300 بيت ، نظم فيها « كتاب الاحكام من آي خيرة الانام » لابي محمد حسن بن علي بن محمد الحميري الكتامي ثم الفاسي نزيل مراكش والمعاصر للناظم .

رتبها على سبعة أقسام ، وفرغ من نظمها فى اخريات صفر عام 661 هـ .

منها نسخة فى خزانة القرويين فى مجلد ضخم يحمل رقم 291 ، وهو مكتوب لخزانة المرتضى الموحدي الذي انشىء النظم برسمه ، ورفعه له مؤلفه ليوم المولد النبوي عام 661 هـ .

أما كتاب الاحكام المرجز فى هذه المنظومة فهو محفوظ بنفس الخزانة تحت رقم 292 ، ومنه نسخة اخرى فى دار الكتب المصرية تحمل رقم 316 ، وقد ورد ذكرها فى فهرسة الدار — ج 1 ص 84 — هكذا :

« الاحكام ، لسياق ما لسيدنا محمد عليه السلام ، من الايات البينات ، والمعجزات الباهرات ، والاعلام » تأليف الحافظ ابي علي الحسن بن علي بن عبد الملك الرهوني المعروف بابن القطان » .

وان وصف الحسن ابن القطان بالرهوني فى فهرسة دار الكتب ، يرجح أن الحسن الرهوني المنسوبة له الارجوزة هو ابن القطان نفس مؤلف كتاب الاحكام ، ويبين ان مؤلف الاصل ومرجزه شخص واحد ، وقد يؤيد هذا ان طالعة النظم لا تهتم بتسمية كتاب الاحكام المنظوم ، حيث ان المؤلف والناظم واحد ، ولو كان غير الناظم لكان حريا بأن يذكره الى جانب اسم الكتاب ، وانظر التعليق الوارد فى المقدمة رقم 29 .
وورد ذكر نظم الدرر فى « الخزانة العلمية بالمغرب» ص 13 — 14 ، وبقي ذكره على كشف الظنون وذيله .

4 — ترجيز كتاب الاحكام لابن القطان (مرة ثانية)

لابي الحسن علي بن محمد بن حسن الانصاري الاشبيلي الجياني الاصل نزيل مراكش المعروف بابي الحسن الجياني والمتوفى بتامطريت من نظر مراكش ثالث عيد الاضحى عام 663 هـ / 1265 م .
قال فى ترجمته من « الذيل والتكملة » : « ورجز الاحكام فى معجزات النبي عليه الصلاة والسلام ، تاليف شيخنا ابي محمد حسن ابن القطان ترجيزا حسنا مستوعب الاغراض » ، السفر الخامس ، القسم الاول ص 288 — تحقيق الدكتور احسان عباس .

لا ذكر له فى كشف الظنون وذيله .

5 — السول فى نظم سيرة الرسول

لنجم الدين ابي البركات فتح بن موسى بن حماد الاندلسي الخضراوي ثم القصري « نسبة الى مدينة القصر بالمغرب الاقصى » المتوفى عام 663 هـ / 1264م

نظم فيه السيرة لابن هشام فى قصيدة ميمية من بحر الطويل ، وخلل فصولها بشروح منثورة يوضح فيها النظم ، ثم ياتي بنص السيرة المنظوم فيذكر منه بدايته ونهايته ، وبعد هذا يعقب بالزيادات والافادات .
يقع فى خمس مجلدات ، يوجد منها المجلد الاخير — الذي هو الخامس — فى المكتبة الملكية بالرباط رقم 1668 ، واوله — بعد مدخل وجيز — الباب الخامس والثلاثون فى مسير خالد بن الوليد الى جذيمة بن كنانة وما جرى له معهم ، وارساله الى هدم العزى ، وينتهي عند نهاية الباب الاخير من الكتاب الذي عنوانه : الباب السادس والاربعون فى ابتداء شكوى النبي صلى الله عليه وسلم ، وبهذا تكون هذه المنظومة تشتمل على 46 بابا ، وفى كل باب فصول .

بهذا المجلد 280 ورقة ، مسطرة 16 ، مقياس 210/270 ، خط شرقي مليح واضح « به تلاش » ، قال ناسخه فى آخره :

« نقلت هذه النسخة من الام بخط المصنف ... وقد استخرت الله تعالى فى اختصاره اختصارا عجيبا ، وترتيبه ترتيبا غريبا ، ثم قال :

« هذا آخر الكتاب المعروف بـ « السول » فى نظم سيرة الرسول » ... فرغ من نسخها العبد ... هاشم ابن حمدان بن هاشم القرشي العثماني ، بمدينة سيوط، فى الساعة التاسعة من يوم الاربعاء ، الخامس والعشرين من ذي الحجة ، تمام شهور سنة ثلاث وستين وستمائة ، برسم الخزانة السعيدة ، المعمورة ، السيفية ، الشريفية ، الحسينية ، الزينبية » .

ورد ذكره فى « الاعلان » للسخاوي ، المنشور ضمن مجموعة « علم التاريخ عند المسلمين » ، ص 531 مع « كشف الظنون » ج 2 ص 39 .

وتوجد ترجمة الناظم فى « معجم المؤلفين » ج 8 ص 50 ، وفيه ذكر مراجع الترجمة واغفل ذكر « الذيل والتكملة » حيث يذكر ابو القاسم التجيبي فى تعليقه على على هذه الترجمة ان هذا الناظم مغربي من مدينة القصر انظر السفر الخامس ، القسم الثاني — ص 533 .

6 — الوصول الى السول ، فى نظم سيرة الرسول — « سيرة ابن هشام »

لم يعلم جامعه ، قال فى أوله : « اني وقفت على السيرة النبويه التي نظمها الامام الفاضل ، نجم الدين ، فتح بن موسى المغربي الشافعي الاندلسي ، المولود سنة 588 هـ ، المتوفى فى سنة 663هـ ، وضمنها أحاديث نبوية ، واستشهادات لفظية ، فرايت فى ذلك تطويلا ، فحذفت منثوره واحاديثه ، وذكرت منظومه خاصة » .

اوله : الحمد لله الذي هدانا لهذا ... — الموجود منه الجزء الاول ؛ ينتهي ما فيه الى اول صرف القبلة وما جرى من اليهود فى ذلك ، وعدد ابياته 8183 بيتا ، مخطوطة بقلم معتاد ، تم كتابة فى العشر الاواخر من شهر جمادى الآخرة سنة 716 هـ ، رقم 380 .

هذا ما جاء فى التعريف به فى « فهرسة الكتب العربية الموجودة فى دار الكتب المصرية » ج 5 ص 406 واصله فى « فهرسة الكتبخانة المصرية » ج 5 ص 174 ، ومنه يتضح أن هذه المنظومة مختصرة من الكتاب قبلها

وفى ترجمة الخضراوي مؤلف السول من اعلام الزركلي ومعجم المؤلفين نسبت منظومة الوصول اليه نفسه ، وهو سهو التبس فيه الاصل بالمختصر .

واورد بروكلمان المنظومتين — معا — على الصواب ، دون ان يذكر وجود منظومة السول ، حيث كان مجلد المكتبة الملكية لا يزال لم يعرف ، انظر « تاريخ الادب العربي » — الترجمة العربية ، ج 3 ص 14 .

7 — كتاب اللآلي المجموعة من باهر النظام وبارع الكلام فى صفة مثال نعل رسول الله عليه الصلاة والسلام

جامعه ابو محمد عبد الله بن محمد بن هارون الطائي القرطبي نزيل تونس والمتوفى بها عام 702 هـ / 1303 م .

وقف عليه ابو سالم ضمن سفر منتهى السول السابق الذكر ، وقال عنه فى رحلته ج 2 ص 256 :

« ومن جملة ما فى هذا السفر — وهو نحو النصف — « كتاب اللآلي المجموعة من باهر النظام وبارع الكلام فى صفة مثال نعل رسول الله عليه الصلاة والسلام » ، مما انتدب لجمعه رجاء نفعه : عبد الله بن محمد بن هارون الطائي القرطبي ، وسبب جمعه — على ما قال — انه سئل منه نظم ابيات تكتب على النعل المشرفة ، فكتب فى ذلك قطعة ، وندب ادباء قطره الاندلسي لذلك فاجابوا ، وكتب من ذلك ما وصل اليه ، وجملة ما فيه من المقطعات ما ينيف على مائة وثلاثين بين صغيرة وكبيرة .

قلت : ولم يطلع على هذا التاليف شيخ مشايخنا الحافظ سيدي أبو العباس المقري — مع سعة حفظه ، وكثرة اطلاعه ، ومبالغته فى التنقير والتفتيش عما قيل فى النعل » .

لا ذكر لهذه المجموعة فى كشف الظنون وذيله . ولا فى ترجمة صاحبها التي توزعت بين المراجع التالية :

— رحلة العبدري .

— سبك المقال لعبد الواحد ابن الطواح نسخة المكتبة الملكية رقم 105 .

— ملء العيبة لابن رشيد ، وصورة معهد مولاي الحسن بتطوان — الجزء الثاني .

— برنامج الوادي آشي نسخة ماخوذة عن مخطوط الاسكوريال .

— الديباج المذهب لابن فرحون . ط . القاهرة عام 1351 هـ — ص 143 — 144 .

8 — نظم الدرر ، في مدح سيد البشر ، والورد المعين ، في مولد سيد الخلق اجمعين

لابي عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن محمد بن ابي بكر بن يوسف « ابن العطار » الجزائري: « جزائر افريقية الشمالية » الذي كان على قيد الحياة اواخر عام 707 هـ / 1307 م .

وليس هذا — حسب نفح الطيب — بابن العطار المشرقي الذي كان معاصرا لابن حجة الحموي ، فان ذلك متاخر عن هذا ، وهذا مغربي وذاك مشرقي .

وان المقري هو الوحيد الذي حدثنا عن هذا الديوان آخر نفح الطيب — ج 4 ص 464 — 474 — حيث اقتبس منه قصائد نبوية ، ووصفه بانه كتاب نفيس ، جمع فيه صاحبه بين حسن النظام والنثر ، وهكذا نستفيد ان هذا الديوان ليس كله شعرا .

وقد اثبت المقري كلمة الديوان الختامية التي جاء فيها :

« قال محمد بن عبد الله بن محمد بن محمد بن ابي بكر بن يوسف ابن العطار ، نفعه الله تعالى بالعلم: كان الفراغ من اكمال هذا الفصل واتمامه ، حسب نثره ونظامه ، ضحوة يوم الجمعة الثاني من شعبان المكرم، سنة ست وتسعين وستمائة ، ما عدا اربع قصائد اشتمل عليها فانها تقدمت على انشائه اودعتها فيه ، والله — سبحانه — المستعان ، وذلك بمدينة الجزائر : جزائر بني فرغنة ، من اقصى افريقية من ارض متيجة ، صانها الله تعالى » . ومما يدل لقيمة هذا الديوان ، ومؤلفه السماعان المكتوبان على اول النسخة التي وقف عليها المقري ، وهو يقدمها ، ويقول :

ووجدت على ظهر اول ورقة من بعد تسميته السابقة ما صورته :

« مما انشا الشيخ ، الفقيه ، القاضي ، العدل ، الاديب ، البارع ، ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن ابي بكر بن يوسف العطار ، رواية العبد الفقير الى الله تعالى : محمد بن احمد بن الامين الاقشهري ، قرات هذا الكتاب وقصائده على حروف المعجم وقصيدتين غيرها : على ناظمها القاضي المذكور ، قراءة ضبط وتصحيح ، ورواية مقابلة باصله ، بموضع الحكم في مدينة الجزائر من اقصى افريقية حرسـت ، في دول متفرقة ، وآخرها يوم الثلاثاء ، لليلة بقيت من ذي القعدة اواخر عام سبع وسبعمائة » .

قال المقري : ورايت اثر ما تقدم بخط الاقشهري ما صورته : « سمع من لفظي جميع « نظم الدرر » في نسب سيد البشر » لجامعه القاضي المذكور اعلاه : القاضي شمس الدين محمد بن المرحوم عبد المنعم الشيبي ، وولده ابو محمد عبد الدائم ، وابن اخيه ابو محمد عبد الباقي بن تاج الدين بن حفص بن أبي بكر البوري ، « كذا » وغيرهم ، نحو سماعي قراءة مني على مؤلفه ابي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن محمد بن ابي بكر العطار ، سنة سبع وسبعمائة ، قاله راسمه الاقشهري » .

هذا نص تلك الوجادة التي تقدم — ايضا — بعض معلومات عن المؤلف وديوانه نظم الدرر ، فتذكر ان الديوان من انشاء ابن العطار الذي رتب اغلب قصائده على حروف المعجم وتحدد موطنه ووظيفته وتاريخ السماع الذي كان اواخر عام 707 هـ .

ورد ذكر « نظم الدرر » في « ايضاح المكنون » مج 2 ص 658 ، وتوجد ترجمة جامعة ابن العطار في « معجم المؤلفين » ج 10 ص 237 — 238 ، دون ان يذكر في مراجعه « نفح الطيب » .

اما الاقشهري فتوجد ترجمته في نفس « معجم المؤلفين » ج 8 ص 235 .

9 — مجموعة قصائد نبوية

دونها امير علي بن امير حاجب والي مصر ، واحد امراء العشرات ، المتوفى عام 749 هـ / 1348 — 1349 م .

ذكر عنه المقريزي : انه عني بجمع القصائد النبوية ، حتى كمل عنده منها خمسة وسبعون مجلدا .

« السلوك لمعرفة دول الملوك ، الجزء الثاني من القسم الثاني ، ص 470 » .

10 — الفتح القريب في سيرة الحبيب

لفتح الدين محمد بن ابراهيم بن محمد النابلسي الاصل ، ثم الدمشقي الشافعي ، المعروف بابن شهيد والمتوفى عام 793 هـ / 1391 م .

نظم فيه السيرة لابن سيد الناس فى بضعة عشر الف بيت مع زيادات .

منها مجلد فى خزانة الشيخ حسن حسني عبد الوهاب بتونس ، ويوجد الجزءان الاول والاخر فى دار الكتب الظاهرية بدمشق ، اما الثاني منها فهو فى الخزانة العامة بالرباط ، رقم ق 44 ، واوله :

ذكر ما كان بعد غزوة بدر فى بقية العام الثاني من الهجرة النبوية ، على صاحبها افضل الصلاة والسلام : فمن ذلك سرية عمير بن عدي الانصاري لقتل عصماء بنت مروان ، وسرية سالم بن عمير لقتل ابي عفك اليهودي .

ذكر أمور بعد مرجع الرسول
من بدر فى ذا العام ثاني فى فصول .

وفى آخر هذا المجلد : كمل الجزء الثاني من « الفتح القريب فى سيرة الحبيب » ... يتلوه - بعد البسملة الشريفة - كتابه صلى الله عليه وسلم إلى المقوقس .

555 ص ، مسطرة 17 ، مقياس 190/280 .

خط شرقي مستحسن خال من تاريخ النسخ واسم الناسخ .

ورد ذكره فى الاعلان للسخاوي المنشور ضمن مجموعة « علم التاريخ عند المسلمين » ص 531 ، وفى « كشف الظنون ج 2 ص 39 ، 173 ، وتوجد ترجمة المؤلف ومراجعها فى الاعلام » للزركلي ج 6 ص 190 ، مع ج 10 ص 183 .

11 - نوادر النظام . فى شرف سيد الانام

لابي عبد الله محمد بن القاسم ابن داود السلوي الذي كان بقيد الحياة اواخر عام 812 هـ / 1410 م .

وهو مجموعة امداح نبوية نظمها على اعاريض مختلفة ، ووزعها على مائة قصيدة وقصيدة ، سمى كل واحدة منها نادرة ، تقارب أبياتها ثلاثة آلاف .

أولها : الحمد لله الذي بدا سر الرسالة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وجعله لكنهها ختام ، الى ان يقول :

وبعد : فاني لما تملكني فى الجناب النبوي شامخ الغرام ، وتعبدني الشغف فى محاسنه المفردة واسترقني الهيام ، استسقيت من سحائب منته الشامخ بواسطة امداحه الشريفة صيب الغمام ، واستوعبت من طرف المقال فى ثنائه الفاخر اعذب الكلام ، وسميت ذلك بـ « نوادر النظام ، فى شرف سيد الانام » ، ويشتمل على مائة نادرة ونادرة ، كلها فى مدح النبي صلى الله عليه وسلم متظافرة ، ورفعته للذي ابرا بلمسه السقام ، وابرد من حياضه الاوام ، اذ منه - سبحانه - اسال عونا بانجاده التزام ، لا رب غيره ولا خير الا خيره المستدام . ومطلع النادرة الاولى :

نور الوجود وسر معنى الجود
لاحا لاجل محمد المحمود

منه نسخة فريدة فى الخزانة العامة بالرباط رقم ك 360 بها 185 ص ، مسطرة 17 مقياس 210/270 .

خط مغربي يميل للاندلسي حسن واضح سريع ملون خال من اسم الناسخ .

وجاء فى آخر هذه النسخة : « انتهت النوادر فى ذكر مفاخر النبي الطاهر ، والحمد لله اولا وآخر . وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد العاقب الحاشر . وعلى آله وصحبه وسلم تسليما . وذلك فى اواسط شوال عام اثنى عشر وثماني مائة ، عرفنا الله تعالى خيره » .

لا ذكر له فى كشف الظنون وذيله . ولا تعرف ترجمة لناظمه ، وانما توجد له آثار اخرى مخطوطة وهي :

1 - « المقاصد المرشدة والمآخذ المسعدة » فى صيغ صلوات نبوية ، منها نسختان بالمكتبة الملكية بالرباط رقم 2955 و 3016 .

2 - حرز الانعام « نظم » خ . ع د 2792 .

3 - طائفة من اشعاره ضمن مجموعة امداح نبوية - المكتبة الملكية رقم 1586 .

4 - « ملابس الانوار . ومظاهر الاسرار » فى التصوف - يوجد الجزء الثاني منه فى خزانة القرويين رقم 700 .

والظاهر ان هذا ولد القاسم ابن داود ، وهذا الذي يذكره ابن الخطيب فى الريحانة والنفاضة ويحيله

بالحكيم ، وفي فهرسة السراج ورد ذكره اثناء ترجمة الرعيني هكذا :

ابو القاسم القاسم بن احمد بن القاسم بن محمد ابن داود ، كما عقد له ترجمة صغيرة ، ثم وردت وفاته مؤرخة بعام 800 هـ عند ابن القاضي في لقط الفرائد ودرة الحجال رقم 1326 .

12 — نظم عيون الاثر ، في فنون المغازي والشمائل والسير « لابن سيد الناس »

نظمها شمس الدين محمد بن زين بن محمد الطنتراني الاصل ، النحراوي ، الشافعي ، المعروف بابن الزين ، والمتوفى عام 845 هـ / 1341 م .

نسبة له في « كشف الظنون » ج 2 ص 142 ،

وتوجد ترجمة الناظم ومراجعها في « معجم المؤلفين » ج 10 ص 14 ، دون ان يذكر له هذا النظم .

13 — منحة واهب الهبات البهية والصلات الفاخرة في مدحة صاحب الايات السنية والمعجزات الباهرة .

نسبها في « ايضاح المكنون » للشهاب الحجازي : ابي الطيب أحمد بن محمد بن علي الانصاري الخزرجي المصري المتوفى عام 875 هـ / 1471 م .

وهي قصيدة همزية مطولة من بحر الكامل ، في المديح النبوي والسيرة .

يقع في النسخة المعنية بالامر بتر في الاخر ، مع بتر يسير في أولها الذي يبتدىء بمقدمة « ص 1 — 13 » وفيها يذكر الناظم انه سبق له أن قام بتسبيع « الكواكب الدرية » للبوصيري ، ثم احب أن يشفعه بوضع همزية في المديح النبوي ، فنظم هذه القصيدة ، وهي تبتدىء من ص 14 حتى ص 492 ، وتشتمل على اكثر من 5000 بيت ، حسب الموجود من النسخة الاتية الذكر ، ومطلع الهمزية :

شق الصباح غلالة الظلماء
وانحل عقد كواكب الجوزاء

توجد نسخة الهمزية المشار لها في خ . ع ك 2173 في 492 ص ، مسطرة 11 ، مقياس 145/205 ، خط شرقي حسن واضح ملون .

ذكرها في « ايضاح المكنون » — على انها موجودة في الزيتونة — ج 2 ص 579 مع ج 1 ص 511 ، وتوجد ترجمة صاحبها في « الاعلام » للزركلي ج 1 ص 219 — 220 .

14 — درر الفائض في بحر المعجزات والخصائص

وهي قصيدة رائية تتضمن نظم كتاب «الخصائص» للسيوطي — نظم الاديبة الصالحة أم عبد الوهاب عائشة بنت يوسف بن أحمد بن ناصر الباعونية الدمشقية الشافعية المتوفاة عام 992 هـ / 1516 م .

ورد ذكر هذه المنظومة في « فهرسة الكتب العربية الموجودة في دار الكتب المصرية » ج 1 ص 115 — رقم 558 .

والغالب أن المنظوم هو الخصائص الكبرى للسيوطي ، حيث ان هذه هي التي تحمل هذا الاسم خاصة ، اما مختصرها لنفس المؤلف فاسمه : « انموذج اللبيب ، في خصائص الحبيب » .

لا ذكر لهذه المنظومة في كشف الظنون وذيله ، وتوجد ترجمة الناظمة في « معجم المؤلفين » ج 5 ص 57

15 — المقالات السنية في مدح خير البرية

نظم الامير عثمان بك بن الامير علي بك الفقاري ، امير اللواء الشريف والحاج الشريف ، الذي كان بقيد الحياة عام 1029 هـ / 1619 — 1620 م .

قصيدة ميمية مطولة على بحر البسيط ، تبلغ تسعة عشر الف بيت حسب تعداد الناظم آخر القصيدة التي رتبها على اثنين وسبعين مقالة .

وبدون مقدمة تبتدىء القصيدة بالمقالة الاولى التي مطلعها :

أبارق لاح في الظلماء كالعلم
أم نار حي بدت ليلا على علم

منها نسخة تامة بالخزانة العامة بالرباط ، ملفقة من مجلدين : الاول يحمل رقم ك 1367 ، وهو مصدر بفهرس للمقالات 72 ، وبعده ياتي النظم الى أن ينتهي هذا المجلد آخر المقالة 36 .

به 580 ص ، مسطرة 19 ، مقياس 190/280 ، خط شرقي جميل ملون ومجدول بالحمرة ، وخال من تاريخ النسخ واسم الناسخ .

يقع في هذا المجلد ـ اسفل ص 234 ، 235 تقطيع في موضع الكتابة ، وفي آخر المقالة 21 يوجد بياض قد يكون ترك لترسم فيه النعال النبوية التي تناولها هذه المقالة .

المجلد الثاني يحمل رقم ق 730 ، ويبتدىء حيث وقف المجلد الاول : من أول المقالة 37 ، حتى آخر المقالة 72 ، حيث تنتهي القصيدة عند ص 442 ، ثم تذيل بقصيدتين على روي المقالات ووزنها ، مع التصريح آخر القصيدة الاولى باسم صاحبها ، وهو نفس ناظم المقالات السنية .

مسطرة 19 ، مقياس 205/290 ، خط شرقي مليح ملون بالحمرة ، خال من تاريخ النسخ وذكر الناسخ ومغاير لخط المجلد الاول .

في آخر القصيدة ادرج الناظم عدد ابياتها: 19000 ثم رمز لتاريخ البداية فيها : عام 1023 هـ ، وتاريخ الفراغ منها : عام 1029 هـ .

ورد ذكرها في « كشف الظنون » ج 2 ص 493 ، ويذكر علامة مغربي كبير: انه رأى في مكتبة باريز المجلد الاول منها ، وهو ينتهي الى المقالة 37 .

لم اقف على ترجمة الناظم في المراجع التي امكنني الوصول لها .

وبعد : فهذه عناوين المقالات 72 كما وردت في القصيدة ، مع تصرف يسير :

المقالة الاولى : في الغزل .

المقالة الثانية : في حسن المخلص لمدحه عليه الصلاة والسلام .

المقالة الثالثة : في ذكر عنصره الشريف وتنقله في الاصلاب الطاهرة من آبائه ، واسمائهم الفاخرة .

المقالة الرابعة : في ذكر حمله المنيف ، ومولده الشريف ، وما راته آمنة الكريمة ، من الايات الكريمة .

المقالة الخامسة : في ذكر رضاعه في بني سعد ، وما نالهم به من الخير والسعد ، وما حازت ظئره حليمة من المجد ، وعوده لامه ، ومنشاه في كفالة عمه ، وبعض ما شوهد له من الاي الخوارق الى بلوغه الاربعين ، وبعثه لكافة الخلائق .

المقالة السادسة : في بدء الوحي والسابقين الى الاسلام ، ومن كان اشد ايذاء له عليه الصلاة والسلام، واصحاب الهجرتين الى النجاشي الكرام، وأمر الصحيفة وحصر بني هاشم بالشعب ثلاث سنين، ووفاة ابي طالب وخديجة أم المومنين ، واصحاب البيعات بالعقبة ومهاجري قبة الاسلام ، وبعض فضائل بلد الله الحرام والبيت الشريف وزمزم والمقام ، وما كابده من عشيرته ، من حين بعثه الله لوقت هجرته .

المقالة السابعة : في ذكر هجرته للمدينة المنورة ، وذكر بعض فضائلها المشتهرة .

المقالة الثامنة : في الامور الكائنة في السنة الاولى من هجرته صلى الله عليه وسلم للمدينة الحصينة .

المقالة التاسعة : في الامور الكائنة في السنة الثانية من هجرته صلى الله عليه وسلم .

المقالة العاشرة : في الامور الكائنة في السنة الثالثة من هجرته صلى الله عليه وسلم .

المقالة الحادية عشر : في الامور الكائنة في السنة الرابعة من هجرته صلى الله عليه وسلم .

المقالة الثانية عشر : في الامور الكائنة في السنة الخامسة من هجرته صلى الله عليه وسلم .

المقالة الثالثة عشر : في الامور الكائنة في السنة السادسة من هجرته صلى الله عليه وسلم .

المقالة الرابعة عشر : في الامور الكائنة في السنة السابعة من هجرته صلى الله عليه وسلم .

المقالة الخامسة عشر : في الامور الكائنة في السنة الثامنة من هجرته صلى الله عليه وسلم .

المقالة السادسة عشر : في الامور الكائنة في السنة التاسعة من هجرته صلى الله عليه وسلم .

المقالة السابعة عشر : في الامور الكائنة في السنة العاشرة من هجرته صلى الله عليه وسلم .

المقالة الثامنة عشر : في الامور الكائنة في السنة الحادية عشر من هجرته صلى الله عليه وسلم .

المقالة التاسعة عشر : في ذكر بعض صفة جسده الشريف ، واسماء من كانت صفات جسومهم تقترب من صفة جسمه اللطيف .

المقالة العشرون : فى ذكر لباس خير البرية ، وبيـــان ملبوساته البهية .

المقالة الحادية والعشرون : فى صفة خفاف طه السنية ، ونعاله السبتية .

المقالة الثانية والعشرون : فى صفة خاتم خاتـم الرسل الكرام ، عليه وعليهم الصلاة والسلام .

المقالة الثالثة والعشرون : فى تطيب الطيب بالطيب ، وذكر طيبه صلى الله عليه وسلم ما صلى عليه ذاكر ، وذكر طيبة دار حبيبه .

المقالة الرابعة والعشرون : فى زينته صلى الله عليه وسلم : من خضابه . وتسريح لحيته وراسه المكرم وادهانه . واكحاله . وخصال الفطرة سنة الخليـل . وفرقة شعره . وعدد حلاقة راسه الجليل . ودخولـــه الحمام والتنور . وستر العورة . ومن صنع له من القدم النورة .

المقالة الخامسة والعشرون : فى ذكر آلات أبياته السنية . وبعض صفاته المعنوية ، واخلاقه المحمدية ، وشيمه الاحمدية ، وشيمه المصطفوية ، وصبره علـى الجوع وجهده ، وزهده فى الدنيا وصده .

المقالة السادسة والعشرون : فى ذكر اكلـــه ومأكولاته ، عليه سلام الله وصلاته .

المقالة السابعة والعشرون : فى ذكر شرب حبيب الله ومشروباته ، عليه أزكى سلامه وصلواته .

المقالة الثامنة والعشرون : فى نومه وانتباهــه وبعض اذكاره ، وقبابه ، ورايات الوية اعلام اسفاره ، ومنائحه ، ونجائبه ، ولقاحه ، واعتامه ، وركائبه ، وبغاله ، ومراكبه ، ومن حمله بين يديه وخلفه من رحمه ولطفه ، وسلاحه ، وآلات حروبه ، وعصاه ، ومحجنه، وقضيبه ، وديكه المعد لايقاظه عند اوقات الصـــلاة بشواظه .

المقالة التاسعة والعشرون : فى مدح بعض اوصافه الصفية ، وشمائله العلية ، وشيمه الشمية ، وسيمه السمية ، وعطاياه السنية ، وعهوده الوفية ، ومحاسنه البهية ، وشجاعته ...

المقالة الثلاثون : فى ذكر موازاته ما أوتيه الانبياء الكرام ، وما اختص به عنهم من الخصائص والشيم ، وما اختصت به آمنة ، عمن مضى من الامم .

المقالة الحادية والثلاثون : فى ذكر فضل امته على سائر الامم ، وما نالوه من الفضل والكرم ، والخيـر والنعم .

المقالة الثانية والثلاثون : فى ذكر اسمائه الشريفة وكناه المنيفة ، مرتبة على حروف المعجم .

المقالة الثالثة والثلاثون : فى ذكر اولاده الطاهرين، واعمامه الكماة ، وعماته الجود ، وازواجه الطاهرات .

المقالة الرابعة والثلاثون : فى ذكر بعض فضائل القرآن الكريم ، والمعجز الاكبر العظيم .

المقالة الخامسة والثلاثون : فى ذكر بعـــــض معجزاته البينات ، وآياته الظاهرات الباهرات .

المقالة السادسة والثلاثون : فى ذكر فضل الصلاة عليه ، وما لمهدي الصلاة والسلام اليه من الاجر العظيم صلى الله وسلم عليه .

المقالة السابعة والثلاثون : فى ذكر معراجـــه الشريف ، والاسراء بجسده اللطيف .

المقالة الثامنة والثلاثون : فى ذكر المشاهير مـــن غزواته ، وقمعه بالسيف لمداته .

المقالة التاسعة والثلاثون : فى ذكر تعداد ما له من الغزوات ، والبعوث والسرايا والفتوحات .

المقالة الاربعون : فى ذكر كتابه الانجـــــاب ، المغترفين من فيض بحر عرفانه أفضل الخطاب ، وقضاته اولي الالباب ، والمفتين من الاصحاب ، وحفاظ الكتاب المجيد ، فى حياة المجيد المجيد .

المقالة الحادية والاربعون : فى ذكر رسله للملوك والقبائل والاقيال ، يدعوهم للهدى ويهديهم من الضلال .

المقالة الثانية والاربعون : فى ذكر خدامه الكرام ، من حقت لهم السيادة بخدمته على سائر الانام .

المقالة الثالثة والاربعون : فى ذكر مواليــه ذوي الاحترام ، الفائزين بخدمته عليه الصلاة والسلام .

المقالة الرابعة والاربعون : فى ذكـــر سيافـــه والضاربين بين يديه الاعناق، ومؤذنيه وشعرائه المعدين لمناضلة اهل النفـــاق .

المقالة الخامسة والاربعون : فى ذكر امرائه على البلاد ، السائرين بالعدل فى العباد .

المقالة السادسة والاربعون : فى ذكر حراسته بالاسفار ، من كيد اللئام الفجار .

المقالة السابعة والاربعون : فى ذكر الوفود عليه قبل هجرته ، السابقين لدعوته .

المقالة الثامنة والاربعون : فى ذكر الوفود عليه بعد هجرته للمدينة المنورة ، ودخولهم فى ملته المطهرة ، وقدوم ملوك العرب والعجم وسائر الناس من السهل والعلم ، ، مرتبة على حروف المعجم .

المقالة التاسعة والاربعون : فى ذكر ما من اللهعلى أهل الاسلام ، من تمهيده الارض وتدميره الشرك والاصنام ، حتى اقام بعزمه عزائم الله فى البرية ، وبين سنن ما سن من سنته السنية ، فأضحت الارض طاهرة والملة الحنيفية ظاهرة ، وأركانها مشددة ، ودعائمها مشددة .

المقالة الخمسون : فى ذكر ارتحاله من دار الفناء والبلا ، لدار البقاء والمقام الاعلا.

المقالة الحادية والخمسون : فى ما لزائر القبر الكريم ، من الاجر العظيم .

المقالة الثانية والخمسون : فى ذكر ما خص به فى الاخرى ، من الشفاعة الكبرى ، والخصائص العظمى ، والمقام الاسمى .

المقالة الثالثة والخمسون : فى الاستغاثة به ...

المقالة الرابعة والخمسون : فى ذكر بعض فضل سيدنا أبي بكر الصديق ، رضي الله تعالى عنه .

المقالة الخامسة والخمسون : فى ذكر بعضفضائل سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه .

المقالة السادسة والخمسون : فى ذكر بعض فضائل سيدنا عثمان ، رضي الله تعالى عنه .

المقالة السابعة والخمسون : فى ذكر بعض فضائل سيدنا علي ، كرم الله وجهه .

المقالة الثامنة والخمسون : فى ذكر بعض فضائل سيدنا طلحة ، رضي الله تعالى عنه .

المقالة التاسعة والخمسون : فى ذكر بعض فضائل سيدنا الزبير ، رضي الله تبارك وتعالى عنه .

المقالة الستون : فى ذكر بعض فضائل سيدنا سعد رضي الله تعالى عنه .

المقالة الحادية والستون : فى ذكر بعض فضائل سيدنا سعيد ، رضي الله تبارك وتعالى عنه .

المقالة الثانية والستون : فى ذكر بعض فضائل سيدنا عبد الرحمن بن عوف ، رضي الله تعالى عنه .

المقالة الثالثة والستون : فى ذكر بعض فضائل سيدنا أبي عبيدة عامر بن الجراح ، رضي الله تعالى عنه .

المقالة الرابعة والستون : فى ذكر بعض فضائل سيدنا الحسن وسيدنا الحسين ، رضي الله عنهما .

المقالة الخامسة والستون : فى ذكر بعض فضائل سيدنا الحسن ، رضي الله تعالى عنه .

المقالة السادسة والستون : فى ذكر بعض فضائل سيدنا الحسين ، رضي الله تعالى عنه .

المقالة السابعة والستون : فى ذكر بعض فضائل سيدتنا فاطمة الزهراء البتول ، رضي الله تعالى عنها .

المقالة الثامنة والستون : فى ذكر بعض فضائل اهل بيت المصطفى ، وقرابة المجتبى ، أهل الولاية والاصطفا.

المقالة التاسعة والستون : فى ذكر بعض فضائل سيدنا حمزة ، عم النبي صلى الله عليه وسلم ، ورضي الله تبارك وتعالى عنه .

المقالة السبعون : فى ذكر بعض فضائل سيدنا العباس ، عم النبي رسول الله ، صلى الله عليه وسلم، ورضي الله تعالى عن سيدنا العباس رضي الله تعالى عنه .

المقالة الحادية والسبعون : فى مدح بعض فضائل طائفة من أهل البيت والمهاجرين والانصار من الخزرج والاوس ، رضي الله تعالى عنهم اجمعين .

المقالة الثانية والسبعون : فى مدح بعض أوصاف الصحابة ، رضي الله تعالى عنهم اجمعين ، وتابعيهم باحسان الى يوم الدين .

16 — المقالات السنية ، فى مديح خير البرية

نظم الامير عثمان بك نفس المؤلف السابق ، وهى نسخة مصغرة من الاولى ، حيث ان مقالاتها لا تزيد على ستين مقالة ، ويظهر انها متقدمة فى النظم على سابقتها وجاء فى آخر هذه المنظومة انها تشتمل على 8.000 بيت، خ ٠ ع — ك 640 .

مبثورة الاول ، وتبتدىء اثناء المقالة الثانية ، وهي تقع في مجلد واحد ، به 478 ص ، مسطرة 15 ، مقياس 180/255 ، خط شرقي حسن واضح ملون ، خال من تاريخ النسخ واسم الناسخ .

لا ذكر لها في « كشف الظنون وذيله » .

17 — فتح الرفيع ، في نظم شمائل ومعجزات النبي الشفيع ، صلى الله عليه وسلم وغزواته

تاليف محمد بن محمد المتوفى سنة ... في خمسة اجزاء .

هكذا جاء ذكر هذه المنظومة في « ايضاح المكنون » مج 2 ص 166 .

ويوجد منها « حرف النون » في دار الكتب المصرية تحت رقم 602 ، وذكرته « فهرس الدار » ج 1 ص 133 هكذا :

« **الفتح الرفيع :** وهو سيرة نبوية منظومةمرتبة على الحروف الهجائية الموجود منها : حرف النون » .

18 — مجموعة أمداح نبوية

للرئيس عبد الكريم بن عبد السلام ابن زاكور عامل تطوان ، والذي كان على قيد الحياة عام 1179 هـ/ 1765 — 1766 م .

جمع فيها اشعاره في المديح النبوي الا قليلا في غيره ، وهي تقع في نحو اربعة اسفار على حد تعبير مقدمة السفر الثاني ، ويوجد السفران الاول والثاني بالمكتبة الملكية بالرباط رقم 2356 ، والثالث بمكتبة العلامة الجليل مؤرخ تطوان محمد داود ، والغالب ان الرابع هو الموجود بالخزانة العامة بالرباط رقم ك 1830

السفر الاول : يسميه المؤلف « النتح الصمدي ، في مدح الجناب المحمدي » ، وفي خطبته يذكر انه نظم في المديح النبوي ما ينيف على خمسة عشر الف بيت ، واوله :

للنبي على الخليقة فضل
ما له في مدى الزمان انتهاء

افضل ما يتنافس فيه المصقع المجيد ، وتؤنق فيه العبارة ...

به 120 ورقة ، مسطرة 21، مقياس 210/300، خط مغربي مليح ملون مجدول .

وجاء في آخره : كمل الديوان الثاني « الصواب الاول كما هو مكتوب اعلى الصفحة الاولى داخل ترجمة مذهبة ، وقد وقع الفراغ من انتساخه اواخر قعدة عام 1176 هـ ، على يد ناسخ لم يوضح اسمه .

السفر الثاني : يسميه مؤلفه « لوامع الانوار ، في مدح الصلاة على النبي المختار » ، وهو يشتمل على 4469 بيتا ، واوله :

لاحمد فضل لا انتهاء لفيضه
فحدث عن البحر الخضم ولا تطري .

حمدا لمن جعل الصلاة النبوية اعظم وسيلة للمتوسلين ...

به 121 ورقة ، مسطرة ، مقياس 310 / 220 ، خط مغربي نفس خط السفر الاول .

وفي آخره : كمل الديوان الاول « اقرا الثاني» طبق المكتوب اعلى الصفحة الاولى داخل ترجمة كالسابقة .

وقع الفراغ من انتساخه أوائل رمضان عام 1176 هـ ، على يد ناسخ لم يصرح باسمه ايضا .

السفر الثالث : يسميه المؤلف : « السراج الوهاج ، في امتداح صاحب التاج والمعراج » ، وهو نفس الاسم الذي تحلى به طالعة هذه الاسفار الثلاثة ، في ترجمة مذهبة ، وفي مقدمته يسجل انه بعد ما الف السفرين الاولين شرع في هذا الديوان الثالث .

السفر الرابع : يظهر انه الذي بالخزانة العامة ، والغالب انه أحد اسفار النسخة الاولى للمؤلف .

وفي « تاريخ تطوان » للشيخ محمد داود ج 3 ص 104 — 115 يوجد وصف للسفرين الثالث والرابع ، مع كلمة عن شعر جامع هذه الدواوين قال فيها :

« وابن زاكور في ديوانه هذا ، ذو نفس طويل وقريحة فياضة ، الا انه في قصائده المنظومة في البحور العادية ، يتساهل في الموازين وبعض القواعد ، ولا يتنكب من العيوب الشعرية ما يجل عنه فحول الشعراء.

اما موشحاته — وهي كثيرة متنوعة — فانه فيها اقرب الى الاجادة والتفنن منه في بقية شعره الذي يقرب — في بعض الاحيان — من النظم العادي ، واحيانا تسمو

معانيه ، وتلطف تشبيهاته ، وتبدع محسناته ، حتى يكون من أحسن ما صدر من نوابغ الشعراء الغزليين ، لولا خلل في ميزانه ، وتكرار في الفاظه ، وعاميــــة في عباراته ، والكمال لله » .

19 — نظم عقود الفاتحــــة

لابي الفيض حمدون بن عبد الرحمن بن حمدون ابن الحاج السلمي المرداسي ثم الفاسي المتوفى عام 1232 هـ / 1817 م .

وهي منظومة ميمية في السيرة النبوية على نهج البردة ، اشتملت على نحو اربعة آلاف بيت ، وقــد شرحها الناظم نفسه في خمسة اسفار ، وترك بعض ابيات بدون شرح في الخمسين الاخيرين من المنظومة فقام بشرحها — بعد وفاته — ولده ابو عبد الله محمد المتوفى عام 1274 هـ / 1858 م .

طبع السفر الاول من الشرح بالمطبعة الحجرية الفاسية ، وباقيه لا يزال مخطوطا في بعض الخزائــن الخاصة .

ورد ذكر هذه المنظومة في « الازهار الطيبة النشر فيما يتعلق ببعض العلوم من المبادىء العشر » ط . ف ص 191 — 192 ، وتحدث عن المنظومة وشرحها في « سلوة الانفاس » ج 3 ص 5 . مع ج 1 ص 157 .

20 — المجموعة النبهانية في المدائح النبوية

لابي المحاسن يوسف بن اسماعيل بن يوســف النبهاني الشافعي المتوفى عام 1350 هـ / 1932 م .

جمع فيها ما وقف عليه من الاشعار في المدائح النبوية الصادرة عن الصحابة الكرام فمن بعدهم مــن الاموات حتى عصره ، وهي مرتبة على حروف المعجم ، وتشتمل — حسب مقدمتها الاولى — على 25066 بيتا انشأها 213 شاعرا ، وهي أكبر مجموعة باقية في هذا المنزع بعد ما ضاعت او اختفت اكثر مجموعات المدائح النبوية .

طبعت « بالمطبعة الادبية » في بيروت عام 1320 هـ في اربعة اجزاء .

راجع عن ترجمة النبهاني « معجم المؤلفين » ج 13 ص 275 — 276 .

21 — مورد الصفا في محاذاة الشفا

لابي العباس احمد بن الحاج العياشي بن عبــد الرحمن سكيرج الانصاري الخزرجي الفاسي نزيــل سطات اخيرا ، والمتوفى عام 1363 هـ / 1944 م .

وهو ترجيز لكتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض ، في 7.747 بيتا فرغ من نظمها في 21 ربيع عام 1350 هـ .

منه نسخة عند ولد المؤلف الاديب الشاعر عبد الكريم سكيرج .

راجع عن ترجمة الناظم مقدمة الطبعة الجديــدة لكتاب « كشف الحجاب » ص ز — ع ، حيث ورد ذكر هذه الارجوزة وتاليتها .

22 — الذهب الخالص في محاذاة كبرى الخصائص

لنفس الناظم السابق ، نظم فيه من « الخصائص الكبرى » للسيوطي نحو خمس اسداس الكتــاب في 19150 بيتا من الرجز ، وبلغ في النظــم الى قــول السيوطي : « باب اختصاصه صلى الله عليه وسلم بساعة الاجابة وبليلة القدر وبشهر رمضان » ، وكان ذلك في عشية يوم الخميس 22 رجب عام 1363 هـ ، ثم توفي — رحمه الله — بعد ذلك بشهر ، فكمل نظــم الباقي اخو المؤلف ابو عبد الله محمد سكيرج نزيل طنجة والمتوفى بها عام 1385 هـ / 1965 م .

من هذه المنظومة نسخة عند ولد المؤلف الآنــف الذكر .

23 — مجموعة أمداح نبويــــة

لابي زيد عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمــن العلوي الاسماعيلي الشهير بابن زيدان ، والمتوفى عام 1365 هـ / 1946 .

جمع فيها ما وقف عليه من أشعار المديح النبوي على حروف المعجم حسب الترتيب المغربي ، وختم كل حرف بائيات ما له على روي الحرف المعنى بالامر ، وقد صدرها بمقدمة في بيان قيمة الشعر . تقع في كناشات متعددة بالمكتبة الزيدانية بمكناس .

وهناك ترجمة لصاحب هذه المجموعة تقع في 10 ص من جمع كاتب هذا البحث .

الرباط : **محمد المنوني**

الأدب النسوي في الأندلس

للأستاذ : محمد المنتصر الريسوني

- 7 -

عصـــر الخلافـــة :

الخلافة الاموية بدأ عهدها بمبايعة عبد الرحمن الثالث الذي لقب بالخليفة الناصر لدين الله سنة 316 هـ، وتنتهي بسقوط آخر اموي في قرطبة (1) وظهور ابن جهور سنة 422 هـ، ففي ظلال هذه الخلافة ولا سيما في عهد عبد الرحمن الثالث وابنه الحكم انتعشت الحياة الثقافية في الاندلس ايما انتعاش، وتعددت اوجه النشاط المعرفي، مما ادى الى بروز الشخصية العلمية الاندلسية واستقلالها، وقد ساعد على ذلك انتشار الاستقرار والامن والرخاء والرقي، وتشجيع الملكات والمواهب، فالناصر رحب بابى علي القالي الذي حمل معه رصيدا ضخما من علم المشارقة، كما حمل معه دواوين كثيرة لاكبر ادباء اللغة العربية، والحكم ثبت انه كان مولعا اشد الولع بالكتب (2) فارسل الى القاهرة وبغداد ودمشق والاسكندرية اشخاصا ينسخون له الكتب النفيسة، ولا ادل على ذلك من مكتبته الثرة التي ضمت اربعمائة الف مجلد (3) وابتياعه كتاب « الاغاني » من صاحبه ابي الفرج الاصبهاني بالف دينار بعثه اليه قبل ان يظهر في الاسواق البغدادية، ولا ادل على ذلك ايضا من نبوغ كثير من جهابذة العلماء، ففي الحلبة اللغوية بالاندلس نبغ ابو بكر الزبيدي الذي عمل كتابه « مختصر كتاب العين » والف كتاب « طبقات النحويين » و « كتاب الواضح في العربية » و « كتاب الابنية في النحو » ثم نبغ ابو بكر ابن القوطية صاحب « كتاب تصاريف الافعال » و « كتاب المقصور والممدود ».

وفي الحلبة التاريخية نبغ احمد بن محمد بن موسى الرازي ومن تآليفه كتاب في « اخبار ملوك الاندلس وخدمتهم وغزواتهم ونكباتهم » وكتاب « انساب مشاهير اهل الاندلس ».

وهكذا برز الى الميدان كثير من العلماء الاندلسيين في شتى فروع العلم وضروب المعرفة من تفسير وحديث وفقه وفلسفة ورياضيات وهندسة وطب

---

1) يرى الدكتور احمد هيكل في كتابه « الادب الاندلسي من الفتح الى سقوط الخلافة ص 197 ان فترة الخلافة الحقيقية هي فترة حكم عبد الرحمن الثالث وابنه الحكم الثاني، لان الفترات الزمنية الاخرى لم يكن خلالها للخلافة الاموية الا الاسم.

2) لم يكن الحكم جماعا للكتب فقط بل كان مولعا بالقراءة، ذلك انه كان يقرأ كل ما يجمع ويعلق عليه بخط يده، ويكتب على كل مؤلف اسم صاحبه وكنيته ولقبه واسم عائلته وقبيلته الخ، وقد كانت هذه التعليقات موضع تقدير من العلماء والمحققين يعتمدون عليها كما نص على ذلك ابن الابار في الحلة الورقة 48 والحميدي في الجذوة : 94

3) انظر نفح الطيب ج 1 ص 184

وليس من شك والحياة هذه اليانعة الرطبة الجنية تزخر بمختلف الحركات العلمية ان ينهض الادب معبرا عن اصالة الحياة ومعطياتها وعن عمق الواقع ومتطلباته ، لذلك نلاحظ ان الادب الاندلسي في هذه الفترة يتخذ لنفسه ظواهر منها ما يتصل بالاتجاهات الشعرية وما اعتورها من زيادة وتطور ، وما يتعلق بالافكار والمعاني .

فمن حيث الاتجاهات ، فهناك اتجاه محافظ جديد طرأ على الادب الاندلسي وظهر في المشرق مضادا للاتجاه الجديد الذي حمل لواءه ابن هانيء (ابو نواس) الذي تجنب فيه كثيرا من التقاليد التي اتسم بها الشعر العربي ، فجاء هذا الاتجاه ليعطي له اصالته ، ويخفف من حدة الثورة التي شنها عليه الشعراء الجدد .

اذن فهذا التيار محافظ من ناحية ومجدد من ناحية ثانية ، محافظ على منهج القصيدة العربية ، ولغتها وللمس ايقاعها ، ومجدد في المعاني والصور والاسلوب (4)

وفي هذا الصدد يعلل الدكتور احمد هيكل سبب ظهور الاتجاه المحافظ الجديد في عهد الخلافة بقوله : « وانما ظهر هذا الاتجاه المحافظ الجديد في فترة الخلافة ، لانه اتجاه مرتبط كثيرا بالاستقرار الحضاري والتعقل الاجتماعي والهدوء الثوري ، فهو قد ظهر في المشرق منذ اوائل النصف الثاني من العصر العباسي الاول ، بعد ان هدأت حدة الانبهار باللقاء الاول مع المستحدثات الحضارية ، وبعد ان شبع شعراء القرن الثاني ثروة ولهوا ومجونا ، وبعد ان جاء القرن الثالث وقد الف المجتمع العربي الحضارة ومستحدثاتها ، ولم يعد يجن بها فيفقد اتزانه ، كما فعل من قبل جيل ابي نواس .

وقد كان المجتمع الاندلسي في فترة الخلافة قد الف الحضارة كذلك ، واستنفد انبهاره ودهشته بالمستحدثات في الفترة السابقة ، ولهذا بدأ كثير من الاندلسيين يهتمون بالاتجاه الشعري المحافظ الجديد ويجدون فيه طريقا فنيا ملائما للتعبير عن حياتهم المتحضرة المستقرة المتعقلة (5)

وعلى الجملة فان الشعر الاندلسي خلال هذه الفترة سار في اتجاهات الاتجاه القديم والاتجاه المحافظ الجديد ، والاتجاه المحدث الذي ظل في نمو مطرد تبعا لوجود اسباب تفرضه ، اذ الحياة الاندلسية رغم ما ساد مرافقها من امن وهدوء فقد امست من زاوية اخرى تتسم بالتحرر والانفلات من المواضعات والاستخفاف بالاخلاق والمثل العليا كشيوع الخمر واللجوء الى اللهو والمجون والغزل بالمذكر رغم ان هذا الاتجاه قد تطور اذ اصبح في الغالب هم الشاعر الاندلسي عوض المجون والاستخفاف التفنن في الشعر والتجويد في طرقه .

عائشة بنت احمد القرطبية :

شاعرة رقيقة استرعت الانظار ، وهي من طبقة سراة العاصمة ، وصفها ابن حيان بانها لم يكن يضارعها في زمانها من حرائر الاندلس علما وفهما وادبا وشعرا وفصاحة كانت حسنة الخط تكتب المصاحف ، وتمدح الملوك ، وتخاطبهم بما قد يعرض لها من حاجاتها الضرورية وقد قال فيها صاحب المغرب « انها من عجائب زمانها وغرائب اوانها » توفيت بكرا سنة 400 هـ

دخلت عائشة ذات يوم على المظفر بن المنصور بن ابي عامر وبين يديه ولده فقالت مرتجلة :

اراك الله فيه ما تريد ... ولا برحت معاليه تزيد
فقد دلت مخايله على ما ... تؤمله وطالعه السعيد
تشوقت الجياد له وهز الحسـ ... ـام هوى واشرفت البنود
وكيف يخيب شبل تمته ... الى العليا ضراغمة اسود
فسوف تراه بدرا في سماء ... من العليا كواكبه الجنود

---

4) للاستزادة من المعلومات حول هذا الاتجاه انظر تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري » للدكتور نجيب محمد البهبيتي والفن ومذاهبه في الشعر العربي للدكتور شوقي ضيف .

5) انظر الادب الاندلسي للدكتور احمد هيكل ص 220 .

فانتـم آل عامـر (6) خيـر آل
زكـا الابنـاء منكـم والجـدود

وليدكـم لـدى راي كشيـخ
وشيخكـم لـدى حـرب وليـد

ابيات في غاية الروعة والجمال ولا سيما البيت الخامس على الرغم من ان معناه مطروق ـ الذي شبهت فيه ابن الخليفة بدرا في سماء العلياء تناصر جنوده الكواكب والبيت الاخير ايضا رائع جميل ، اشادت فيه با ل عامر اشادة فيه من المبالغة النصيب الاكبر ، ذلك ان الوليد الصغير فيهم ـ آل عامر ـ عند الراي والشورى كانه شيخ محنك تصدر عنه الافكار الصائبة والاراء المتقيمة، والشيخ الهرم فيهم عند الوغى يصول في ميدانها كانه الوليد يتمتع صحة ونشاطا .

وقد طلب يدها احد الشعراء ، فلم ترض به بعلا فكتبت اليه تؤنبه ، ولكنه تانيب جاوز نطاقه ، ذلك لانها تابى ان تكون مناخا طول الدهر لاحد ولو ارادت الزواج لما تزوجت منه ، فكم اغلقت سمعها عن اسد فما بالك بكلب

انـا لبـوة لكننـي لا ارتضـي
نفسي مناخا طول دهري من احـد

ولـو انني اختـار ذلـك لم اجب
كلبا وكم غلقت سمعـي عن اسـد

ان ما فرط من الشاعرة من هجاء وهي المتخلقة باخلاق حسنة ليس الانتيجة لسورة غضبية نفسية، وآية ذلك انه قد يكون بينها وبين ذلك الشاعر الذي تقدم لخطبتها خصومة سابقة او عداوة قديمة او قد تكـون ـ هي ـ تعرف عنه ما لا يؤهله لان يرقى الى منزلتها وطبقتها ، لذلك استشاطت غضبا ساعة سمعت النبأ فلم تملك لحظتئذ الا ان تنعته بالكلب

ولعل كبرياءها ونخوتها جنت عليها فجعلتها تمتنع عن قبول اي رجل لا تراه اهلا لها ، ولذلك ظلت عذراء تسد اذنيها عمن يريد طلب يدها الى ان توفاها الله

ولعائشة مطلع جميل رقيق في بعض الرؤساء لم نعثر على ما جاء بعده من ابيات تقول فيه :

لولا الدمـوع لما خشيـت عـذولا
فهي التـي جعلـت اليـك سبيـلا

حفصة بنت حمدون الحجاريـة :

شاعرة عالمة اديبة عاشت في المائة الرابعة ، وهي من وادي الحجارة (7) ، اعتزت بها بلدتها لما تحتله من مكانة ادبية مرموقـة ومنزلـة علمية معروفـة ، من شعرها قولها :

راى ابن جميل ان يرى الدهر مجملا
فكل الورى قد عمهـم سيب نعمتـه

له خلق كالخمـر بعـد امتزاجهـا
وحسن فما احـلاه من حيـن خلقتـه

بوجه كمثل الشمـس يدعو ببشـره
عيونـا ويعشيهـا بافـراط هيبتـه

ولها في حبيب لا ينثني لعتاب ، واذا ما تركتـه تمادى في التيه والخيلاء وسالها يوما : هل رات لـه شبيها فكان ردها له : وهل ترى لي انت شبيها :

6) ينتسب آل عامر الى محمد بن ابي عامر الذي عمل حاجبا لهشام بن الحكم ، واستبد بالسلطة ولقب نفسه بالمنصور ثم تولى بعده ابنه عبد الملك ، ولقب بالمظفر ، وذلك من سنة 392 هـ الى سنة 399 هـ

7) الحجارة جمع حجر كورة بالاندلس يقال لها وادي الحجارة ينسب اليها بالحجاري جماعة منهم محمد ابن ابراهيم بن حيون ، وسعيد ابن مسعدة الحجاري ، انظر معجم البلدان لياقوت الحموي ج 3 ص 217

لـي حبيـب لا ينثنـي لعتـاب (8)
واذا مـا تركتـه زاد تيهـا

قال لي : هل رايت لي من شبيـه
قلت ايضا : وهل ترى لي شبيهـا

وقولها تذم عبيدها متضجرة :

يا رب انـي من عبيـدي علـى
جمـر الغضا ما فيهـم من نجيـب

امـا جهـول ابلـه متعـب
او فطـن من كيـده لا اخيـب (9)

وتقول حفصة في الوحشة ، وحشة الاحبة المتمادية، والليلة التي ودعتهم فيها وهي ماهية ، قضتها ملتاعة النفس مؤرقة الجفن :

يـا وحشتـي لأحبتـي
يـا وحشـة متماديـة

يـا ليلـة ودعتهـم
يـا ليلـة هـي ماهيـة

تطـوان ـ محمـد المنتصر الريسوني

---

8) في المغرب بعتاب وفي النفح لعتاب
9) فى المغرب : اخيب وفى النفح : يجيب . والبيتان نسبهما عبد الله عفيفي فى كتابه « المراة العربيـة فى جاهليتها واسلامها » ، ج 3 ص 147 لحفصة الركونية والصحيح هو ما اثبتناه

انهـم ابنـاء جنسك

ابـغ للعـرب مـن الخيـ
ـر ، كمـا تبغـي لنفسك
وارحـم العـرب جميعـا
انهـم ابنـاء جنسـك

حسن الحديث يزيدني تعليمـا

وضجـرت ، الا مـن لقاء محـدث
حسن الحديـث يزيدنـي تعليمـا

ابراهيم بن العباس الصولي

جامعة القرويين من خلال التاريخ

للأستاذ عبد الله الجراري

حقق التاريخ في سجله الامين ان (كلية القطر التونسي) سبقت كلية المغرب الاقصى ـ ذلك ان جامع الزيتونة ـ بالقطر التونسي الشقيق يعد في مقدمة مؤسسات ـ عبيد الله بن الحبحاب مولى بني سلول الذي ولاه هشام بن عبد الملك على المغرب حوالي سنة 114 هـ (731) م فبنى جامع الزيتونة بعد ما اختطه حسان بن النعمان كما صححه صاحب المؤنس ، وبالافواج التي اخذت ترد على افريقية من ابناء الشرق العربي تتميما للفتح ونشر الثقافة الاسلامية في ربوعها تكونت نهضة علمية انارت البلاد ونعت معارفها المشرقة على جنباتها ، ومن بين اولئك الرجال الافارقة الذين حملوا مشعل الثقافة لماعا نيرا ـ ابو الحسن علي بن زياد التونسي الذي كتب له اللقاء والسماع من مالك والثوري والليث بن سعد وسواهم من ائمة الاسلام ـ ولم يكن بعصره في افريقية نظيره ، تلمذ له اسد بن الفرات وسحنون وغيرهما ، وروى عن مالك الموطا وكتبا ـ فكان معلم سحنون الفقه ، واعترافا له بالفضل كان لا يقدم عليه احدا من اهل افريقية

وكان رجال العلم والمعرفة بالقيروان اذا اختلفوا في مسالة كتبوا بها الى ابن زياد رغبة منهم في الوقوف على الصواب ابن زياد المتوفى سنة 183

ومن رجالات الثقافة بافريقية ـ عبد السلام بن سعيد التنوخي الملقب بسحنون من اهل شامي قدم ابوه في جند حمص ـ اخذ العلم بالقيروان عن مشايخها خصوصا علي بن زياد الانف الذكر . رحل اليه بتونس ثم رحل الى مصر والمدينة ، وعاد الى افريقيا سنة 191

ومنهم عبيد الله بن يزيد اليحصبي القروي نشأ في عز وكرم بحارة يحصب بمدينة القيروان وبها تفقه وتادب حتى اصبح من علمائها البارزين فضلا عما كان يتحلى به في ميدان القوة من شجاعة وبطولة ، فهذه طائفة من خيرة المثقفين (وغيرهم كثير) انجبتهم افريقيا في ميدان الثقافة الاسلامية قبل ان تختط فاس ، ويوضع تصميم لاحدى عدوتيها ـ الاندلس والقرويين ـ فكيف بكليتها التي ما اسست الا سنة 245 هـ بعد بناء المدينة باثنين وخمسين سنة ، اضف الى هذا ان مدينة فاس ما تنى لها ان تتبوا المقعد الملائم لها في عالم المعرفة وتصبح مركزا علميا بمغربنا الاقصى الا بعد ما تدفق فيها علم القيروان ، وعلم قرطبة حاضرتي المغرب والاندلس اللتين فارقهما العلماء من اجل عيث العرب في الاولى ، واختلاف بني امية في الثانية

فبعد ما تاست فاس ومرت عليها حقبة من الزمن ظهر على بساطها العلمي نخبة من رجال الثقافة كعثمان ابن مالك فقيه فاس وزعيم فقهاء المغرب في وقته (كما يقول ابن فرحون) اخذ عنه فقهاء فاس كابنه ابي بكر ، وابي بكر بن الحناط وغيرهما ممن تلمذوا له ، وقد علق على المدونة ، ذكره ابن سهل في مختصر المدارك ، وابي عبد الله محمد بن عيسى الموماني الشريف الحسني الفاسي المدعو بالامام لسعة علومه منقولا ومعقولا ، اصولا وفروعا ، ولي قضاء قرطبة ومراكش ايام الموحدين ، وعلا كعبه في الفقه والفتوى والتدريس مع حصانة في الراي والمعرفة بالحديث وعلله ، واسانيده وتخريجه ، ذكره ابن الاحمر في حديقته ، ولم يتعرض لوفاته ، وكابي عمران الفاسي موسى بن

عيسى بن ابي حجاج الغفجومي اصله من فاس وبيته فيها يعرف ببيت بني حجاج ، استوطن القيروان وحصلت له بها رياسة العلم ، تفقه بابي الحسن القابسي ورحل الى قرطبة فاخذ بها عن الاصيلي وسمع من جماعة ثم رحل الى المشرق وحج ، ودخل العراق ، فسمع من ابي الفتح بن ابي الفوارس وابي الحسن المستملي، ودرس الاصول على القاضي ابي بكر الباقلاني .

واصبح من احفظ الناس واعلمهم اذ اضاف حفظ المذهب المالكي الى حديث الرسول عليه السلام ومعرفة معانيه مع الاضطلاع بمعرفة الرجال والتعديل والتجريح ، له تعاليق على المدونة لم تكمل ، وكان ابو بكر الباقلاني يعجب به ويقول له : لو اجتمع في مدرستي انت وعبد الوهاب (وكان وقتئذ بالموصل) لاجتمع عنم مالك انت تحفظه وهو ينظره - توفي سنة 430 ه عن 65 سنة .

فها نحن نرى هذه الشخصية العلمية الفاية ما تفوقت واخذت بزمام الرياسة الثقافية في العهد المتحدث عنه الا بعد التلمذ لرجال القيروان مع ما تلقته اثناء رحلاتها للاندلس والشرق العربي التثقيق من معارف .

ويؤيد هذه الفكرة ما جاء في كتاب (زهرة الاس في بناء مدينة فاس) لابي الحسن الجزنائي في فصل (سواري وسقوف وما يشبه ذلك) ص 74 (واما قراءة الحزب في القرويين بعد صلاة الصبح والمغرب فامر باحداثهما ببلاد المغرب يوسف بن عبد المومن بن علي الموحدي ونقله ابن صاحب الصلاة ، وانتدب لذلك ناسا واستمر العمل عليه الى ايام امير المسلمين ابي الحسن المريني رحمه الله ، بل اجرى جراية لعشرة اشخاص من القراء ، وامر بذلك في سائر جوامع المغرب

اما قراء الكتب فيه لاسماع الناس بعد الفراغ من قراءة حزب الصبح ، فان بعض ائمة الجامع في اول ولاية بني مرين - كان كثيرا ما يقرأ بين يديه في اول النهار تفسير القرءان للثعالبي ، وحلية الاولياء ، وذلك في جهة خاصة منه ، وكان له قارىء مجيد يحضر له بعض الناس بعد ما كانوا يجلسون متفرقين حلقا حلقا، وربما اخذوا في امور الدنيا الى ان تطلع الشمس فينصرفون ، وهذا ما حفز الامام ان يقترح على القارىء التصدر لحزب المحراب في نفس الوقت ، ويقرأ هناك من تلك الكتب فصولا لاسماع الحاضرين - وتعليمهم ما هم في امس الحاجة لمعرفته من المبادىء مما دفع الناس للاقبال على الاستماع في نشاط ظهرت نتائجه في الكثير وربما اجتمع في المجلس ءالاف المستمعين ، وتجلت هذه الظاهرة الطيبة في سنة احدى وخمسين وستمائة 651 موافق 1252 م .

وترسم هذه الخطة باقي الخلفاء واجروا للقارىء جراية مهمة استمرت .

على ان هذه الظاهرة العلمية المشبعة بتلاوة القراءان الكريم ، وسرد بعض كتب التفسير والمناقب لا تمنع وجود حركة علمية ونهضة ثقافية في دراسة العلوم الاسلامية وءالاتها كما سنرى ذلك ولاء .

اما تفسير الثعالبي المختصر في مجلدين من تفسير ابن عطية فما ظهر للوجود الا اواخر القرن الثامن وهذا المفسر نفسه - عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي الجزائري يقول : (رحلت في طلب العلم من ناحية الجزائر في ءاخر القرن الثامن فدخلت بجاية عام اثنين وثمانمائة .

فهذا النص يدلنا على ان التفسير المتحدث عنه والمعتنى بسرده في جمهرة الحاضرين بالقرويين اوائل دولة بني مرين ، لا زال لم يخلق فينشر بين الطلبة ويذاع لحد الدراسة والوعظ والارشاد .

لذا اجدني في ريب من هذا النقل الذي اسفر عن قيام هذه الظاهرة سنة 651 - ه - 1252 م . ومع كل هذا فلا يستطيع احد ان يجهل او يتجاهل القيمة الادبية والثقافية اللتين ادتهما جامعة القرويين لابناء الناطقين بالضاد وغيرهم ممن تردد على ابهائها في مختلف العصور والاجيال - كالرهيب الاوربي (نكولا كلينار) الذي اقام بفاس سنة 1540 - 1541 م ايام ابي العباس الاعرج السعدي في القرن العاشر الهجري حوالي سنة 948 ه - 1540 م مثابرا على دراسة اللغة العربية بالجامعة القروية ، كما كان في تلك الاثناء يكتب لرؤسائه واصدقائه رسائل باللغة اللاتينية يصف فيها مقامه بفاس، والدروس التي كان يتلقاها وعوائد الطلبة والمدرسين، وكيفية التدريس والعلوم التي كانت تدرس اذ ذاك وسوق الكتب ، وغير ذلك من احوال - القرويين وتاريخها الثقافي الحافل ، كما المعت لذلك مجلة المغرب في عددها الصادر في شهر رمضان وشوال عام 1355 ه - 1935 م .

ورغم ما سطر فلا يفوتنا ان نصحح هذا التاريخ الذي قصر الدراسة بجامعة القرويين على عصر الدولة المرينية اواسط القرن السابع الهجري - فهذا ابو عبد الله البغدادي محمد بن احمد بن ابراهيم بن عيسى ابن هشام الانصاري من رجال اواخر القرن الخامس الهجري واوائل السادس نشأ بجيان من الاندلس ورحل للمشرق ثم عاد للمغرب حوالي 515 هـ - 1120 م يحمل علوما جمة - والقى عصا التسيار بفاس وقعد بغرب جامع القرويين يدرس الفقه فتلمذ له نجباء فاس كابن الملجوم ، ثم غادر فاسا الى جيان ، وبعد مدة عاد اليها واشتغل بدروسه العلمية الى ان توفى سنة 546 هـ - 1150 م كما جاء في الجزء الرابع من كتاب (الذيل والتكملة) لابن عبد الملك

وهذا احمد بن عبد الصمد بن ابي عبيدة الانصاري الخزرجي القرطبي ثم الفاسي ممن زاولوا التدريس بجامعة القرويين اذ كان يملي دروسا في الحديث والتكلم عن معانيه - توفى بفاس سنة 582 هـ - 1185 م . ومن رجالاتها يوسف بن عبد الصمد بن يوسف بن علي ابو الحجاج الاصولي كان ذا ثقافة واسعة عارفا بالسير والتاريخ والاصول وغيرها قعد للتدريس بمسجد زقاق الرواح من فاس حيث سكناه وسكنى سلفه دخل اشبيلية ودرس بها ثم رجع الى فاس سنة 613 هـ - 1215 م وتصدر للتدريس في شرق جامع القرويين مدة الى ان وافاه الاجل المحتوم سنة 614 هـ - 1216 م كما اثبت ذلك اصحاب الجذوة والذخيرة السنية والسلوة .

ومن سنن العادات التي لا تفتا تساندها الطبيعة البشرية - ان جلوس هؤلاء الائمة بكلية القرويين للدراسة لم يكن ابتكارا جديدا ، وحدثا طارئا لامر لم يعهد من قبلهم ، وخصوصا الغرباء منهم فان من طبع الغريب ان لا يتجرا على احداث ما لم تجر عادة المواطنين به بل يساير الوسط الذي يلابسه من جديد ، ومن هذا فواقع الاسبقية لكلية القطر التونسي الشقيق لا ينسحب مع تصحيح التاريخ ، وجعل الدراسة تبتديء في عصر دولة المرابطين .

انما الذي نلاحظه عند ما نرجع لحياة الثقافة العلمية ومعرفة رجالها بالعاصمة العلمية هو اننا نجد اثناء تراجم الكثير انهم زاولوا الدراسة بمختلف مساجد فاس واقربها لمساكنهم ، وطبعا كان للقرويين نصيبها من الدراسة ، بيد ان الذي يبدو جليا في ابهاء جامعة القرويين وخاصة منصة خطابتها ومحرابها هو خطباؤها وائمتها الذين توالوا على منبرها عبر العصور وكان لتسجيلهم في حظيرة هذه المنقبة المقام السامي في الذكر والعناية

نعم لا يجعلنا هذا (ونحن نعالج الفكرة) ننسى ما لعبته الجامعة من ادوار في الحقل الثقافي مدى القرون والاجيال ، وما حفت به من عنايات واهتمام من لدن الدول والحكومات المغربية التي تعاورت على كرسي المغرب في عهود الاسلام المبكرة الى قرن العشرين - فاسسوا بها خزانات للكتب والمصاحف - كابي عنان المريني الذي كان له حب خاص بالثقافة والادب مع التقدير والاعجاب بمن ينتمي لهما من الطلاب والباحثين فصنع خزانة هامة وضعها رهن اشارة الطلاب ، تحتوي علوم الاديان والابدان واللسان وسواها من المعارف والفنون

ورصد لها قيما لضبطها وذلك سنة 750 هـ .

كما جعل للمصاحف خزانة خاصة في قبلة الجامع كتبت باجمل الخطوط ، وكتب السلطان ابو عنان فوقها ما لفظه : (الحمد لله امر بعمل هذه الخزانة السعيدة مولانا امير المومنين المتوكل على رب العالمين عبده فارس ايد الله امره ، واعز نصره بتاريخ شوال سنة 750)هـ

واما موضع الخزائن (يقول صاحب الجذوة) الذي بشرقي الجامع وهي زاوية القراء الباهية فامر بها المستعين رحمه الله لتوضع في شرقي هذا الجامع ، فانه اقامها على ساباط هناك ورتب فيها قراء القراءان يختمونه في سبعة ايام ، واجرى لهم على ذلك جرايات ، وتم عمل الزاوية المذكورة في اواخر شهر رمضان واستمر السلاطين والملوك يولونها من الاعتبارات ما تجلى في عصر دولتنا العلوية الفاخرة خصوصا ايام بطلها المجاهد المغفور له محمد الخامس الذي تضيق العبارات وتكل الاقلام عن الوفاء بما قدم من خدمات خالدة نحو السير بنهضتها الى الاوج اللائق بمجدها وكرامة تاريخها عبر القرون والسنين

وها هي اليوم غدت تساير ركب الثقافة الحديثة مستردة مجد ما كان لها من نصيب علمي وفني شعت انوارها على العالم اجمع

الرباط - عبد الله الجراري

عبد المجيد الزبادي

بقلم الأستاذ :
عبد القادر الكادي

- 2 -

اشتغالــه بالتدريس :

لقد عرفنا في العـدد الماضـي ان عبد المجيـد الزبادي الطبيب درس العلوم العربيـة ، والحديث ، والتفسير ، والفقه ، والاصول ، وغيرها عن اكابر علماء عصره . والآن نتعرف عن العلوم التي اشتغل بتدريسها ، واخذت عنه بفاس وغيرها (1)

لقد كان استـاذا مشاركـا في جـل العلوم التـي درسها . وله في اللغة والأدب اليد البيضاء . انصرفت همته الى التدريس . وظـل ينشـر العلم طيلة حياتـه بالقروين ، وجامـع الاندلس ، ومدرسـة العطارين ، والضريح الادريسي (2)

ومن جملة العلوم التي كانت توخذ عنه : الفية ابن مالك ، ولامية الافعال ، وشمائل الترمذي ، ورسالة ابن ابي زيد ، وصحيـح البخـاري ، والمرشـد المعين ، والنصيحة الكافية لمن خصـه الله بالعافيـة لزروق ، ورسائـل ابن عباد الكبـرى والصغـرى ، والتفسيـر ، والاغليـة ، وشرح ابن عباد على الحكـم العطائيـة ، وشرح شيخه ابن زكرى عليها ، وارجوزة ابن سينا في الطب ، ودلائل الخيـرات ، وديـوان ابن الفارض ، ومقامات الحريري ، ومنظومة القرطبي ، والشفا لعياض والموطا ، والهمزية والبردة ، وفصيح مالك بن المرحل ، وتلخيص المفتاح للقزويني ، والخزرجية ، والبلاغة ، وديوان المتنبي ، والتنوير في اسقاط التدبير ، وبانت سعاد ، ونظم ابن البناء في التصوف (3)

وان هذه الدروس لتدل على اقتداره وطول باعه ، فهو مدرس مشارك نفاعة . يعد من اعلام عصره في العلم والادب . اخذ عنه علماء اجلة ، كما سنذكر بعد

اما تاريخ انخراطه في التدريس فقد تركه لنـا مكتوبا بخط يده في تقييد قال فيه :

« وفي خامس وعشري ربيـع الثاني من اثنين واربعين ومائة والف بعد ان توفي شيخنا العلامة الدراكة النحوي الاصولي العروضي محمد بن ادريس العراقي برد الله ضريحه ، واسكنه فسيح جنانه ، امرني شيخنا وقدوتنا سيدي محـ - (فتحا) بن قاسم جسوس اطال الله عمره ، ان افتتح درسا في الفيه ابن مالك ، فاسعفته على ذلك ، وان كنت لست اهلا بذلك ، ومن الغد شرعت في تدريسها بالقروين بعد صلاة العصر بحضور شيخنا المذكور وبعض تلامذتنا اصلحهم الله ورعاهم ووفقهم لما فيه الخير العام . قيده افقر العباد الى رحمة ربـه عبد المجيد ابن علي المنالي الزبادي يوم ثامن وعشرين من ربيع الثاني (4) »

---

1) راجع الاخذين عنه في طرابلس الغرب والمشرق غداة زيارته الى الاراضي المقدسة في رحلته الموجودة بالخزانة العامة بالرباط . تحت رقم D.1808 .

2) انظر الورقة الثانية بعـد الاخيرة مـن « جذوة الاقتباس » نسخة مخطوطة توجد في خزانة العلامـة المرحوم الحاج المكي بنمسعود الطريدانو الرباطي المتوفى سنة 1964 م مكتوبـة بخـط قصارة الآتـى الذكر ، فرغ من انتساخها لنفسه في ثلاثين من عاشوراء عام 1164 هـ

3) انظر الكناش السالف الذكر ص 601 ـ 602 .

4) عن نفس المصدر ص : 627

بعض تلامذته :

من بين الآخذين عنه في الاماكن السالفة الذكر هم :

1) ابو عبد الله محمد بن الطيب القادري الفاسي المولود سنة اربع وعشرين ومائة والف ه والمتوفى عام سبعة وثمانين ومائة والف (5) ه

درس عليه تلخيص المفتاح ، ونظم ابى عبد الله الخزرجي في العروض ، ونحو الثلث من الكافية لابن مالك بمطالعة شرحها لمؤلفها (6)

2) اخوه محمد (فتحا) الآنف الذكر
اخذ عنه الفية ابن مالك ، ومنظومة القرطبي ورسالة ابن ابى زيد ، والاغلبية ، والنصحة الكافية وشمائل الترمذي ، ومقامات الحريري ، وفصيح ثعلب، وارجوزة ابن سينا ، وبعضا من التفسير ، وخطبة القاموس (7)

3) ابو حفص عمر بن عبد الله الفاسي نجل العلامة العربي ابن ابى الحسن يوسف المتوفى يوم الخميس آخر يوم من رجب عام ثمانية وثمانين ومائة والف ه (8)

اخذ عنه مقدمة ابن آجروم ، وبعضا من ديوان المتنبي ، وفصيح ثعلب ، ومقامات الحريري ، وبعضا من رسائل الصغرى لابن عباد ، والحكم العطائية بشرح ابن زكري عليها (9) .

4) ابو العباس احمد بن محمد نجل العلامة احمد بن الحاج المتوفى سنة خمس وتسعين ومائة والف ه (10) .

قرا عليه رسالة ابن ابى زيد ، والبلاغة ، وفصيح مالك بن المرحل ، والتنوير ، ومقدمة ابن آجروم والمرشد المعين (11)

5) القاضي عبد القادر بن العربي بن قاسم بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عبد الخالق بوخريص الفيلالي الكاملي الجعفري المولود عام ثمانية عشر ومائة والف والمتوفى عشية الاربعاء الثامن من ذي القعدة سنة ثمان وثمانين ومائة والف ه (12)

وبالجملة فان الآخذين عن صاحبنا الزبادي كثيرون (13) . ولنكتف بهؤلاء الاشخاص الذين ذكرناهم .

نثره :

بعد ان عرفنا العلوم التي اخذت عنه ، وبعض تلامذته ، ننتقل الى اسلوبه في الكتابة .

على الرغم من ان علماء عصره كان جلهم منهمكا في العلوم الشرعية ، والفقهية ، فان صاحبنا قد اشتغل بالادب واعتنى بدراسته ، كما ينبيء عن ذلك هاته القطعة النثرية الآتية التي رثى بها شيخه الوجاري ، ونصها :

« مات شيخنا الامام وسيدنا الهمام ، الدراكة الفهام . الذي آثره الله على الانام ، لما اراد نفعهم بعلوم الآلة التي هي وسيلة الى شرائع الاسلام ، وجعله مصباحا يزيل عن قلوب الطلبة الظلام ، وينتفعون به على الدوام

---

5) راجع ترجمته في الاعلام ج : 7 ص : 47 للزركلي
6) انظر التقاط الدرر ص 250 نسخة خاصة وتوجد منه نسختان في الخزانة العامة بالرباط .
7) انظر سلوك الطريق الوارية ، وتقييدا في اربع ورقات لصاحب هذا الكتاب نسخة خاصة .
8) انظر ترجمته في المصدر اعلاه
9) انظر الكناش ص : 650 .
10) راجع ترجمته في سلوك الطريق . 11) انظر الكناش ص 650 ـ 651 . 12) انظر ترجمته في سلوك الطريق . 13) عدد الآخذين عنه العلم بفاس قد اثبتهم ابو عبد الله محمد بن الهادي العراقي الآتي الذكر في الكناش السالف الذكر ص 665 و 670 .

فلست ترى من فيهم (14) الا وعنه عقل الشوارد (15) ولا من لبيب اريب الا وعنه اقتنى القريب ، ولا من ذوي ذوق سليم وطبع مستقيم الا وعنه اخذ طريق الادب القويم ، وكيف بعدل ميزانه ، ولا من ثابت الجنان يميز بين الاساءة والاحسان الا ومنه تعلم اصلاح اللسان والبيان في ميدان الطروس بالاقلام والبنان ، ولا من لامس قط ما الام ومنه عرف بتالف منه الكلام ، ولامن حسن العبارة الا ومنه فهم الاشارة ولا من دائم لاعداء الا وبه كان الابتداء ، ولا حسن الاشغال الا وبه كان له الاشتغال ، ولا من كثير التواضع الا ومن تاديه في التنازع ، ولا من زائد اللطافة والظرافة الا وشرفه بالاضافة ، ولا من بريد القطف الا وبمجالسة تعلم العطف ، ولا من مجيد نجيب الا وكان لندائه مجيب ولا من حسن الالهام جيد الافهام الا بما حصل منه بالاستفهام ، ولا من ناظر في نفسه بعين التحقير الا ومنه تعلم ذلك . ولا من وافى بالمواعيد الا ومنه اخذ المواد والتصريف وكلا من التكسر والسلامة ، والعلة بالصحة والعامة ، ولا من سالك اوضح المسالك الا ومنه تعلم ذلك ولا من وافى بالمواعيد الا ومنه اخذ القواعد ، ولا من تمسك بالقناعة الا وبه اقتدى في الصناعة ، ولا اكتفى بالوقاية الا من اخذ عنه النقاية ، ولا ميز بين النقابة والتقاية الا وحصلت له به الكفاية ... (16) »

شعره :

لعبد المجيد الزبادي شعر كثير في المدح والرثاء وفي مودة آل البيت والصالحين والتشوق لزيارتهم

قال ابو عبد الله محمد بن الطيب القادري الانف الذكر لدى ترجمته له : وله براعة في نظم الشعر ، ومدح العلماء وآل البيت والصالحين ولو جمع ذلك لكان ديوانا (17) حتى كان الغالب عليه اذا ختم كتاب ، مدح مدرسه ، واذا مات شيخ من شيوخ الوقت رثاه (18) »

واليك نموذجا من اشعاره فمنها قصيدة في حب نفيسة (19) تحتوي على ستة وثلاثين بيتا نظمها ليلة الاحد ثالث وعشري رمضان سنة ثلاث واربعين ومائة والف ، يقول في مطلعها :

ايها السائر المحثحث عيسه
من ضروب المعاش يبغي نفيسه

ارح النفس من عنا السير واقصد
من بيوت الكرام بيت نفيسه

بيت حلم لبنت جود ومجد
ذات زهد وذات نفس نفيسه (20)

وله ايضا في مدح مولاتنا فاطمة الزهراء قصيدة تحتوي على خمسين بيتا انشدها ليلة الجمعة سادس شوال سنة ثلاث واربعين ومائة والف اولها :

بال البيت تنشرح الصدور
وتزدان المحافل والصدور

لايام الزمان هم شموس
وفي ظلما لياليه بدور (21)

---

14) في الاصل : فليت ترى من فيهم ولعل التصحيف من الناسخ فحسب
15) في الاصل كلمة زائدة وهي : (اليهم) ولعل هذه الزيادة التي حذفناها لعدم تادية المعنى قد وقعت من الناسخ سهوا .
16) عن النشر المثاني الكبير ج 2 ص 168 مخطوطة الخزانة العامة بالرباط رقم 2253 ك
17) وقد جمعنا من شعره نحو الخمسين قصيدة ، ولا زلنا نبحث عن انتاجه الادبي في الخزائن العامة والخاصة ونتمنى من الله العلي القدير ان يعيننا في جمعها لنشرها على حدة
18) عن النشر المثاني الانف الذكر ج 2 ص 232
19) راجع ترجمتها في رحلته ص 175 ــ 176
20) انظر تمامها في نفس المصدر ص 178 ــ 180
21) انظر تمامها في المصدر اعلاه ص 180 ــ 183

وله ايضا في مدح ابي العباس احمد بن علي بن ابراهيم الحسني الشهير بالبدوي المتولد بزقاق الحجر في فاس سنة تسع وتسعين وخمسمائة ، والمتوفى سنة خمس وسبعين وثمانمائة هـ قصيدة في احدى وثلاثين بيتا انشدها عند قبره يوم وصوله الى طانطا قادما اليها من المنصورة في ثلاثين صفر عام تسعة وخمسين ومائة والف (22) مطلعها :

يا طالبا نيل المرام تزود
لزيارة البحر المحيط الاحمدي

سر كيف شئت مبحرا او مقفرا
فالوفد محفوظ فلا تتردد

ما الزاد غير تضرع وتملق
فتذلل السؤال خير تزود (23)

وله ايضا في رثا شيخه العلامة النحوي ابي عبد الله محمد بن ادريس العراقي الحسيني السالف الذكر قصيدة في اربع وثلاثين بيتا مطلعها :

الا في سبيل الله ما ذا يلاقي
فؤاد محب مؤلم بفراق

الى ان قال في البيت العاشر والحادي عشر :

قد اختصه الرحمن بالنحو كله
وما قد حوى من غامض ورقاق

وعلم عروض والقوافي وغيرها
واشباه هذي من معان دقاق

ثم قال في البيت التاسع والعشرين منها :

امولاي عبد القادر (24) بن محمد
بن ادريس ان الصبر للاس راق(25)

وله ايضا هذه التي تعد من اروع ما قرضه في الرثاء وهي تحتوي على سبع وستين بيتا قد رثى بها شيخه الوجاري السالف الذكر . مطلعها :

العين جادت بدمع جار
والقلب ذاب اسا لخطب جار

اسفا وحولي التاسف كيف لا
وانا المصاب بحبر الاحبار

الى ان قال :

بكت السماء وطال فيه بكاؤها
حتى رمت بالودق والاحجار

وبكت ارض وهي اجدر بالبكا
وبكته اطيار على الاشجار (26)

وله ايضا في رثاء صديقه الاستاذ ابي عبد الله محمد بن محمد (فتحا) بن ابي العباس احمد ابن يوسف الفاسي المتوفى سنة اثنين واربعين ومائة والف (27) هذه القطعة المحتوية على ثمانية وعشرين بيتا وهذا مطلعها :

نار الفراق اخي ابت ان تنطفي
والموت للاخيار حقا يصطفي (28)

---

22) انظر المصدر اعلاه ص 166
23) انظر تمامها في المصدر اعلاه ص 167 ـ 168
24) هو ابن المرثي توفي في اواسط جمادى الاولى عام اثنين واربعين ومائة والف راجع النشر المثاني الكبير ج 2 ص 178
25) انظر تمامها في نفس المصدر ج 2 ص 178 .
26) انظر تمامها في المصدر اعلاه ج 2 ص 168
27) راجع ترجمته في المصدر الانف الذكر ج 2 ص 179 وما بعدها
28) انظر تمامها في نفس المصدر ج 2 ص 180

وله ايضا في مدح صديقه الذي كان لا يفارقه لحظة واحدة ابى عبد الله محمد بن الهادي العراقي الاتي الذكر عدة قصائد (29) منها هذه التي قرضها في عشري رمضان تسع وثلاثين ومائة والف عدد ابياتها ثمانية وخمسون مطلعها :

مولاي يا نجل الكرام ومن لـه
في القلب منك منزل لا يوصف

ان غبت عني لحظة فكانني
يعقوب لما غاب عنه يوسف

وله ايضا في مدحه هذه التي تحتوي على مائة وعشرين بيتا انشدها عام خمسة وخمسين ومائة والف غداة رجوعهما من زيارة مولاي عبد السلام بن مشيش (30) قال بعد مطلعها بعشرين بيتا :

اتريد مثل محمد بن محمد
اطمعت نفسك في مثال محال

هيهات هذا الفرد يوجد مثله
في حسن خلق وزين خلال

وله ايضا في مدح شيخه ابى عبد الله محمد (فتحا) بن قاسم جسوس الانف الذكر لدى ختمه مختصر خليل في الحادي والعشرين من شعبان عام اربعة واربعين ومائة والف قصيدة في ستين بيتا مطلعها :

تبدا ضياء الصبح والليل قهقرا
واشرق نور الشمس في سائر القرى (31)

هذا نموذج لما جادت به قريحته في الشعر والنثر، ويبدو من خلال عرض ذلك ان شعره احسن من نثره .

(29) عدد القصائد التي عثرنا عليها في مدحه خمسة عشر داخل مجموعة يحوي عدة تقاييد في الفقه والنحو والتاريخ والادب نسخة خاصة .

(30) هذه القصيدة قد بدا في انشائها اخر يوم في شهر ربيع الاول بمراكش وتممها بالعاصمة الاسماعلية في العاشر من ربيع الثاني . انظر الكناش ص 660 .

(31) انظر تمامها في سلوك الطريق الوارية .

الرباط ـ عبد القادر التكادي

خاطر

خاطر ، فاما عيشة حرة

برغدها العز ، واما الحمام

مهيار الديلمي





قرات كتاب الحلة في طبعته الاولى من قبل بنحو عشرين سنة ، فما وجدت فيه غناء ، وان كنت قد سجلت منه بعض الملاحظات ، وفي اواخر سنة 1962 ، زرت معهد الدراسات الاسلامية بمدريد ، فوجدت صديقنا الدكتور حسين مؤنس ، يقوم على تحقيق كتاب الحلة، واخبرني انها نسخة فريدة ، تفوق ما طبع منها بنحو ثلاثة اضعاف.

وانتهى التحقيق وطبعت النسخة بتحقيق الاستاذ الجليل ، صاحب الايادي البيضاء في الدراسات الاندلسية . لقد قرات مقدمة المحقق ، فظننت في اشادته بالحلة مبالغة تتطرف بقيمة الكتاب ، خصوصا قيمته التاريخية ، لكني باطلاعي على هذه النسخة ، وجدت نفسي ، في غمرة من الاعجاب وفي شره من الاستفادة منه ، لم يزايلني الا وقد وضعت الكتاب من يدي ، ءاتيا على قراءته . .

ولست هنا بمحل من يكشف عن قيمة الحلة ، ويضعها موضعها من كتب ابن الابار ، خاصة ، وكتب التراجم ، عامة ، فذاك ما وفاه حقه ، الدكتور مؤنس، ولكني اجعل نفسي هنا بمربا من تحقيقات الاستاذ ، تلك التحقيقات الفريدة في بابها ، خصوصا منها ما اتصل بالمواقع والحوادث والاشخاص فتلك موهبة من مواهبه، لا يماري فيها احد ، ولا يشاركه فيها الا القليل من المحققين . .

ولهذا لن اتناول من هذه التحقيقات ، الا بعض الجزئيات التي وقفت عندها في قراءتي ، واردت ان اسجلها للقراء ، وفيهم استاذنا مؤنس الذي لا شك في انه سيرحب بها . وسأسير في تسجيلها محاذيا لصفحات الكتاب

ففي صفحة 19 يجعل القاضي عياضا من شيوخ الاندلس الذين اصبحوا فيه (رموزا على السلطان الوحيد الباقي ، وهو سلطان الدين والعلم ، وصاروا رموزا على قوة الدين وسيادته ومعقد الامال في بعث الدولة وعودة هيبة الاسلام في شبه الجزيرة) فهل يصح عده من هؤلاء ؟ وفيها يجعل ابن الابار (سائرا في طريق اولئك الشيوخ ناظرا الى سيرهم ءاخذا بالاصول التي ساروا عليها) ونحن نعتقد ان ابن الابار لم يكن من هذه الفئة ولا انه نفسه اعد شخصيته لتكون من بين هذه الشخصيات . انه نموذج ءاخر ، ليس فيه تزمت تلك الطائفة القليلة في الاسلام ، ولا فيه قوة الاحتفاظ بمقوماتها الوطيدة ، فهو دون حتى من اتى بعده من مثل ابن الخطيب وابن خلدون ، انني اقرن شخصيته بشخصية ابي حيان التوحيدي ، شخصية العظمة المترجرجة ، والزراية المتقلبة ، والطموح الساعي في خفاء وخور وملق . . . الى جانب علم غزير ، هو في الادب اكثر منه في فقه اولئك الفقهاء الافذاذ ، الذين تجل اقدارهم عن الزراية بالناس او الخضوع لهم مهما

كانوا .. وفي صفحة 24 يجعل المامون الموحدي ، وقد ترك الاندلس الى حاضرة دولته مراكش ، مستجيبا لرأيه القائل : ونحن لا نرى في هذا الا صوابا في الراي ، الذي املى عليه ان يتدارك الدولة ، قبل ان تسقط في هواتها السحيقة ، فكان صنيعه في هذا صنيع المامون العباسي وقد عاد من خراسان الى بغداد ليتدارك الامر ، الذي كان ينذر بسقوط دولة بني العباس

وفي صفحة 40 يجعل ابن خلدون والمقري من مهاجري الاندلس ، كابن سعيد وابي الخطاب بن دحية واثير الدين ابي حيان والطرطوشي .

وفي صفحة 43 يقول ان « في الكتاب اشارة الى ان (ابن الأبار) كان ما زال مشتغلا بكتابته سنة 646 وربما يكون قد اتمه قبل وفاة ابي زكرياء » يريد قبل سنة 647 ، والواقع انه كان ما زال مشتغلا بكتابته سنة 653، فقد ذكر في ترجمته التي اوردها بالحلة لمحمد بن سيع بن يوسف الجذامي انه « توفي بحضرة تونس .. في شهر ربيع الاخر سنة ثلاث وخمسين وستمائة » وبذلك يكون تاليف الكتاب قد استغرق سنوات ، تعرف من اولها سنة 645 ، كما يشير الى ذلك في ترجمة يحيى ابن احمد بن عيسى الخزرجي اما اسف الاستاذ مونس الذي ابداه في التعليق (3) من صفحة 1/270 ، حينما اسقط الناسخ النيف من عبارة ابن الابار « الى وقتنا هذا وهو سنة اربعين وستمائة قائلا اي الدكتور : « كان هذا يحدد لنا تاريخ كتابة الحلة السيراء بالضبط » فلا وجه له بالمرة والاشارة التي ذكرها وردت في ترجمة ابي علي عمر بن ابي موسى ، حيث قال : « الى وقتنا هذا وهو شهر الله المحرم من سنة ست واربعين » (2/282)

وفي صفحة 5 من الكتاب ورد بيت هكذا :

يرجفون عينيك بالقرار

ومن شرط الهوى رعي الذراري

فكلمة يرجفون ليست في مكانها

وفي صفحة 6 منه ورد اخر هكذا :

فقلت لها جفناك عزا تجلدي

ونهداك هدا نفس هيمان موجعه

فكلمة عزا لا يظر لها وجه

وفي صفحة 6 ايضا ورد البيت هكذا :

فلو كان رمحا واحدا لأتقيته

ثم في صفحة 7 ذكر ابن الابار عن ابن حوط الله الانصار ، انه لعبد الحق بن عطية هكذا :

فلو كان رمحا واحدا لاتقيته ...

وعلق عليه الدكتور مونس بقوله : « روى البيتين المذكورين هنا ... المقري في نفح الطيب (طبعة محيي الدين ...) بالصورة التي وردا بها في النص » ... وقد رجعنا الى هذا المرجع بالذات ، فوجدنا البيت هكذا : ولو كان رمحا واحدا لاتقيته .. (بالواو لا بالفاء) فلا يخلو ،اما ان يكون التصحيف حصل في الوارد بصفحة 6 واما ان يكون في الوارد بصفحة 7 . ويبعد ان يكون في الاخير ، لان المقري نسبه بالواو الى ابن العربي المعافري الوارد ذكره اولا عند مؤلفنا (6) فلم يتنبه لهذا صاحب التعليق ... وغلط حتى فيما نقل عن النفح ... وعليه فالتصحيف واقع لا محالة في الصفحة (6) ، لا التي بعدها ..

وفي صفحة 10 ورد البيت هكذا :

وعندي ولا رد زفير مردد

تهد لظاه جانب البشر

فحصل في الشطر الاخير بتر او تحريف

وقوله في اواخر هذه الصفحة : ولما ظفرت من هذا .. الى قوله : بمنه ، في 12 ، يظهر انه تزحلق من اول مقدمة الكتاب .

وفي صفحة 26 علق على عبد الله بن الزبير ، حين نص ابن الابار على انه (بفتح الزاي وكسر الباء) بقوله : « واضح ان المراد هنا رجل اخر غير ابن الزبير » مع ان الاول شاعر معروف في كتب الادب والتراجم ، واخر من ترجم له الزركلي في اعلامه ، ومن قبله بعشر سنوات كتبت عنه في تعليقي على دلائل الاعجاز ، بما يلي : « هو شاعر كان معاصرا لعبد الله بن الزبير ، وقد مدحه بقصيدة فلم يجزه ، فقال : « لعن الله ناقة حملتني اليك ، فاجابه ابن الزبير : ان وصاحبها»(89)

وفي صفحة 64 ورد اول السطر هكذا : « وطالعتا موسى بن نصير وبلج بن بشر ، هما اللتان تعرفان بالاندلس بالجندين » من غير ما يكون في هذا احالة على الطالعتين المذكورتين .

وفي صفحة 70 ورد في التعليق (1) نقل عن ابن عذارى (البيان 73/1) هذه الابيات التي نسبها ابن عذارى للحسن بن حرب :

الا قولـــوا لأغلـــب غير ســوء
مغلغلـــة عن الحســن بن حـــرب
بـــان البغـــي مرتعــه وخيــم
عليك وقربــه لــك شر قـــرب
فـــان لـــم تثـــن لتنـــال سلمـــي
وعفوي فادن من طغـــي وصبـــري

ثم ذكر في التعليق (2) على ابيات ثلاثة لابن الاغلب « ان ابن عذارى اخطأ فجعل ابيات ابن الاغلب للحسن بن حرب » .. مع ان المطلع على ابيات ابن حرب الواردة في ترجمته بالصفحة 72 يجد ان البيت الاول له ، مع اختلاف طفيف ، وان الثاني والثالث ، هما للاغلب ، كما وردا في الصفحة 70 مع اختـــلاف طفيف ايضا ، وان كان ورودهما في الحلة اولى منه في البيـــــان

وفي صفحة 71 ورد : لا اجزع اليوم ولا اكذب .. فعلق عليه بانه مكسور .. وكان الاحسن ان يقول انـه ليس من بحر ما قبله (وهو الرجز)

وفي صفحة 86 ورد البيت : افي كل يوم ثائر قتلته ولا بد ان (قد) قد سقطت بعد (ثائر) وقد ورد بها النص في الترجمة 27 وهي ترجمة العلاء بن سعيد بن مروان المهلب .

وفي صفحة 130 ورد البيت هكذا :

فـدع النفــس عن مـزاح ولهـــو
تلك حال مضت وجاءت حـال

ولعل الصواب (وقد جاء حال)

وفي صفحة 177 وردت العبارة : « وهــذا قــد كان يحسن منه لولا انهماكه الذي كان فيه هلاكــه » فزاد المحقق (في ملذاته) اثر (انهماكه) ولا لزوم لزيادتها

وفي صفحة 179 ورد في جــدول بالهامش ذكــر لجبير الاغلبي ، بانه اسر وحمل الى صقلية ، والصواب انه حمــل الى القسطنطينيـة ، كما ورد في ترجمتـــه بالصفحة 180 .

وفي صفحة 189 ورد البيت :
انا ارضى بان اقبل تعليـــك على قبح ما بدر من صنيعك
والصواب (بدا) بدل (بدر) .

وفي صفحة 194 ورد ذكر الاحمس الطلطلي ، من شعراء بني صالح النكوريين ، باسم (الاخمش) ، وهو غير صواب

وفي صفحة 200 ورد البيت هكذا :
كنـــت لمـــا قـــد علمـت الهـــو
ل اذ انـــا ممـــا شكـــوت تـــاج

هكذا (الهول) مشكولا مع التدوير ، وصوابه :
كنـت لمـا قـد علمـت الهـــو
اذ انـا ممـا شكـوت نـــاج

فعلا مضارعا ، ولا تدوير في البيت

وفي صفحة 250 وردت هذه العبارة : وما ابن فرج فموته من مولده مقتربان ... فلا شك ان العبارة وقـــع فيها تشويه لم يتنبه له المعلق عليها بهذه العبارة : اي ان تاريخ مولد ابن فرج قريب من تاريخ وفاة ابـي الحزم بن جهور ... فوقع في تعليقه هذا اضطراب آخر ادى الى قلب المعنى المقصود ، الذي زاده ابن الابار افصاحا فيما بعد فقال : « ولد جهور بن محمد سنة اربع وستين وثلاثمائة في المحرم وتوفى ابن فرج اثر وفاة الحكم المستنصر بالله في صفر سنة ست بعدها » . واغرب منه انه علق تعليقا آخر على هذا دون ان يتنبه .

وفي صفحة 293 ورد البيت هكذا :
صافي الصهيـل كأن في ترجيعـــه
غـــرد يغنـــي في الثقيـــل الاول

وعلق عليه بقوله : لم يرد من هذا الشطر الا الكلمات الثلاث الاولى ، هكذا : صافي الصهيل كانه ... مع ان (غرد) لا يناسب التركيب الذي اثبته

وفي صفحة 2/24 ورد البيت هكذا :
وهـذا يمـد بالحاظـه (لـــي)
وهـــذي بألبابنــــا تلعـــب

وواضح انه لا محل لـ (لي) في البيت ، فهي من الزيادات المفسدة للصنعة والمبنى .

وفي صفحة 2/39 ورد البيت هكذا :
تـرى ناظـر الظيـان في لـــون
اذا مـر مـاء السحائـب يغتـــذى

فهو كما ترى مكسور محطم ، ولعل صوابه :
ترى ناظر الظيان في حسن لونـه
اذا مـر مـاء للسحائـب يغتـــذى
اورق لـــون زهـــره ...

وفي صفحة 2/60 ورد البيت هكذا :

فان تستلذي برد ما بك بعدنا

فبعدك ما ندري متى (ما) الماء بارد

فكلمة (ما) لا محل لها كذلك ، فهي مخلة بالوزن ثقيلة على العبارة .

وفي صفحة 2/143 علق على عبارة (وكان كالذي نفخ فوه واوكت يداه) بقوله : و « نفخ فوه واوكت يداه » مثل معروف مع ان المثل المعروف هو (يداك اوكتا وفوك نفخ) والامثال لا تغير ، ولهذا حرص المعلق نفسه على ان يضع ذلك بين القوسين

وفي صفحة 2/185 يقول تعليقنا على (سباني) جمع سبنية وهي المنديل الكبير او الملاءة البيضاء ، وهو لفظ اباني مع ان الكلمة هذه عربية منسوبة الى سبن ، وهو موضع كما يقول الجغرافيون ، ينسب اليه السبنية ، ضرب من الثياب يتخذ من ثياب الكتان اغلظ ما يكون . او ان الاسبان هي المقانع الرقاق . وهذه هي المعروفة عندنا بتطوان حتى الآن ، وهي عربية قحة.

وفي صفحة 2/237 ورد تعليقان (2) و (3) لم يكن لهما لزوم لان الصفحة التالية في الكتاب تغني عنهما بوفاء اكثر منهما

وفي صفحة 2/282 وردت العبارة (وهو القائل في وسيم شاكي السلاح) فكتبت (شاك السلاح) مع تشديد الكاف .

وفي صفحة 2/311 وردت العبارة هكذا : (وهي الثالثة عشرين من غزاته) ، والصواب (وهي الثالثة والعشرون) كما تصفها كتب التواريخ (بانها الثالثة والعشرون) من غزوات المنصور ، وهذه الغزوة هي غزاته لمدينة برشلونة فكان ينبغي على الأقل ، التنبيه على ما في العبارة من تحريف

واخيرا ، نعود الى التنويه بعمل الدكتور مونس، ولا نعد هذه الملاحظات مما ينال عمله في شيء ، فتحقيق الكتب من العوائص الكبار التي لا ينجو فيها ناج ، ولو عظمت قدرته . وليس بضائر للكتاب الذي يضم سبع مائة صفحة ، ان توجد به هذه الهنات القليلة نسبيا .

وفيما يخص الاشعار ، فقد اراد ان يتخلص المحقق من عهدتها ، التي القاها على عاتق صديقنا الدكتور محمود مكي ، وهو من خيرة المثقفين ومن القلائل في الدراسات الاندلسية كذلك ، ولن يضيره كذلك ان تفوته ــ ان فاته ــ هذه الملاحظات ، فما اكثر ما غيره ، ولا نستثني نفسنا ولا نزكيها، والكمال لله وحده، وهو الذي (لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض)

تطوان ــ محمد بن تاويت

أعتاب الكتاب لابن الأبار

تحقيق الدكتور صالح الاشتر

للاستاذ : محمد بن تاويت

كان المرحوم الدكتور عبد العزيز عبد المجيد ، قد عهد الي سنة 1951 ، بالاشراف على طبع بحثه حول ابن الابار ، ومراجعة تجارب الطبع ، فكانت لي فرصة الاطلاع على شخصية ابن الابار بتفاصيلها وتاجها الادبي الذي ذكر منه الدارس كتاب « اعتاب الكتاب » واتى بعرض لمحتوياته

وقد قيض لهذا الكتاب ، ان يتولى تحقيقه ، صديقنا الدكتور صالح الاشتر ، وان ينشر من ضمن مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، سنة 1961

واذا كانت طبعة الحلة السيراء الاخيرة ، تمتاز بتعليقاتها التاريخية القيمة ، الى جانب الاخرى ، فان تعاليق هذه الطبعة لكتاب « اعتاب الكتاب » ، تمتاز بتعاليقها الادبية بوجه عام

اما التعاليق التاريخية، فقليلا ما اشار اليها المحقق، الا انه لم يهمل التنصيص على المراجع ، التي كان منها كتب التراجم والتواريخ

والى جانب هذه القيمة الادبية ، فالكتاب في نشرته هذه ، انتهى الى مشارف الكمال ، فلا نجد فيه اغلاطا ولا اخطاء الا ما ندت به المطبعة ، وهو في غالبه ينحصر في نقط الاعجام او اسقاط حرف من الكلمة ، وجميع ذلك لا يتعدى عدد الانامل

ومع هذا فلنا بعض الملاحظات على هذا العمل القيم ، يمكن ان نعلنها فيما يلي :

1) ورد في الصفحة 84 و 107 ذكر لكتاب «المعرب عن المغرب» ، فعلق عليه المحقق بان بروكلمان يذكر كتابا بهذا الاسم لابي هلال العسكري ، وقد وصلت الينا ـ يقول ـ نسخة خطية منه

هكذا ، اتى المحقق بذكر بروكلمان للكتاب الذي يحمل هذا الاسم ولكنه ذكر ان نسخة قد وصلت (الينا) ... ويظهر انه لم يقرأ هذه النسخة ، والا لكان قد نص على مكان النص الذي ساقه ابن الابار منها ، كما فعل في غيرها مما قرأه او رجع اليه

والواقع ان كتاب « المعرب عن المغرب » ، الذي عناه ابن الابار ، وذكره هكذا في الحلة السيراء مرتين، وثمان مرات اخرى مع اختلاف طفيف ، ليس لأبي هلال ، وانما هو لابي علي الحسين بن ابي سعيد عبد الرحمن بن عبيد القيرواني المعروف بالوكيل ، كما نص على ذلك ابن الابار نفسه ،في ترجمة منصور بن عبد الله ابن يزيد الحميري

2) وفي صفحة 105 وقع بتر في اول ترجمة داود القيرواني،حيث ورد النص هكذا: كتب لمحمد بن مقاتل العكي ، ثم لابراهيم بن الاغلب ، في امارتهما على افريقية ، من قبل هرون الرشيد ، باستمراره على ولايته بعد عزله بابن الاغلب ... فنجد اضطرابا في النص لم ينبه المحقق عليه ، وباطلاعنا على الحلة السيراء ، ادركنا ان بترا حصل فيه ، ويظهر انه وقع مباشرة ، بعد كلمة (الرشيد) والمذكور في الحلة ما يلي : وولي الزاب من قبل هارون الرشيد وابن العكي على افريقية ... الى ان صرف بابراهيم وتوجه الى المشرق ، فلما بلغ طرابلس ، دلس له كاتبه داود القيرواني على لسان الرشيد ، كتابا باقراره على افريقية ...

وبذلك يكون الساقط في العبارة ، نحو قوله : وكان ابن العكي لما صرف بابراهيم توجه الى المشرق ... فلما بلغ طرابلس دلس له كاتبه القيرواني هذا كتابا على لسان الرشيد

3) وفي صفحة 237 استظهر في نص من رسالة ابي محمد عبد الواحد بن ابي حفص ، وكان قد كتبت عنه سنة 604 في انتصاره على ابن غانية ، ان تكون الكلمتان الغامضتان فيها (شذو) ... (سبتة)

وقد اجهدنا انفسنا كما اجهدها المحقق ، لا محالة، في العثور على وقيعة (شذو) او نحوها ، فلم نوفق ، لكننا مع عدم هذا التوفيق نستبعد نهائيا ان يكون المكان من نواحي سبتة ، اذ حوادث هذه السنة كانت بافريقية، ولم يكن ابن ابى حفص قد انتهى الى سبتة بعد توليته على افريقية بسنة واحدة ولا كان ابن غانية قد انتهى الى ناحية من نواحي سبتة

تطوان : محمد بن تاويت



المغرب

للأستاذ عبدالله العمراني

تصدر بين الفينة والاخرى كتب عن المغرب لمؤلفين انجليز ، يكتسي بعضها صبغة البحث التاريخي ، ويتسم بعضها الاخر بالطابع السياحي ، ويهتم بعضها الثالث بغير ذلك من المباحث ذات الفائدة العامة .

وحديثا صدر عن المطبعة ووصل الى السوق الادبية بالمغرب كتاب Morocco للمستعرب الانجليزي الخبير نيفل باربر الذي نعرفه مؤلفا وكاتبا صحفيا مختصا بشؤون شمالي افريقية والشرق الاوسط خلال مدة تكاد تبلغ الاربعين سنة . وذلك بالاضافة الى مكاتبته لعدة صحف ومجلات مثل : The Economist البريطانية و Politique étrangère الباريسية و Politica Internacional الصادرة بمدريد ثم The Middle East Journal التي تصدر في واشنطون .

هذا بعض ما يتعلق بالكاتب ، اما الكتاب الذي اصدرته له شركة Thames and Hudson ضمن سلسلة «الامم والشعوب «1» الجديدة» فيقع في 239 صفحة من حجم الوسط 15×21 سم ، وهو مجلد تجليدا فخما جذابا ، ومزين بلوحات رائعة تزدان بصور ورسوم ووثائق هامة يبلغ عددها احدى وتسعين صورة او وثيقة ، وذلك علاوة على خمس خرائط توضيحية هامة ، موزعة توزيعا مناسبا على صفحات الكتاب وهي :

1 ـ الخريطة السياسية للمغرب .
2 ـ خريطة توزيع الامطار بالمغرب .
3 ـ خريطة تاريخية لحملة عقبة بن نافع «الثانية» سنة 680م «60هـ» .
4 ـ خريطة امبراطورية الموحدين سنة 1212م «608هـ» .
5 ـ الخريطة الاقتصادية للمغرب .

وكل من هذه الخرائط وتلك الصور التوضيحية تبين عن طبيعة البلاد ، وعن اوجه النشاط السياسي والاجتماعي والاقتصادي والمعماري والفني لدى اهلها في عهودهم التاريخية المختلفة .

وقد قسم المؤلف كتابه حسب ماضي المغرب وحاضره ومستقبله الى الفصول التالية : البلاد والسكان ـ الاصول ـ امبراطورية المرابطين ـ خلافة الموحدين وبني مرين ـ تصدع وترميم ـ تدهور وانسحاب ـ المنظر يتغير ـ السيادة تسترد ـ المغرب اليوم وغدا . وذلك عدا المقدمة القصيرة التي سيطلع عليها القارىء بعد قليل .

تلك هي ابواب الكتاب الرئيسية ، وقد استغرقت 217 صفحة . وتوجد زيادة على ما تقدم ملحقات اخرى تتمثل في تعليقات تحيل القارىء على المراجع التي اعتمد عليها المؤلف في تحريره للفصول 3-4-5-6-7-9 كما تتمثل في بضع صفحات

«1» صدر من هذه السلسلة ـ زيادة على الكتاب الذي نحن بصدده ـ كتب اخرى حررها مستشرقون آخرون وهي : يوغسلافيا ـ ماليزيا ـ اندونيسيا ـ الهند ـ البرازيل ـ الفلبين ـ الصين ـ جزر الهند الغربية ـ غانة ـ استراليا ـ افريقيا الوسطى ـ زيلندة الجديدة .. الخ

خصصها الكاتب للتحدث عن المراجع المختارة فذكر كتبا الفها عن المغرب كتاب من مختلف الجنسيات والعصور ، وبلغات شتى ، ثم نجد موضوعا مشتركا بين كتاب Morocco وبين سائر حلقات هذه السلسلة ويحمل عنوان : من هو ؟ يتحدث فيه مؤلفه عن الشخصيات المغربية والاجنبية التي سطع نجمها في ميدان السياسة المغربية . وختاما نجد فهرسا للاعلام شاملا للاشخاص والاماكن التي ورد ذكرها في صلب الكتاب .

لعلنا بهذا نكون قد رسمنا صورة مصغرة لما اسهم به البروفسور نيفل باربر في تزويد المعنيين بشؤون المغرب والمغاربة ، باحدى ثمار نتاجه الادبي ولعلنا نزيد الصورة ايضاحا حينما نعمد لمقدمة الكتاب نستفتيها فنتبين منها مدى ما عاناه المؤلف في بحثه التاريخي ، ونستشف المكانة التي تحتلها هذه البلاد في صف الدول الحديثة .

قال المؤلف : « المغرب هو الوحيد من بين الدول العربية الذي يتمتع بشاطىء على المحيط الاطلسي وآخر على البحر المتوسط . انه قطر ذو جمال طبيعي عظيم . وكمملكة حديثة ، استقل منذ سنة 1956 فقط ، فواجهته جميع المشكلات التي يفشر حدولها بين الدول المنبعثة ، حديثة العهد بالاستقلال . لكن المغرب يتوفر ايضا على شيء لا تتوفر عليه معظم تلك الدول وهو التاريخ العظيم عبر الماضي الى اكثر من الف سنة .

«في عام 1189م «585هـ» حينما كانت ممتلكات الحكام المغاربة تمتد من المحيط الاطلسي الى تونس ، ومن الصحراء الى نهر تاجه وابره ، عمد صلاح الدين الايوبي الشهير ــ وكان راغبا في حصار عكة ــ الى طلب مساعدة الاسطول المغربي .»

وفي سنة 1211 م «607هـ» ارسل الملك جون ملك انكلترا ، سفارة الى ملك المغرب ، بقصد طلب تامين ممتلكات التاج البريطاني في اكيتانيا «1» وحمايتها في حالة ما اذا عبر جيش اسلامي مظفر جبال البرانس ، وقد كان ذلك محتمل الوقوع حينئذ .

«اما في القرن السادس عشر ، فكانت الملكة اليزابيث الاولى ، تستورد من المغرب السكر الذي كان يستعمل في قصورها . وكانت تداعب مخيلتها فكرة قبول المساعدة المالية والمادية من المغرب ، في حالة انزال الجيوش الانكليزية بأرض البرتغال لتعزيز جانب احد المطالبين بالعرش البرتغالي ، او في حالة ما اذا ارادت ــ فيما بعد ــ مهاجمة الممتلكات الاسبانية بامريكا .

« واحدى نتائج هذا الماضي ان في المغرب ــ بالاضافة الى تنوع مناظره الطبيعية ــ عددا من آثار العصور الوسطى التي تناظر تلك التي باسبانيا وتقف برهانا ساطعا على حضارة مسلمي الغرب التي ندعوها عموما بالحضارة المغربية .

« ولتوفر المغرب على موقع جغرافي اقدره على تجنب النزعات الخارجية ، بانكماشه داخل حدوده الخاصة ، فانه استفاد من هذه الوسيلة في حماية نفسه ، والحفاظ على استقلاله خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر . ونتيجة لذلك استطاع ان يحتفظ بشكل الحياة التي كان يحياها في العصر الوسيط الى فترة الاحتلال الفرنسي الاسباني سنة 1912 «1330هـ» حيث اصبحت الحكومة ووسائل الحياة تسير وفق اساليب حديثة . ان بلاد المغرب اليوم برلمانا يتالف من مجلسين انتخب ادناهما «مجلس النواب» بطريقة التصويت العام الذي زاوله الجنسان معا . لكن استمرار العرف ووطأة التقاليد بضفيان على الحياة المغربية سحر المتناقضات .

وهنا يختم المؤلف مقدمة كتابه قائلا : « لقد حاولت في الصفحات القادمة ان ارسم صورة للمغرب الجديد ضمن اطاره التاريخي ، وليس هذا بالعمل السهل اليسير . انه منذ تنازلت بريطانيا العظمى في سنة 1904 عن اهتمامها بمستقبل المغرب لفرنسا لم تؤلف بانكلترا في الموضوع الا كتب قليلة جدا ، ولم يحاول اي منها ان يفسر حاضر المغرب بماضيه . واني لمؤمل بكتابي هذا ان اسهم في سبيل تحقيق هذه الغاية » .

من خلال هذه المقدمة تتبين لنا الطريقة العلمية الموفقة التي سلكها المؤلف في علاجه للموضوع ، كما تتضح لنا بعض آراء هذا المستعرب في المغرب وتاريخه ونهضته وعلاقاته بالدول الاجنبية المعاصرة . كل ذلك في اسلوب شائق يتحلى بخصلتين هامتين :

«1» اكيتانيا : مقاطعة بجنوب بلاد غالة « فرنسا الان» تقع بين نهر كارون والمحيط الاطلسي، وجبال البرانس .

1 ـ الصدق في البحث التاريخي الهادىء الهادف .
2 ـ الموضوعية التي قد لا تخلو من طابع سياحي رشيق .

واذا كان البروفسور باربر قد امل في آخر مقدمته ان يكون موفقا في تفسير حاضر المغرب عن طريق ماضيه ، فاننا نشاطره امله ، ونرجو ان يكون قد اصاب محز الحقيقة ، وحقق الهدف من تأليفه مسهما في اطلاع الاجيال الناطقة بالانكليزية على ارض المغرب واهله ، وفي تعريفها بتاريخه ونشاطه في مجالات الحياة المختلفة .

على ان كل هذا لايمنعنا من ابداء بعض الملاحظات التي ليس من شأنها ان تغض من قيمة هذا الكتاب الثمين .

ا ـ يجعل المؤلف تاريخ المغرب العظيم يمتد عبر الماضي الى اكثر من الف عام . ولا ندري السبب الذي جعله يقتصر على هذه المدة المحدودة ، مع ان تاريخ المغرب قد ازدهر ايضا حتى في عصور سابقة لظهور الاسلام . قد يقول قائل : ان تعبير المؤلف اللبق « باكثر » يشمل مزيدا من السنين الكثار ولكننا نرى ان هذه اللفظة لا تعني الا « النيف » اي انها لا تعدو اجزاء الالف من المئين على اعلى تقدير ، او اجزاء المئات من العشرات على ادنى تقدير .

ب ـ يبدو ان المؤلف يعتنق فكرة ان « الحماية » عملت على ترقية المغرب ، وجعله بلدا عصريا . قد تكون هذه هي الحقيقة باعتبارها واقعا ملموسا حصل، ولكن هنا نتساءل : لو ترك المغرب وشأنه ، او فتحت امامه سبل التعاون الدولي والمساعدات الفنية التي لاتمس السيادة والاستقلال ، اكان من الممكن ان يبقى متأخرا ؟ الم يكن في استطاعته ان يشق طريقه مصيبا تارة ومخطئا اخرى ، حتى يستوي دولة عصرية حديثة كما فعلت اليابان مثلا ؟

ج ـ في صفحة 220 يذكر المؤلف ان كتاب الاستقصا للناصري ، يعالج تاريخ المغرب من اقدم العصور حتى سنة 1894م . ونحن نوافق المؤلف على النهاية ، ونخالفه على البداية . ذلك ان الاستقصا يبدأ تاريخ المغرب بتاريخ الاسلام ولا يتعرض لما سبقه من عصور .

د ـ في صفحة 134 نقل المؤلف خريطة تاريخية لراسمها I. Senex الذي قسم فيها المغرب الى مملكة فاس ، ومملكة مراكش ، ومملكة سوس ، ومملكة تافيلالت . وكتب المؤلف تحت الخريطة يقول : « في القرنين 16 ، 17 كان المغرب مقسما الى ممالك منفصلة عمل على اعادة توحيدها الحكام العلويون » .

ونحن نستغرب من راسم الخريطة هذا التقسيم الذي يشعر بان هذه ممالك حقيقية كانت متعاشرة متعاصرة معترفا بعضها ببعض ، كما نندهش لتعميم المؤلف هذا التقسيم بين القرنين 16 ، 17 حيث يفهم القارىء ان المغرب في هذين القرنين كان عبارة عن هذه الممالك مجتمعة .

الحقيقة ان ليس هناك ممالك بالمعنى المفهوم من هذه الكلمة ، وان المغرب لم يكن يتوفر في كل عصر الا على مملكة شرعية واحدة . نعم قد يستولي ثائر على مدينة او اقليم ، وقد يحصل تقسيم لمناطق النفوذ بين السلطة الشرعية والثائرين عليها « كما حصل بين الوطاسيين والسعديين » او بين سلطتين كلتاهما تعتبر نفسها شرعية « كما حصل بين ابناء المنصور الذهبي » . ولكن هذه مجرد فترة عابرة لا يلبث الموقف بعدها ان ينجلي ، فيستولي الاقوى على اطراف البلاد ، وتعود المياه الى مجاريها ، وتلك سنة الله في الكون .

ونستطيع القول اخيرا ان المغرب لم يكن في مختلف ادوار حياته التاريخية وفي العهد الاسلامي على الخصوص، الا دولة واحدة وامة واحدة. قد يحصل خلاف او نزاع ، وقد ينشب قتال او حرب اهلية ، ولكنها جميعا عبارة عن سحابة صيف لا تلبث ان تنقشع ، ويعود المغرب للخضوع لسلطة شرعية واحدة من ادناه الى اقصاه .

هـ ـ في صفحة 136 صورة لرسالة من رسائل مولاي اسماعيل بن الشريف ، كتب المؤلف تحتها انها مرسلة الى لويس الرابع عشر ملك فرنسا يدعوه فيها الى الاسلام .. وفرحت كثيرا لاني ما فتئت اتمنى العثور على صورة هذه الرسالة ، بعد ان عثرت على مثيلتها التي كان مولاي اسماعيل ارسلها الى جيمس

الثاني ملك انكلترا «1» يدعــوه فيها الى الاســلام كذلــك .

بيد ان خيبة الامل لم تلبث ان اطلت براسهـا من بين سطور هذه الرسالة التي لم تكن فى الواقـع سوى رسالة عاديـة ارسلها العاهل المغربي الـى لويـس الرابع عشر فى غـرة ربيع النبـوي 1103هـ «1693م» ، يرفض فيها مقابلة المندوب الفرنسـي ويأبـى التفاوض معه قائـلا :

« اما بعد ، فاعلم انه ورد على مقامنـا العلـي بالله النصرانـي التاجر ولد اصطبله الفونص وزعم ان بيده من عندكم امرا وتفويضـا ، واستظهر لنا بمكتوب على لسانكم يدل على الاذن له فى الكلام فيما يظهر لكم لدينـا من مهماتكم واغراضكم ، ويتوسط فيمـا يعرض لكم بحضرتنـا العلية صانها الله ، فلم نشك انه مكتوبكم واذنكم ، غير انا لم نعتمد على قوله ، ولـم نـر الكلام معه فى شيء من ذلك ، لكونه تاجـرا وليس هو من خواص اصحابكم ولا من كبار خدامكم واعيانهم لديكـم ، اذ ليس من شأن التجـار الدخول فى الكلام مع الملوك .. »

ثم يقترح عليه قائلا : « فان كان لكم غـرض فى الكلام بجد وخلوص نية ، فابعث الينا واحدا مـن كبـار اصحابكم الذين يوثق بهم .. وان احببتـم ان نوجه لكـم واحدا من خيار خدامنـا وكبار اهـل بساطنـا العلي بالله ، فابعثوا لنا مركبـا يحمله مـن عندنا ونبعثه لكم بالاذن الصحيـح .

« وحاصل ما يتكلم به معكم فى هذه الاسـارى التي لكم عندنا ان نعمل لكم فيها الفداء نصرانيـا واحدا بمسلم . ولا نبتغي عندكم الا من هـو هنالـك من اهل سلا والرباط وتطاوين وفاس والقصر ومكناسة الذي اخذوا دون العشر سنيـن الى ست سنيـن الى اربع فاقل من ذلك . ومن سواهم من غير هـذه البلاد المذكـورة ومن كان فوق العشر سنين لا يتكلم معكم فيـه بشيء .. »

ويعلل مولاي اسماعيل رغبته عن تحريـر الاسارى الكبـار قائلا : « ولا عندنا هنالك اسـارى تكبر علينا مسالتهم ، او من هو معروف عندنا بوجهه الا البحريـة ومن هو من امثالهم » ويضيف مـولاي اسماعيل اقتراحا اخيرا فيقـول لملك فرنسا :

« وان اتفق رايكم على بعث من تعينونـه مـن خدامكم ، يأت معه بجميع من هو هنالك من الاسارى المذكوريـن الى قرب المرسى ، ونتفاصل معه بوجـه لائق ممكن ، ونعطيـه اساراكم ونأخذ منه المسلمين ، هذا بهذا ، ولا يرجع الا مقضي الفرض ان شاء الله.. »

اخشى ان اكون قد اطلت فى الاقتباس مـن الرسالة ، على اني ان فعلت ، فانما تحريت الفائـدة او العظـة والعبرة . والفضل فى هذه العظـة او الفائدة راجع ـ ولاشك ـ الى مستر نيفـل باربر الذي نقل لنا هذه الرسالة فى كتابه ظانا ـ وبعض الظن ليس بأثم ـ ان مولاي اسماعيل بعثها للويس 14 يدعوه فيهـا للاسـلام .

واخيرا ، اكرر ما قلته منـذ حين : ليـس من شأن هذه الملاحظات الهينة العابرة ان تحط مـن مكانة هذا المؤلف او تغض من قيمة كتابـه الذي لا يستغنـي عنـه طالـب او استـاذ او مـؤرخ او ديبلوماسي او حتى سائح . انه كتاب يغزو الاسواق ، وينبغي ان يجد مكانه اللائق فى مكتبة جميع اولئـك الذين يجيدون الانجليزيـة .

وحبذا لو تم تعريبه ، اذا لسـد ثغـرة طالمـا احس بها ابناء العروبة ممـن يتصـدون للبحث فى شؤون المغرب عبر عصوره التاريخيـة من قديمـة وحديثـة .

تطـوان ـ عبد الله العمرانـي

1» راجع بحثنا التاريخي « سياسة مولاي اسماعيل الخارجية » البحث العلمي عـدد 4،5 ص 280 ـ 301 ، الربـاط .



للأستاذ عبد القادر زمامة

اذا كانت سراديب الحياة، ورمال النسيان، تعمل عملها ضدا على الأحياء والأموات من اجل انحراف عابر .. ! او تنكر فاجر .. ! فان الوفاء في ضمير الانسان يظل فيضا لا ينضب ... ومعين حيوية لا يغيض

وجريدة « البصائر » كانت لجيل من المفكرين والسياسيين والمومنين بالقضايا المقدسة، مرآة مجلوة تنعكس على صفحاتها الرواجف والروادف من مآسي الانسان المستضعف في كل بقعة من بقاع الارض يئن من الجور .. ! ويشكو من الحرمان .. ! وتهفو نفسه الى يد منقذة .. ! او نجدة مغيثة .. !

وصاحب «البصائر» الاستاذ محمد البشير الابراهيمي ـ رحمه الله ـ كان في دنيا العرب . وقضايا الاسلام صارم حق لا يكل .. ورافع علم لا ينزل .. وخائض غمرات يدافع فيها بالحق عن الحق .. ويجادل فيها عن العقيدة بالعقيدة ..

فهو في الجزائر وطنه مجاهد ..

وهو في العلم عالم مجاهد ..

وهو في الادب اديب مجاهد ..

وهو في « البصائر » صحفي مجاهد ..

ولم يغمض عينيه حتى كان على موعد مع ثمار غرسه .. ولحق بربه بعد ان ترك فينا « عيون بصائره » ذخيرة لا تبلى جدتها .. وحديقة لا تذوى زهراتها

وسنقدم لقراء مجلتنا عرضا عن هذا الكتاب الذي لم تصل منه الى المغرب الا نسخ تعد على رؤوس الاصابع مع انه من القيمة العلمية والفكرية والادبية بالمكان الذي ينفرد به من بين ما تلفظ المطابع هنا وهناك ..

وعنوان الكتاب يرمز الى تلك المقالات القيمة التي كان الاستاذ الابراهيمي يفتتح بها « البصائر » وهي من « عيون » الانتاج الفكري والادبي من دون جدال وقد كنا نقرؤها في ابانها مثنى وثلاث ورباع ..

نستشف منها روح البيان ... ولغة القرءان ... واسلوب الجاحظ وابي حيان ...

والكتاب مطبوع طبعا جيدا بدار المعارف بالقاهرة وهو يحتوي على ما يقارب 700 صفحة و 140 مقالة ... وقد اراد المؤلف ان يبوب هذه المقالات حسب موضوعها وما ترمي اليه من مقاصد اجتماعية او سياسية او انتقادية لهيئة ما ... او شخصية ما .. على الترتيب الاتي :

1) جمعية العلماء وجهادها في فصل الدين الاسلامي عن الحكومة الافرنسية في الجزائر ...

2) من مشاكلنا الاجتماعية .

3) جمعية العلماء والسياسة الفرنسية بالجزائر .

4) جمعية العلماء والمغرب العربي .

5) جمعية العلماء وفلسطين .

6) جمعية العلماء والشرق والاسلام

7) شخصيات .. !

وهذه الابواب لا تعني شيئا سوى ان المؤلف رحمه الله اراد ان يعطينا دليلا قاطعا على ان الاهداف التي كانت ترمي اليها مقالاته هي اهداف شمولية تتناول قضايا الهيكل العام لوحدة الدين واللغة والاماني المشتركة للشعوب الاسلامية في مشرق الدنيا ومغربها .

والفصول الرائعة التي تدخل في نطاق القسم الاول من الكتاب هي وان كانت تعتبر الان فصولا ـ تاريخية ـ لتبدل الاوضاع وخروج البلاد من طور الى طور .. ولكنها بالنسبة للمفكرين والسياسيين تعد دليلا ونبراسا يجب ان يستضيئوا به في معرفة نقط الضعف ... ومركز الداء لئلا يدخلوا في تجارب اخرى ويهملوا الاستفادة من تجارب الرواد السابقين ..

ويعجبك في هذه الفصول بالاضافة الى روعة البيان صراحة المنطق .. ! ووضوح الحجة .. ! وعمق الفكرة وشمولية الهدف .

فالاستاذ البشير لا يريد للامة الاسلامية ان تغرق في بحار الشعارات .. والشكليات .. وان تحرر من جهة لتستعبد من جهات ... ولكنه يريد لها عزة حقيقية مبنية على استقامة الهدف .. واستقامة الطريق .. الى هذا الهدف مع ايمان بالمقدسات تذوب في حرارته الاغراض الشخصية . وتمحى في ظله امراض الانانية .. واعراض التقليد التي يصاب بها المغرورون والمستضعفون يوم يقال لهم : انكم على ابواب النصر ... !

وشيء ءاخر في هذه الفصول وهو تزييف الافكار ـ الجاهزة ـ والاساليب المستوردة ـ لان التهافت على هذه او تلك هو في نظر المؤلف من مميزات «القرود» ، والحالة هذه اننا لا نريد بانسانيتنا بديلا . !

ولعل القراء لا يجهلون مذهب المؤلف في ان الاسلام « وحدة » لا تتعارض فيها « مصلحة » الفرد مع مصالح الجماعة ... ولا تفرق بين السياسة والدين

فالاسلام عقيدة .. وقانون وسلوك ونظام .... وحول هذا الحصن المنيع تنطلق سهام المؤلف ترمي المغرورين والمغرضين .. تصيب منهم المفاصل والمقاتل . !

اما الفصول التي تدخل في نطاق الباب الثاني فهي تعريف بالواقع الاجتماعي .. ونقد ذاته تناول عدة قضايا « انحرافية » في الاسرة والسلوك الفردي والخلق الاجتماعي ولا سيما بالنسبة للشباب عدة الامة ورصيد المستقبل ...

واغرب ما في هذه الفصول هو ذلك الفصل الذي كتبه الاستاذ الابراهيمي بعنوان :

« دعوة صارخة الى اتحاد الاحزاب السياسية » في المعارك الانتخابية التي كانت تدور حول المجالس البلديـــة ...

وهذه بحسب الظاهر قضية « سياسية » لكن المؤلف يعتبرها قضية « اجتماعية » قبل كل اعتبار ءاخر ... وبذلك يدلنا على عمق ووعي اجتماعي متغلغل في ضمير المسلم اليقظ الذي يتخطى التشكيلات الى الجوهريات ولعل هذا هو السر في ان ءاراء ومساعي هذا الرجل ظلت محترمة ومقدرة من طرف انصار جمعيته وخصومها على السواء لانها تحمل عناصر الجدة والطرافة والتسامي عن كل انحراف .. تخلقه ظروف الشدة .. او ظروف الرخاء .. !

ونجد الفصول التي تدخل في نطاق الباب الثالث مراة تنعكس عليها « عبقرية » المكر الاستعماري بالاسلام ولغة الضاد في البلاد الجزائرية

وقد فوق الاستاذ الابراهيمي سهاما حادة الى هذه « العبقرية » فادمى جراحها .. وهدم بنيانها ، وقوض اركانها .. وفضح اسرارها .. وشكك انصارها .. حتى شمت بها الخصم .. ! وتنكر لها الصديق .. ! وصرنا نرى العمل الذي استمر قرنا من الزمان .. ! هشيما تذروه الرياح .. لانه عمل ضد طبيعة الارض يريد ان يبدل سنة الله .. « ولن تجد لسنة الله تبديلا »

وفي هذه الفصول نرى الجانب « العلني » من « سياسة » جمعية العلماء الجزائريين ومواقفها من الاحداث السياسية

وما زلت اذكر انني كنت اقرأ اعداد « البصائر » « المهربة » واقرأ فيها الى جانب الافتتاحيات تلك المقالات « السياسية » الواسعة الابعاد التي كانت تدبجها

براعة الاستاذ « ابو محمد » وهو شخصية مرموقة. وكان عنوان تلك المقالات :

« منبر السياسة العالمية »

فكنت اجد في افتتاحيات « البصائر » التركيز والعمق وفي « منبرها » الاتساع والشمول وكلاهما رائع في بابه مغذ للفكر والقلب .. يهدي الحيران .. ويروي الظمآن .. بناصع الحجة .. وساحر البيان ..

كل هذا و « البصائر » انما هي « جريدة » تتكلم بلسان جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تستمد قوتها من ايمان اصحابها وكفاحهم في سبيل تصفية العقيدة .. واحياء اللغة .. وفضح مكايد المغرضين وحماقات المغرورين .. !

وفي الباب الرابع نجد قضايا المغرب العربي بقضها وقضيضها .. وهي قضايا متشابهة .. ولكن « العبقرية » المحركة كانت تتغير لها الوانا واصباغا من المحليات والعصبيات والشخصيات والتشكيلات لتوهم البسطاء ، ان هناك « دولا » و « حكومات » و « مشاكل » عنصرية واخرى « طائفية » وثالثة «لغوية» مع انه في مثلها يقال :

« الفاظنا شتى وقبحك واحد » ولعلنا لسنا في حاجة لبسط ءاراء المؤلف في هذا الموضوع لكن « الاسلوب » الذي ظهرت به هذه القضايا .. و«العرض» المركز الذي اتسم به بيان المؤلف جعل قراءة هذه الفصول بمنزلة سياحة تقوم بها لبلاد تعرف منها الاسماء لا المسميات .. والتشكيلات لا الجوهريات

ومثل ذلك نقوله في الفصول الرائعة عن قضايا فلسطين والشرق العربي والعالم الاسلامي، لكن الطريق في هذه الفصول انها لا تسير مع تيار المفاهيم السطحية والاراء العاطفية والمخططات الخيالية ... او بعبارة ادق ان منطق الاستاذ البشير ليس منطق الببغاوات ولا منطق الاغرار .. ولا منطق المضللين المحجوبين بحجب داخلية او خارجية تمنعهم من الجهر بالحق والتصريح بالواقع .. فمشكلات العرب والمسلمين « وحدة » متصلة الحلقات في نظر الكاتب .. وكل محاولة للتجربة هي زيادة على انها غير مفيدة ولا منتجة لا تزيد المسلمين .. والعرب بصفة خاصة الا تاخرا وتدابرا وتراشقا بالتهم وسعيا وراء سراب .. !

واذا انتقلنا الى القسم السابع من الكتاب وهو قسم ـ الشخصيات نجد التقريظ والنقد لهما هالات من التحليل والدرس يشمل الجزئيات والكليات والجديات التي لا يقوم الهزل مقامها .. والهزليات التي لا يجدي فيها الجد شيئا .

واسلوب الكاتب اصيل في الهزليات ... «وهو على من صبه الله علقم » فاذا سخر من صنيعة من الصنائع او صنم من الاصنام .. واذا انتقد دجالا او مشعوذا او مفتونا او جبارا من الجبارين .. او طاغوتا من الطواغيت رايت الجبال تدك .. والارض تميد ... وصروح الاوهام تنهار .. والشيخ البشير يرسلها نكتة حارة او نادرة غريبة .. تضحك الثكلى ... وتسلي المحزون.

هذا عرض سريع عن فصول الكتاب واهدافه ... وهو لا يجديك شيئا ولا يفيدك شيئا دون التشويق لقراءة هذه التحفة الفنية والذخيرة الفكرية التي لا تقدر بثمن والتي تجدها في هذا الكتاب .

فالاديب يجد في عيون « البصائر » ثروة لغوية في الالفاظ والاساليب البيانية بعد عهده بها منذ عصر الجاحظ وابى حيان التوحيدي

والمفكر يجد في «عيون البصائر» الفكرة الناضجة والراي السديد والحجة البليغة والمنطق السليم ...
اما المصلح الاجتماعي والسياسي فيجد الحقائق الصارخة عن خفايا الداء في دنيا العرب والمسلمين ...

فاس — عبد القادر زمامة



المؤرخ الانجليزي المعاصر « ارنولـد توينبـي » اصبح ذا شهرة عالمية في فهم التاريخ القديم والحديث .. كما اصبح حجة في فلسفة التاريخ ونواميس علم الاجتماع البشري . وله اراء شهيرة في قضايا الجنسيات والقوميات ومشاكل العالم المعاصر يقدر الخبراء لها قيمتها ويحسبون لها في ابحاثهم ودراساتهم الف حساب .

وقد قرأنا له اخيرا استجوابا عظيم الاهمية اجراه معه محرر مجلة (الكاتب) تناول فيه المؤرخ الانجليزي قضايا العالم العربي من المحيط الى الخليج بما فيها المشكلة الفلسطينية ومستقبل الشرق الاوسط في الاقتصاد والاجتماع والسياسية والمعطيات الانسانية في تكاثف السكان وانتشار الثقافة والمعطيات الطبيعية في استغلال المواد الاولية من نفط وحديد وفسفاط وغيرها من كنوز الارض العربية ..

ورغم ان هذا الحديث تكتنفه جوانب سياسية يصعب على الباحث ان يدلي فيها في حديث ينشر على الناس بافكاره الصريحة .. فان توينبي استعمل لباقته في ابراز الحقائق من غير ان ينحرف عن المبادىء التي يومن بها والاراء التي عرف بالدفاع عنها في كتبه ومقالاته المختلفة منذ سنوات ..

وقد قرأت هذا الاستجواب مرتين وانوي الرجوع الى قراءته مرات اخرى كلما كنت في حاجة الى ذلك والاقبال على كتب هذا المؤرخ يزداد كل يوم ، وترجمة اثاره الى اللغات الحية ومنها اللغة العربية اصبح منتشرا هنا وهناك .. بل ان اراءه في التاريخ والحضارة موضوع اختاره احد الطلاب في بيروت ليقدم به رسالة جامعية .. بعنوان :

« التاريخ الحضاري عند توينبي » واليوم نقدم كتابا مهما هو كتاب « حرب وحضارة » .

وهذا الكتاب قبل كل شيء هو فصول مختارة وملخصة من كتابه الكبير « دراسة في التاريخ » الذي يشتمل على عدة اسفار ضخام

وموضوع الكتاب الذي نقدمه هو موضوع الحرب باعتبارها عملية حضارية تنتج نتائج خطيرة في الفكر والروح والسياسة والاقتصاد والاجتماع .

والمؤرخ الانكليزي المعاصر يؤرخ الحروب منذ فجر الانسانية في الغابات والاحراج الى عصور اليونان والفراعنة الى الحروب الصليبية الى الحروب الدينية في اروبا الى الحروب القومية الى الحروب الاستعمارية ، وفي كل مرحلة يجعل الحرب عنوان شر يتوج شرورا اخرى تسبقه ثم شرورا اخرى تلحقه ..

فالحرب شر واعظم شرورها انها تحدث فراغا في كل مقومات الحياة المادية والروحية وهذا بالاضافة الى انها السبب المباشر في محو الحضارات وطمس المعالم وغرس الانحلال والتفكك في العقائد والمبادىء

والحرب عملية مادية تستهلك الطاقات البشرية كما تستهلك المقومات الانسانية من فكر وروح وفن واخلاق ودين وعادات ..

والدليل على ذلك ما نعرفه من تاريخ العالم المعاصر بعد الحرب العالمية الاولى 1914 ــ 1918 م وبعد الحرب العالمية الثانية 1939 ــ 1945 م .

فبعد الحرب العالمية الاولى عمت الدنيا شرقا وغربا سلسلة من المآسي والنكبات وانتشرت الافكار الهدامة ولم يجد المغلوبون على امرهم وسيلة للانتقام سوى تاسيس المذاهب المعروفة التي قادت العالم مرة اخرى الى الحرب العالمية الثانية .

والمؤرخ الانكليزي يفصل في كتابه الاحداث ويعطيها التفسير الحقيقي والواقعي كما يظهر له من خلال دراساته الواسعة للقضايا العالمية منذ خمسين سنـــــة .

والعالم في نظر المؤلف ليس الا جهازا مولدا للاحداث . والتاريخ ليس الا شاشة بيضاء يحتفظ بما يرسمه المولد من صور ورسوم واشكال وقد بدأ المؤلف باستعراض عجيب لاهم الحروب التي خاضها قادة الامم من الاسكندر الى نابليون وبسمرك وهتلير .. ويعلق على كل حرب خاضتها البشرية تعاليق تكشف اسرارها ونتائجها مما يعد بحق خلاصة وافية باخبار الحروب العالمية ونتائجها ..

واهم ما يلفت النظر في هـذا الاستعراض ان المؤلف يجعل الحتمية قانونا عاما يطبقه بدقة لا شذوذ فيها على الرومان واليونان والفرس والعرب واللاتينيين والانجلوسكسونيين .

وهذه الحتمية هي ان الحرب تاج الحضارة وهي في الوقت نفسه سلاح تسله الحضارة على نفسها لتهدم في ايام معدودة ما شيدته في قرون طويلة .

والغريب المستغرب ان المؤلف الانكليزي عمد الى القارة الاسيوية واخذ جزءها الشرقي شعوب الصين واليابان وكوريا وشعوب الهـند .. والتركستـان .. والفرس والافغان بالاضافة الى جزائر المحيط الهادي ورسم لهذه الشعوب اطارا واسعا في اصولها واجناسها ولغاتها وثقافتها ودياناتها ثم سلط عليها اشعة من : حتمية التاريخ التي يؤمن بها كقانون ونظام عـام .. وجعـل الحروب التي خاضتها هذه الشعوب هي نقطة البداية والنهاية في تاريخها المعلوم والمجهول .. بل ان الصراع الديني بين البوذية والبرهمية والوثنية اعطاه المؤلف اطار الحرب التي تحيي ما تحيى من الامم وتميت ما تميـــــت ..

فلولا الحروب التي خاضها ملوك الصين والهـند واليابان والتركستان لما وجدت هذه الوحدات السياسية والدينية التي تجمع هي الاخرى وحدات صغرى تسير في فلكها طوعا او كرها .

واذا قلنا ان هذه الفصول عن اسيا الشرقيـه هـي احسن وادق واجمل ما في الكتاب لم نكن مبالغين ولا مجازفيـــــن .

والنزعة الانسانية لها صداها البعيد في الكتاب وفي جل فصوله ولهذه النزعة مظهران .

الاول : ان المؤلف لا يشعر بعقدة نفسية حينما يؤرخ لاعداء بلاده التاريخيين . في كل من اسيـــا واوروبـــا .

الثاني : ان المؤلف يصب جام غضبه على الاستعمار بجميع الوانه واشكاله في القديم والحديث بما في ذلك الاستعمار البريطاني .

ولقد اقشعر جلدي حينما قرات ما كتبه عن اعمال المؤسسة الانكليزية التجارية التي اقيمت في ميناء « شانكاي » من بلاد الصين ، وهذه المؤسسة الاستعمارية الكبرى التي قادت الامبراطورية البريطانية الى شن حرب استعمارية ظالمـة تعرف في التاريخ السياسـي (بحرب الافيون) بين سنتي 1840 و 1842 م . كما ان اعمال الطغاة والجبابرة يندد بها المؤلف تنديدا يرفعه احيانا الى اسمى درجات التفكير الانساني الحي ..

بعد هذا العرض العام نتساءل :

هل وفق الكاتب الانكليزي الى معرفة الحقيقـة عن العالم العربي والاسلامي .. كما وفق الى معرفـة الحقيقة عن العالم المسيحي والوثني .. ؟

والجواب ان المؤلف وفق الى فهم التاريـــخ المعاصر والقديم لا فرق بين الاوضاع المختلفة والاوطان المتباعدة .. والديانات والافكار المتناقضة .. او بعبارة ادق ان المؤلف يعرف الحسنات والسيئات كما يعرف نقط الضعف والقوة والصلاح والفساد عند الاقوياء والضعفاء

على السواء . وهذا ما يعطي لاراء المؤلف صفة الشمولية والاستيعاب والتجرد الممكن .

وقبل ان نودع هذا الكتاب يجب ان نلخص افكار المؤلف الاساسية عن الحرب والحضارة في هذه النقط الثلاث :

الاولى : ان الحرب تهدم الحضارات والثقافات والاخلاق والعادات وهي في الوقت نفسه الوسيلة الوحيدة لتجديد المفاهيم وتكوين الوحدات والثقافات والحضارات بطريقة اخرى .

الثانية : ان الصراع البشري في مختلف ارجاء العالم قديما وحديثا يبتديء بحرب وينتهي باخرى .

الثالثة : ان العالم الحديث بعد الحرب العالمية الثانية وظهور الطاقات السرية : النووية والذرية ادرك خطورة الاسلحة التي يملكها فقام قادته يدعون الى السلام والتفاهم بين الشعوب ولكن السلام لن يتحقق الا اذا اصبح حقيقة يومن بها القوي والضعيف وهذا يتوقف قبل كل شيء على عاملين :

1 – تصفية الاستعمار ومحو آثاره .

2 – بعث العقيدة الروحية في نفس الافراد والجماعات .

فتصفية الاستعمار وآثاره يحل العقد العديدة التي زرعت السيطرة في نفوس الاقوياء وروح الحقد والانتقام في نفوس الضعفاء . وبعث العقيدة الروحية وسيلة لتفاهم الشعوب على اساس ان الانسان اخ الانسان وان المادة وسيلة غايتها الخير والمحبة والسلام .

فاس – عبد القادر زمامة

رواية في الدار البيضاء

بقلم : أحمد باكو

يحب الانسان ماضي حياته ويعزه ، بنفس القوة التي يحب بها مستقبلها واستمرارها ، فكما يحرص اشد الحرص على عدم انقطاعها بتوقي الموت ، كذلك يحرص اشد الحرص على «استمرار» ماضيه ، وعدم فنائه في النسيان ، فيبعثه حيا بالاسلوب الذي يطيق ، وبهذه النزعة نثرثر كثيرا بالحديث عن حياتنا وتجاربنا ، وبها ايضا يكتب القادرون منا مؤلفات يترجمون بها لانفسهم .

وقد استجاب احد ابناء الدار البيضاء ، الاخ احمد السباعي البكري ، لهذه النزعة في نفسه ، فاراد ان يحدثنا عن حياته وماضيه ، ولم يقنع بان يرضي هذا الدافع كما يرضيه العاديون من الناس ، بل سمت نفسه الى ان يكتب سيرته « ويرويها » فنيا ويسجلها بين دفتي كتاب ، ولهذه الغاية اخرج للقراء روايته « بوتقة الحياة » متجشما في ذلك كثيرا من المشاق ومتحملا كثيرا من التضحيات

وبديهي انه لا جناح على الكاتب ان يكتب سيرته بالاسلوب الذي يريد ، ولا سلطان للنقد عليه ، في الزامه باسلوب معين من الاساليب التي يكتب بها المؤلفون عن انفسهم .

ويبدو ان المؤلف اختار اسلوب القصة او الرواية لذلك ، وهذا يبدو واضحا من الفقرة التي ظهر بها كتابه ، حيث يقول : « قصة مستمدة من صميم الواقع المغربي ، ومنتزعة من محيط زاخر بالمشاكل ، مليء بمفاجآت ، اقل ما يقال عنها انها تعكس صورة مرآوية للمجتمع المغربي وتجسد ماساة اسرة ، تمثل نموذجا من الصراع ، جديرا بأن يقرأ ويدرس » .

فالكاتب اذن يدعونا الى قصة او رواية بالمعنى الفني للكلمة ، وليس الى مذكرات او ترجمة شخصية ، تسرد الاخبار من غير اهتمام بالبناء الروائي والتصوير الفني للاحداث والشخصيات .

ويستعرض الكتاب حياة تدور بين اشخاص هم احمد، كبير الاسرة، وشقيقه حسن، واخته رقية، واشقاء آخرون لم يحركهم المؤلف ، ثم الام عائشة والاب عمر، وهناك اشخاص آخرون يرتبطون بالاسرة عن طريق القرابة كالعمة او الصداقة والحب كالفقيه حمزة صديق الاب وبنته حبيبة والعلل التي تصرف هؤلاء الاشخاص ، هي الفقر والحب والجهل والموت ، فالاسرة فقيرة والاب والام يخاصمون العصر ويقاطعونه ايضا ، فيحرمون ابناءهما من المؤهلات الضرورية للعيش ، وخصوصا بكرهما احمد الذي يتعذب كثيرا بالحرمان من شهادة تعطيه الاعتبار اللازم بين الاقران ، وتمكنه من كسب قوته ، ويطرق الموت باب الاسرة اكثر من مرة في عنف ومخاشنة ، فتطيش رصاصة من جندي استعماري اثناء حوادث الفداء بالبيضاء ، فتردي قريبين من اقرباء الاسرة ، هم اخو الاب وبنته ، وهما في طريقهما الى منزل الاسرة ، بقصد الاتفاق على خطبة البنت لصغير الاسرة حسن ، وتتعرض العمة لحادثة تودي بحياتها ، والاسرة في احتفال وفرح ، فينقلب فرحها ماتما ، ثم يلتحق الاب باخويه العم والعمة تاركا وراءه اسرة يتيمة عاجزة ، ويتعلق صغير الاسرة حسن تعلقا طائشا ببنت صديق اسرة ، الشيخ حمزة ، ينتهي بماساة خلقية .. والقدر من وراء كل هذه الاحداث ، ساخر شامت عابث ، انه يقسو ولدرجة ان يتدخل ليحرم احمد من وظيف في التعليم بعد ان كد في سبيله وفرح بنيله وسعد به وسعدت به الاسرة .

ونرى من ذلك انه كان لدى المؤلف احداث دسمة صالحة للرواية والقص ، كما كان بين يديه

نماذج من الاشخاص صالحة للتحليل والبسط والاحياء ولكن هذه الدسامة والحيوية ضاعت من يد المؤلـــف الذي نسي انه دعـا الناس في ظهر كتابه الى قصـــة جعل حياته موضوعها ، وليس الى مذكرات تخبـر وتـــرد من غيـر وصف ولا تحليـل فنـي .

ويبدو ان غرض المؤلف المزدوج ، هو الـــذي افسد عليه عمله الذي تكبد في سبيله مشقات لا ينبغي غمطها ، فقد اتجهت نيته الى كتابة سيرته ، واتجهت نيته كذلك الى كتابة قصة ، واراد ان يحقـــق الرغبتيـن معا ، بجعل سيرته موضوعا لقصته ، ولكن رغبته الاولى هي التي غلبت ، بحيث كان في اغلـب الاحيان يخلص للنيةالاولى اكثرمما يخلص النية الثانية فاهتم بسرد اخبار حياته ، اكثر مما اهتم بالتحليـل والاحيـاء الروائي للاحداث ، ولذلـك خرجت اغلب احداث حياته من قلمه بدون تصوير روائي ، كما ان بعض الشخصيـات التـي شخصت هذه الاحداث ، لم تستطع ان تخرج من قلمه حيـة بالقدر الذي يجب في روايـة .

فمنذ بداية القصة تستبد بالمؤلف نيته الاولـى فيحس القارىء بالسرد حينما يخبر انه بصدد التاريخ لما مضى من حياتـه ، ويقول كلاما يكتب عـادة ، ان كان لابد ان يكتب ، في مقدمات منفصلة عن القصـة « الفقرة الثالثة من الصفحة الخامسة » ، وعندما يصل به الحديث الى والدته عائشة ، يخرج في نشاز ليدعو لها بالبقـاء «ص7» وهذا سير مع اسلـوب المذكرات ، ينافي تمام المنافاة اسلوب الروايـة ، لان فيه سبق اخبار شيء يجب ان يترك الى ان يستنتج في حينــه ، اذ الروايـة يجب ان تسيـر في نموهـا كالحيـاة تماما .

ويعاني بيت المؤلف احداثا ثقيلة ، فتنزل بـــه ثلاث وفيـات او اربع ، مرت كلها في الروايـة ، دون ان تترك في نفسي ثقل المأساة الذي يتركه المـوت ، عندما يخطف منا القريب والعزيز وما اظن السبب في ذلك الا ان المؤلف لم يصور لنا هذه المصائب تصويرا روائيا يحييها ويجسمها بالقدر الذي يجب ، مستسلما لنيته الاولـى .

وقد كانت احداث الروايـة معاصرة لفتـــرة عصيبة من حياة بلادنـا وحياة الـدار البيضـاء ، بالخصوص، هي احداث المقاومة والعسف الاستعماري، واحداث الاستقلال من بعد ، ولكني لم اجد لهـــذه الاحداث الا ظلا لا يغنـي ولا يشبع من يقرا قصة او روايـة . وبديهي انني لا اكلف المؤلف ان يعطي قائمة بالاحداث التي وقعت ، ولكنه كان يجب ان يعكس هذه الاحداث على اشخاص الروايـة ، على الحيـــاة الخاصـة للاسرة ، لندرك منها اثر هذه الفترة مـــن تاريخنـا في النفوس ، وقد ربط المؤلف حقا بعـــض الربط بين احداث هذه الفتـرة وحياة الاسرة حينمـا قرانـا ان رصاصة طاشت فافقدت الاسرة اثنيـن من اقربائها ، ولكن هذا القدر البسيط من الربــــط لا يكفي ولا يشبع في روايـة كما اسلفت .

وكان بيد المؤلف شخصيـات نموذجية مختلفة المشارب ومألوفـة لدينـا جميعا ، كنت اترقب منـه ان يهتم بها ويحللها ويكبرها ، لتحفظ لنا روايتـــه بعض معالمها وسلوكها ، لاسيما وقد اوشك بعـض هذه المعالم ان ينقرض تحت طغيـان تقاليد او بـدع المدينة الجديدة ، ولكنه لم يفعل شيئا من ذلك بالقدر الذي يجب ، او بالقدر الذي كنت اتوقعه .

وقد احسست وانا اختـم الروايـة ، قراءة ، بضيق نفسي سببه ان المؤلف وقف بنا في كتابه حيث لا ينبغي ان يقف ، فقد تعقدت الحياة التي يقصهـا في صفحات الكتاب الاخيرة تعقدا يعتبر بداية لاحـداث جديدة ، لم نعلم شيئـا عن نتيجتها ، فالاخ حســـن يدخل السجن جزاء عدوانه على جارته والصديـــق الاستاذ عزيز يتنكر في وقت الشدة ، ويخيب امـــل احمد في الوظيف فيجيئه اعلام من وزارة التعليـم باستغنائها عنه ، لفحص طبي ، وطبيعي ان تتـــوق النفس الى معرفة ما آل اليه امر هذه الاسرة ، وكيف تطورت بها الاحداث ، وان يتوقع القارىء من المؤلف خبر ذلك ، لانه لا يجهله ولا مغزى لان يتجاهله ، اذ انه يكتب قصة طويلة لا اقصوصة ، وقصة كاملـــة لا حلقة في مسلسلة ، ولذلك كان الختم ناشزا ، ولاشك ان الذين يعرفون المؤلف سيعجبون اكثر من غيرهـم لهذا البتر ، اذ انهم يعرفون انه دفع كتابه الى الطبـع وهو موظف ناجح في وزارة التربية ، ومن كسبه مـــن هذا الوظيف استطاع ان يمول طبع كتابه الـــذي بين يديهم الان ، وسيعجب اكثر من هؤلاء اولئك الذين يعرفونه عن كثب ، ويعرفون مـن شـؤون اسرتـــه وحياتـه الخاصـة ما لا نعرف ، حين يجدون المؤلف حجب عنهم كثيرا من الاحداث ، التي جدت بعد خاتمة القصـة ، ويبدو هذا النشاز ، سواء اعتبرنـــا « بوتقـة الحياة » قصـة ، كمـا ارادها المؤلف ، او سيـرة ذاتيـة كما هي واقعـا ، بل ان الخاتمة بهذا

الاخيـر انشر ، فاذا كان بعض الروائيين يتعمد احيانا الوقوف بالروايـة وقوفا ليس فيه ـ ظاهريا ـ اخبار بالنتيجة لمغزى معين يبرر ذلك ولا يخفى امره علـى القاريء ، فان الامر بالنسبةللسيرة الذاتية يختلف، اذ يتحتم على من يكتب ان يصل بالاحداث الى الايام الاخيرة من حياته ، ولذلك نجـد كثيرا من كتاب السيـرة يضيفون الى سيرتهم ما جد في حياتهم ، اذ امتد بهـم العمر ، في طبعات لاحقـة ، ونذكر ان المرحوم سلامـة موسى اضاف الى سيرتـه « تربية سلامة موسى » في طبعتها الاخيرة صفحات كثيرة الحق بها ما انضاف الى حياتـه من احداث ، ونذكر كذلك الجزء الثالث من « ايـام » طه حسيـن الـذي يترقبـه القراء ، ويعكف مؤلف « الايـام » على انجـازه .

استطيع ان اجمع ما سبق في ان « بوتقـــة الحياة » تذبذبت بين السيرة الذاتية ، او المذكرات ، وبين القصـــة ، وانها اخذت من فن السيـــرة كثيرا من السمات ولم تاخذ من فن القصـــة ، الا بعض سماتها، ولذلك لا اجد مفرا من ان انسبها الى ذلك الفن دون هذا

* * *

ارجو بعد هذا ان يتسع صدر المؤلف لكلام آخر بقي حول الاسلوب اللغوي الذي اختـار ان يكتب به ، لقد اصطنـع الاخ السباعـي اسلوبـا خاصـا في التعبير اللغوي ، لا يقنع فيه بالكلمات المتداولة ، وانما يحرص على انتقاء كلمات وتراكيب ومشتقات ، غيـر مالوفة في الاسلوب العام ، وهذا منهـج حسـن ، تمكن به المؤلف من تجنب اللغة المبتذلة ، التي يقنـع بها كثير من الذين يكتبون ويكسلون عن انتقاء الكلمات الجيدة، والتراكيب المتينة، ولكن في هذا المنهج مزلقاقد يؤدي بمستعمله ، رغم اجتهاده ، الى ان يملا كتابتـه برداءة اخـرى لا تقل عن رداءة الابتذال ، فعندمـا يفرط الكاتب ويلح ، في ان يستعمل كل كلمة غريبـة يعرفها ، وكل تركيب غير مالوف يستطيع ابتكـاره فان ذلك يؤدي به الى ان يقع فيما يقع فيه كسالـى الكتاب فيقبح كلامه باجتهاده كما قبحوه هـــم بكسلهم ، وقد كان المؤلف يفرط احيانا في التـزام منهجه ، فيحرص على استعمال الكلمة الغريبة ولـو كانت مهجورة ، بسبب عيب فيها ، وعلى استعمـال التركيب المعقد الذي ينفر ولا يجذب والغرابة والتعقيد كلاهما عيب يذهب ببلاغة الكلام ، كما لا يخفى ، ومـن الامثلة على ذلك استعمال كلمة مائق ، بدلا من مرادفها المشهور ، احمق في قوله : « لا ينكر خطره الا مائـق مفتون » ، واستعمال كلمة حزيز في قوله : « كمـا لو كنت صخرة صماء ، قدت مـن ارض حزيـز » وهي كلمةغيرظاهرة المعنى،وتصغيرافعل التفضيل في قوله «ما احيلى ذكرها على القلوب » بدلا من « ما احلى » ـ واشك في سلامة هذا التعبير لغويا ـ ومن الاغـرب ايضا ، قوله متحدثا على لسان شقيقـه حسـن : «فوعالم السر والجهر لو كتب لك الاختلاء بواحـدة منهـن ..» هذا قسم ضخم ، لا يناسب مقتضـى الحال ، ولو استعمل بدله صيغـة القسم البسيطـة «والله» لكان انسب ، لاسيما وان الذي قيلت على لسانه ، ليس قائد عسكر يخطب جنده ، ومثلـــه ايضا قول الاستاذ عزيز في محاورة اخرى « والـذي نفسي بيـده » .

وبجانب هذه الغرابة ، فان المؤلف ، كان يرتكب غرابة التركيب ايضا ، ومن ذلك قوله : « بام اذنيه » ولعله قاس فيه على «ام راسه » وقوله « ومحـــرم على كليهما تحريما لا يشق له غبار » وقوله « وضعت ذرعـا بلا سببية جدواي» وقوله «انه في قامـوس معجمي بمثابة مشكلة عويصة » والغريب ان حافـره كان يقع ، في الغرابة احيانا على حافر السرياليين كما يظهر من هذا التعبير « في الوقت الـذي تغوص في عمق المشاكـل وقمة الازمات » فهو يعطف « القمة » على « العمق » المعمولة لفعل تغوص ، وهذا يؤدي الى ان يكون الغوص في القمة ، وهذا اشبه بمجـازات السرياليين الغريبـة .

ومن تمام الحديث عن لغة المؤلف ان الاحظ ان قلمه وقع في بعض الاخطاء التي تمنعها قواعـد اللغـة، وقد كنت اظن ان تمكنه من اللغـــة سيعصمه منها ، ومن ذلك استعمال « نادل » لخادم المقهى وصوابـــه ندل ، على وزن كتب « ج : كتاب » ، واستعمال « بعد» مع « لما » النافية في قوله « لما يصل بعـد » والصواب حذفها ، لان لما تفيد بذاتها توقع حدوث المنفـــي مستقبلا، وبهذا تتميزعن«لم» واستعمال«المجفاوتين» في قوله : « ومسح بيده المجفاوتين علـى راسي ..» والصواب المجفوين بدون تاء ، كحمراء وحمراوين ، واستعمال التحبيب مصدرا للفعل تحبب في قولــــه « تحبيبي للنساء » في حين ان الفعل المقصـود هـو تحبب وليس حبب ، والصواب هو تحببي للنساء .

وكان المؤلف كذلك يكثر من المترادفات ، فيعبـر عن المعنى الواحد بكلمتين ، او جملتين من غير داع .

رجعت الى نفسي بعد هذا ، لانظر الى « بوتقة الحياة » بمقياس آخر ، مقياس الخطوة الاولى والانتاج الاول ، بعد ان تبين لي انني اهملت هذا الاعتبار ، وان اهمالي ربما يؤدي ان يكون في الاراء السالفة ، بعض العسف وبعض الحيف .

من المعروف تاريخيا في حياة كل كاتب ، ان خطوته الاولى كانت متعثرة ، واذا كنا نرضى عن كثير من الاعمال الاولى للادباء بعد اشتهارهم ، فلان الاعجاب الاتي من المجد الذي يدركه الكاتب بعد نضجه ، يعمينا عن تبين ما في تلك الاعمال من عثرات ، بل قد يدفعنا ذلك الى ان نغفرها وان نتبناها ، يضاف الى هذا ان اهتمام النقد بهذه الاعمال تاريخيا يعطيها قيمة تدفعنا الى نسيان انحطاط قيمتها الفنية .

وقد تحدث محمود تيمور عن قصته الاولى، فقال ان من حسن الحظ انها لم تنشر ليقراها الناس ، ويسمي نجيب محفوظ اليوم روايته الاولى « عبث الاقدار » « عبث الاطفال » ورغم هذا فقد اهتم بها سلامة موسى ، وشجعه على نشرها .

ان في « بوتقة الحياة » ناحية مهمة ، لم التفت اليها لحد الان ، هي انها العمل الاول لمؤلفها، وهذا اعتبار نظلم المؤلف كثيرا اذا لم نلتفت اليه، بل ان النقد يجب ان يحتكم كثيرا مع الاعمال الاولى ، لان مهمته يجب ان تسمو الى خلق الادب او خلق الاديب ، ولا ينبغي ان تحتبس في مجرد تقويم ما ينتج وتقديمه في سلبية ، ولا تبرز هذه الغاية للنقد في محل كما تبرز حين يلتقي بالانتاج الاول يبحثه ويعرف به ؛

وبهدي هذا ارى ان الاجدى ان نبحث عن العوامل التي ادت الى ان يجيء العمل الاول للاخ السباعي دون ما يجب ان يكون .

واعتقد ان اهم عامل تسبب في ذلك هو ان مؤلف « البوتقة » جعل حياته موضوع قصته ، وهذا مزلق كبير تعترف فيه كثير من المواهب ، وقد سبق المرحوم الدكتور محمد مندور الى التنبيه الى ذلك منذ عدة سنوات ، عندما تولى فحص قصص المتبارين في مسابقة للقصة في القاهرة ، فلاحظ ان اغلب الكاتبين ، استمدوا مواضع قصصهم من واقعهم الخاص ، فجاءت كلها مبتذلة بدون اصالة،

ولاحظ الدكتور مندور كذلك « ان القصة من عمل النضج ، واذا استطاع الشباب الغض ان ينبغ في الشعر والموسيقى مثلا ، فانه قلما يستطيع ذلك في فن القصة والاقصوصة «1» وخلص من ذلك ، الى لوم الذين يتهافتون على حياتهم الخاصة ، وتجاربهم الذاتية ، يتخذونها موضوعا لتجاربهم الاولى في القصة ، ونصح من يريد البدء في كتابة القصة ، باختيار المواضيع التاريخية ، لانها تساعد الكاتب على التمرن على البناء القصصي والتصميم الفكري للقصة والملاحظ ان هذا هو المنهج الذي سلكه نجيب محفوظ ، فبدأ بالتاريخ وجاء ليصور الواقع وهو اعظم ما يكون نضجا واقتدارا .

وبهدي هذا ايضا ، يجب ان نلتفت الى صفات المؤلف وصفات كتابه ، ان « بوتقة الحياة » ليس عملا فاشلا لا قيمة له ، بل هو كتاب يجب ان نقراه وان نهتم به جميعا ، ان لم يكن لاجل المتعة ، فلاجل دراسته وتكوين وجهة نظر عنه ، لنكون على بينة من سيرنا الثقافي ، ولن اسمح شخصيا لقاريء، بان يسلم بملاحظاتي السابقة ، ويستلخص منها حكما يقتنع به ويفشيه ، دون ان يقرا الكتاب ، ليكون عنه رايه الخاص ، ويعرف مدى صحة ملاحظاتي السالفة حوله .

ولا ننسى للمؤلف انه تفوق علينا بالعمل نحن كسالى الدار البيضاء الذين يظلون ينتظرون من يعمل لينقدوه ، دون ان يعملوا ويعطوا من عندهم ما ينقد ، «وما اسهل النقد وما اشق الفن » كما يقول « بوالو » ولا ننسى له كذلك انه حرك ركود مدينتنا العقيم واعطاها رواية تنتسب اليها ، ولا ننسى له اخيرا حسنته الكبرى وهي انه تحمل في نشر كتابه تضحيات سادية ، وآثره بنقوده على كثير من الضروريات ، والكماليات الضرورية ، في مدينة لا تترك فيها نفقات اللهو لدى الشباب ، درهما لشراء مجلة ، فضلا عن نشر كتاب .

ورجائي من المؤلف ان يكون صبورا معي ، ولا يغضبه ما كان عليه مما سلف ، فهو وجهة نظر خاصة ، وليس اجماعا معصوما ، ولا اكتمه ان خلقه الطيب وتواضعه جراني عليه كثيرا ، وحثا هذا القلم ، على الطبعة الاولى سنة 1958 ص 42 .

الدار البيضاء ــ احمد باكو

1» د. مندور « قضايا جديدة في ادبنا الحديث »الطبعة الاولى سنة 1958 ص : 42



تأليف الأستاذ محمد بن شريفة

عرض وتلخيص الاستاذ: محمد اديب السلاوي

تاريخ المغرب القديم، والمعاصر، عرف الكثير من الادباء، والعلماء والفقهاء، الذين كرسوا جهودهم، وبذلوا طاقتهم من اجل انماء الحضارة الاسلامية، بمدلولاتها الفلسفية والادبية والمادية هنا في النط الغربي للعروبة.

فجهود ابناء المغرب ابتداء من قيام الدولة الادريسية الى اليوم، ولو انها ما زالت متجاهلة في الشرق العربي، فانها في مجموعها لا تقل اهمية ولا مكانة عن جهود ابناء الشرق الاعزاء الذين نفتخر بمعرفتنا ونعتز باطلاعنا على تراثهم الذي نعتبره تراثنا المشترك سواء منه الفلسفي، او الادبي او الديني..

فالمغرب عرف في مختلف العصور نهضات فكرية ذات قيم ومثل انسانية ما زال صداها يتردد مع المنتوج الفكري العالمي، ولو ان هذه النهضات لم تنعكس على الدراسات الجديدة التي ظهرت حول تاريخ الثقافة العربية في الشرق، ولم يذكر لها اثر في كتب تاريخ الادب العربي التي دونت اخيرا في دمشق والقاهرة وبغداد فانها اخذت باهتمام رجال الاستشراق في فرنسا وايطاليا واسبانيا، ابتداء من اواخر القرن التاسع عشر، حيث اخذ هذا الاهتمام يتزايد في صمت الى ان اصبح ما دونه رجال الاستشراق عن الفكر المغربي خلال مدة وجيزة يشكل تراثا حضاريا قيما، وحلقة من اخصب الحلقات الفكرية الانسانية.

واذا كان رجال البحث المغاربة اليوم يتوجهون باللوم الى رجال الفكر في الشرق العربي الذين اهملوا ما للتراث العربي في المغرب من قيم، ومن خصوبة ومن مثل رفيعة في كتبهم ودراساتهم حول الادب والفكر العربيين، فان من البديهي ان يتوجه الباحثون المغاربة باللوم لانفسهم ايضا لعدم اهتمامهم هم ايضا بالبحث عن التراث المتشتت في زوايا الاهمال، والنسيان..

والكتاب الذي بين ايدينا اليوم، ولو انه جاء دراسة جامعية، اذ تقدم به الاستاذ محمد بن شريفة لنيل دبلوم الدراسات العليا، فانه فتح اعيننا على ما للتراث المغربي من خصوبة، ونظرة انسانية، وما للمغاربة والمشارقة معا من اهمال لهذا التراث الانساني القيم، كما وضع ايدينا على الطريقة المثلى التي يجب ان نتخذها للبحث عن تراثنا، واستخراجه واحيائه، ويكفي للدلالة على ذلك ما اكده الاستاذ محمد الفاسي رئيس جامعة محمد الخامس الذي قدم هذا الكتاب والذي اعتبر دراسة المؤلف لحياة واثار ابي المطرف اهم ما صدر عن باحث مغربي في العصر الحاضر، ذلك لان المنهج الذي اتخذه الاستاذ ابن شريفة في بحثه اعتمد لاستيعاب لكل ما يتعلق بابي المطرف في كتب الادب والتاريخ، واستقصائه لكل المراجع المطبوعة والمخطوطة التي استطاع الاضطلاع بها، بالاضافة الى مناقشته لمختلف النصوص المتصلة بحياته، ونسبه، وتاليفه، وتنقلاته، مناقشة علمية منهجية الشيء الذي اعطى طابع الجدة لهذه الدراسة، والشيء الذي ميزها عن باقي الدراسات الاخرى المتعلقة بتراثنا المغربي.

* * *

فمن هو احمد بن عميرة المخزومي الملقب بابي المطرف؟...

ما هي حياته؟ وما هي آثاره؟.

ذلك هو موضوع هذه الدراسة القيمة التي صدرت للاستاذ محمد بن شريفة ضمن منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي فى اطار احياء التراث المغربي .

* * *

ابن عميرة من ابرز اعلام الفكر الاندلسي ، ازداد حسب ما تؤكده العديد من المصادر الاندلسية والعربية في جزيرة شقر ، في شهر رمضان عام 582 هـ 1186 م حيث ادرك احفل العصور احداثا تاريخية في الغرب الاسلامي عامة ، والاندلس خاصة ، فحين ولد كانت الدولة الموحدية في اوج عظمتها وقوتها ، وكانت المساحة الجغرافية التي تشغلها تمتد من حدود مصر الى التخوم المجاورة للممالك المسيحية في الاندلس

وبجزيرة شقر نشأ ، وتلقى تعليمه الاول بها ، وفي جزيرة بلنسية في شرق الاندلس اتم تعليمه العالي حيث جالس هناك العديد من اعلام الادب والثقافة في الاندلس ، امثال الشيخ علي ابن ابي الربيع الكلاعي ، واحمد بن واجب القيسي ، والاديب الفقيه عمر بن عات الشاطبي ، وابي بكر عزيز بن خطاب وغيرهم من اعلام الادب والفلسفة والفقه في عصره

ولندرك المستوى الثقافي الذي حصل عليه ابو المطرف احمد بن عميرة المخزومي ، اورد لنا المؤلف بجانب سرده لحياة المترجم له بدقة ، وبمناقشة تامة للنصوص ، وباثبات كل المراجع المتصلة بالموضوع ، مدخلا تاريخيا للناحية السياسية ، والحالة الثقافية التي ميزت العصر الذي نشأ فيه ابن عميرة المخزومي متعلما، وطالبا ، فأكد ان الحياة الثقافية في عهد الموحدين وصلت ذروتها العليا ، وبلغت مداها البعيد الذي جمع زبدة الحقب الماضية ، وعاشت على زاده العصور التالية، اذ استوت في ذلك العصر ، الشخصية العلمية للغرب الاسلامي في صورتها التامة ، وازدهرت الوان المعرفة، وكثر عدد العلماء ، وظهر قدر كبير من المؤلفات في كل علم وفن ، كما اورد الكثير من اسماء الاعلام ، وعناوين المؤلفات القيمة التي زخر بها ذلك العصر ، ووقف على بعض الامثلة الادبية والعلمية التي ميزت عصر ابن عميرة من خلال مناقشته للمراجع التاريخية المطبوعة والمخطوطة التي وصلتنا عن ذلك العصر الزاخر .

ومن خلال اراء رجال الاستشراق ، وبعض رجال الفكر العرب الذين افتتنوا بالفكر الاندلسي وانكبوا على دراسته واحياء تراثه في هذه الفترة الزاخرة بالاحداث ، والمشرقة بالانوار الفكرية عموما والادبية على الخصوص يجول بنا المؤلف جولة علمية تامة مزخرفة بالمراجع والمصادر على مختلف ازمنتها ، ولغاتها في عصر ابن عميرة ، ونشأته ، ودراسته ، ونسبه، وبلده ، واسرته ، ويقف بنا وقفة ليست بالقصيرة على حياته الادارية ، وهي الحياة التي مارسها ابن عميرة بعد اتمام تعليمه مباشرة ، وهي حياة متقطعة ، ومتفرقة بين السياسية والادبية التي لاتخلو من اهمية تاريخية بالنسبة للباحث في هذه الحقبة الخطيرة من تاريخ المغرب في العصور المتاخرة ..

* * *

ففي سنة 607 هـ فرغ ابن عميرة من حياة الدرس والتحصيل ورسم لنفسه خطة للعيش ، فالتزم ارضاء طموحه الادبي ، وقرر احتراف الكتابة لما كانت توفره لصاحبها من الثراء والجاه والنفوذ في المجتمع الاندلسي، فالتحق على التو بدار الامارة بحاضرة بلنسية ثم بديوان امير المسلمين ابن عبد الله ابن هود الى ان تقلد منصب القضاء بشاطبة الذي بقي فيه الى نهاية سنة 637

اما المرحلة الثانية من حياته ؛ فكانت بالمغرب، وتبتديء بسنة 637 ، وتنتهي في سنة 646 اذ تقلد اثناءها الكتابة في ديوان الخليفة الرشيد الموحدي بمراكش، ثم انتقل الى القضاء في هيلانة ، والرباط ، وسلا ، ومكناس ، الى ان رحل الى سبتة حيث اشتغل مع صاحبها ابي الحسن احمد بن خلاص البلنسي في ديوانه كاتبا بارزا

وفي نهاية سنة 646 رحل الى افريقية ليقضي بها بقية حياته متنقلا بين القضاء في قابس وقسنطينة ، وعمل في ديوان الخليفة الحفصي مستشارا ، ونديما، وكاتبا

وقد افرد المؤلف كلا من هذه المراحل بفصل خاص من دراسته عن ابن عميرة ، اذ وقف على كل حدث ، وكل تاريخ ، وعن كل علم كان لابن عميرة اتصالا به من قريب او بعيد ، مقارنا ذلك بالمراجع والمصادر الضرورية ، ومناقشا كل راي برزانة ،

ومنهجية جامعية رائعة الشيء الذي اضفى على هذه المراحل الممتدة من سنة 607 الى 658 هـ طابعا مميزا في كل الدراسة ، الشيء الذي مهد للصورة التي رسمها لنا المؤلف بعناية فيما بعد لشخصية ابن عميرة الفكرية والسياسية .

* * *

وقبل ان ننتقل الى الحديث عن تراث ابن عميرة الادبي ، نقف قليلا على شخصيته ، وثقافته ، التي رسمها لنا الاستاذ ابن شريفة بكامل العناية والدقة حسب ما سمحت له به المادة القليلة التي توفرت لديه عن طبيعته وسيرته الذاتية والاخلاقية .

لقد نشا ابن عميرة في بيئة اجمعت المصادر التاريخية على انها كانت تتسم بطابع الجد ، وتميل الى مظهر الوقار ، والتزمت ، ومع ذلك فقد تمكن من ان يصبح على شيء كبير من الظرف ، وخفة الروح ، والبساطة ، وبراعة الحديث ، والانبساط للفكاهة والنكتة والاحاديث الطريفة بعد ان تم تحصيله ، وهي بعض مؤهلاته التي جعلت منه فيما بعد صديقا محبوبا لدى رجال عصره ، ونديما مقربا الى الامراء والملوك الذين تمكن من معاشرتهم والعمل في دواوينهم

ويمكن اعتبار هذه المؤهلات الاخلاقية عاملا اساسيا في تطوير طموحه ، الذي يتمثل في اقباله على الدين والتحصيل ، والتبحر في مختلف الوان المعرفة ، مما اهله فيمابعد لشغل ارفع المناصب والوظائف ، والى عدم الاكتفاء بما اخذه في بلده ، وبالتالي الى التجول في ارجاء الاندلس والمغرب وافريقيا للمزيد من الكسب العلمي والمادي ..

ويبدو طموحه اكثر وضوحا في قصة حياته الادارية فهو كما راينا لم يشا ان يركن الى حياة التدريس الهادئة الوادعة مثل شباب عصره ، بل سعى الى حياة القصور ، وخدمة الامراء والملوك الى ان اكتسب بفضل ثقافته الادبية والعلمية من جهة ، وحنكته الادارية من جهة ثانية ، شهرة واسعة لدى رجال العصر من امراء ، وعلماء ، وادباء ، وفقهاء ..

اما من حيث ثقافته ، فقد كان خزانة من خزائن العلوم متفننا ، مدققا ، محدثا ، متبحرا في التاريخ ، قائما على العربية واللغة ، بارعا في الادب وفنونه وعلما من اعلام المنطق والفلسفة والفلك والطب ، اذ وصفه الامام الغبريني في عنوان الدراية ، بانه اعلم العلماء وتاج الادباء ..

وقد كانت شهرته العلمية سببا في اقبال كثير من طلبة العلم على الاخذ عنه ، وطلب اجازته ، اذ يؤكد مترجموه بانه درس واجاز في مرسية ، وسبتة ، وفاس ، وبجاية ، وتونس ، وذلك اثناء قيامه بالمهمات الرسمية ، كما تؤكد مختلف المراجع التي تحدثت عنه ، ان نظرة النقاد اليه سواء منهم المعاصرون له ، او الذين اتوا من بعده ، كانت نظرة تقدير واعجاب وثناء .

* * *

بعد هذه الجولة الطويلة يدخل بنا المؤلف في عالم الادب ، ادب ابن عميرة ، ويمهد ذلك بوقفة قصيرة في الادب الاندلسي خلال القرنين السادس والسابع ، فيلقي في البداية نظرة اجمالية على تطور النثر الفني في الادب الاندلسي والمراحل الكبرى التي مر بها فيلاحظ ان التراث الكبير الباقي من النثر الاندلسي لم يدرس لحد الآن دراسة علمية شاملة تبين مراحله ، وتبرز خصائصه وهو لم ينال الا حظا يسيرا من المحاولات التي ارخ لها اصحابها للنثر الفني في الادب العربي على اختلاف عصوره ، واقاليمه ، كما لاحظ ان مؤرخي الادب العربي ، والذين حاولوا تاريخ الادب الاندلسي ايضا مختلفون في تقدير عدد مراحل النثر الفني ، وتحديد زمنها وتمييز خصائصها بصورة دقيقة ، وينفي بعد هذه الملاحظة ادعاء بعض المؤرخين الشرقيين في كون النثر والادب الاندلسي عامة تقليد للنماذج المشرقية مؤكدا ان اصحاب هذا الراي لم يتمكنوا من الاضطلاع على التراث الاندلسي ولم يدرسوه دراسة موضوعية متعمقة ، كما اكد من جهة اخرى ان الادب الاندلسي عنوان للشخصية الاندلسية ولمقوماتها الفكرية ، ولابعادها النفسية السيكلوجية ، كما ان الاندلسيين احدثوا طرقا جديدة في فن الكتابة ، ومن ذلك طريقة ابن دراج القسطلي ، وطريقة ابن عبد الغفور الكلاعي ، وغير ذلك من الطرق التي شاهدت مراحل تطور النثر في الاندلس

وبعد هذا ينتقل بنا المؤلف للحديث عن النثر على عهد الموحدين وهي المرحلة التي عرف فيها النثر

الاندلسي التكلف والاسراف في الصناعة ، اذ كانت ابرز ظاهرة عند كتاب ذلك العصر ، ذوي الثقافة العامة، والدينية منها بصفة خاصة استعمال الغريب في اللفظ ، والالوان الغامضة في البديع ، الشيء الذي افقد النثر الادبي روح الخفة والرواء التي نجدها عند كتاب العصور السالفة ، وقد علل ذلك المؤلف بعلل عدة منها الروح الدينية التي طغت على طرق التعليم واساليبه ، والصراع الذي كان قائما بين الاسلام والصليبية في العالم الاسلامي عامة ، والاندلس على الخصوص ، وفي ذلك – يقول المؤلف – ما يدعو الى اصطباغ الادب شعرا ونثرا بصبغة الحماسة الدينية.

ومن ثم يتخلص الاستاذ ابن شريفة للحديث عن كتابة ابن عميرة الديوانية التي قضى فيها شطرا كبيرا من حياته ، متنقلا بين مختلف الامارات اذ كتب عن السادة الموحدين بالاندلس وفي بلاطهم بمراكش ، وعند الحفصيين بتونس الشيء الذي جعله يترك ثروة كبيرة ومهمة من الرسائل ، والبيعات ، والعقود ، والظهائر التي تشكل زيادة عن اهميتها الادبية ، مجموعة من الوثائق التاريخية الهامة ، فصنفها ، حسب موضوعاتها المبتدئة برسائله الاخوانيات والادارية ، والمنتهية برسائل الثناء والشكر والتعازي ، والتهاني ، والعقاب، والالغاز ، والاحاجي ومنها في الاخير حسب ما جاءت به المراجع والمصادر المتحدثة عنها في مختلف العصور.

ويفهم من خلال هذا التصنيف العلمي المنهجي لاعمال ابن عميرة النثرية ، انه يمثل حلقة مهمة في سلسلة تطور النثر الاندلسي ، وهي حلقة يؤكد المؤلف على انها ما زالت مجهولة حتى الان...

فالذين ارخوا لهذه الفترة ، ومن ضمنهم الدكتور شوقي ضيف تجاهلوا ، وتناسوا هذه الحقبة الطويلة الخطيرة من تاريخ تطور النثر في الاندلس ، فكثير منهم ينتقل – في حديثه عن هذا النثر مباشرة من ابن زيدون الى لسان الدين بن الخطيب ، دون ادنى اشارة الى الحقبة الفاصلة بينهما تلك الحقبة التي تمثل مدرسة لها طابعها الخاص اشبه ما تكون بمدرسة القاضي الفاضل والعماد الاصفهاني في الشرق

والواقع ان دراس رسائل الكتاب الذين اتوا بعد ابن عميرة في القرن الثامن الهجري سواء في المغرب او الاندلس ، كابن هاني ، والقرناطي ، وابن الخطيب، سيلاحظ مع المؤلف تاثير ابن عميرة القوي الواضح في رسائلهم ، وكتاباتهم الادبية والادارية

* * *

ومن نثر ابن عميرة ، ننتقل مع الاستاذ محمد بن شريفة الى شعره ، فابن عميرة ، عالم اديب ، وكاتب نحرير، ولكنه الى جانب ذلك زاحم الشعراء في ميدان القريض، ونافسهم في صياغة القوافي ، ونظم الكثير من القصائد في مختلف الاغراض الشعرية فهو وان لم يترك ديوانا مستقلا ، فالذين اعتنوا بانتاجه وبحياته ، ورحلاته من المؤرخين والنقاد قد حرصوا على ذكر امثلة من شعره عند الحديث عنه ، ذلك لان هذا الشعر له صلات قوية بسيرته ، وعقليته ، وطموحه ، واخلاقه . فابن عميرة شاعر فحل ، تناول في شعره المدح والرثاء والاخوانيات والوصف والحكم والاعتبار والغزل ، وله الى جانب ذلك شعر صوفي رقيق، الا ان المدح من اكثر الموضوعات التي طرقها ، حيث اكد المؤلف انه كان يميل اليه بدافع التكسب والتقرب احيانا.

والنصوص التي اوردها له الاستاذ ابن شريفة تدل على ان ابن عميرة مدح عددا من الملوك والامراء والرؤساء الذين عاصرهم ، سواء في المغرب او افريقية او الاندلس ، الا ان معانيه الشعرية لم تات بجديد حيث ردد المعاني المعروفة لدى الشعراء في هذا الباب ، اما من حيث الشكل فقد احتفل بالصياغة احتفالا ظاهرا اذ نزع منزع القدماء في جزالة الالفاظ وفخامة الاسلوب

وثاني الاغراض الرئيسية التي نظم فيها ابن عميرة الرثاء ، فقد رثى الاشخاص من اصدقائه واهله ورؤسائه كما رثى المدن التي حل بها ، وهو في رثائه يذهب مذهب الرثاء العادي من ندب ، وتفجع ، وتعزية.

اما الاغراض الاخرى التي نظم فيها الشعر ، فتتوزع بين الاخوانيات (الحنين والشكوى والعتاب) ثم الوصف، والغزل ، والحكم ، وفيما يخص خصائص شعره ، فالاستاذ ابن شريفة يرى انها خصائص كانت سائدة عند شعراء عصره ، سواء في المغرب او المشرق ، وهي خصائص في اغلبها تقوم على الصنعة البديعية ، وتعنى بالناحية اللفظية ، وتكثر من استعمال الالفاظ والمصطلحات العلمية ، وتهتم اهتماما بالغا بالجناس ،

والطباق ،والتورية ، وغيرها من الوان الزخرفة اللفظية وكل هذه المظاهر رايناها في الامثلة التي صاغها المؤلف في الباب الخاص الذي افرده لشعر ابن عميرة وانواعه، واغراضـــــه .

* * *

ولابن عميرة المخزومـــي اثار اخــرى قيمــة في الرسائل ، والتاريخ والدين ، ولهذه الاثار افرد الاستاذ محمد بن شريفة القسم الرابع والاخير من كتابه الضخم هـــــذا .

واذا كان ابن عميرة لم يعن بتدوين اثاره الأدبية من نثر وشعر ، وترتيبها حسب مواضيعهـا ، كما كان يفعل كتاب العصر ، فقد قيض الله لتدوين البعض منها رجالا كانوا يقدرون ما لها من قيمة ادبية وتاريخية .

ويذكر لنا المؤلف من هؤلاء ، تلميذه وصديقـــه الاديب البلنسي ابا جعفر احمد بن شتيف العقيلي الذي لازم ابن عميرة اثناء الفترة التي قضاها بتونس وظـل معه الى ان توفي سنة 658 ه وكذلك المؤرخ المغربي الكبير ابن عبد الملك المراكشي والاديـب المؤرخ المقري والاديب الشهير بن هاني السبتي ، والقاضـي الشيخ ابن المرابط ، كما تذكر لنا المصادر التـــي اثبتت رسائله وعلقت عليها ، وحفظتها من الضيـــاع، واستعرض المجموعات الثلاثة من رسائلـه الموجـودة بالخزائن العالمية ، كالاسكوريال ، والخزانة العامة بالرباط ، والخزانة الملكية باسبانيا مشيرا الى اشكال هذه المجموعات وخطوطهـا ، والملقيـن في طراتهـــا وهوامشها .

ومن رسائل ابن عميرة ينتقل بنا المؤلف الـــى مؤلفاته اولا باول ، مبتدئا بكتابه (التنبيهات على مـــا للتبيان من التمويهات) الذي الفه في الرد على كتـــاب (التبيان في علم البيان) لابن محمد الزملكاني وهـــو احد اعلام البلاغة في القرن السابـع ، ثـم يقارن بين الكتابين ، ويلخص محتواهما بكامل الدقة ، مؤكـدا ان ابن عميرة في هذا الكتاب كان ناقدا بارعا ، عالج موضوعه في النقد بسخرية تامة، وبجدل علمي ، وبراعة في المناقشة ، ومنه يتفرغ للحديث عن الكتاب الثانـي المسمى (التنبيه على المغالطة والتمويه ، واقامة اعمال من طريق الاعتدال بالبرهان الكافي والبيان الشافي)

وهو كتاب لا توجد منه الا نسخة واحدة فريدة محفوظة بمكتبة الاسكوريال . منسوب الى ابن المطرف .

وقد اهتم المؤلف الاستاذ ابن شريفة بهذا الكتاب اهتماما كثيرا ، ذلك لانه كان محل خلاف في تسميته، وفي اثبات اسم مؤلفه من طرف رجـــال الاستشـراق، والباحثين العرب الذيـن اهتموا بالادب بالاندلسي في الاونة الاخيرة لدرجة انه يعلن في النهاية متمنياتـه في ان تتاح له او لغيره فرصة التوصل الى الحقيقة ، كما يعلن ان الكتاب المذكـور من البعيـد ان يكون لابن المطرف بن عميرة .

ومن النقد الى التاريـخ ، من كتب ابن عميـرة النقدية الى كتبه التاريخية ، هكذا بـوب الاستاذ ابن شريفة القسم الاخير من كتابـه عن احمد ابن عميـرة المخزومـــي .

وكتبه التاريخية ككتبه النقدية ليست كثيرة ، بل لا تتعدى كتابين اولاهما كتابه المؤلف في (كائنـة ميورقة ، وتغلب العدو عليها) وهو كتاب مفقود ، الفه اثر المصيبة التي المت بالمسلمين في الاندلس وخصوصا منهم اهل شرق الاندلس من جراء سقوط جزيرة ميورقة ام الجزر الشرقية في يـد ملك (ارغـون) الملقـب بالفاتح سنة 627 ، وقد صدر فيه ما اظهروه اهل الجزيرة المذكورة من مقاومة باسلة ومن دفاع مجيد رغم شـدة الحصـار وانـواع المحـن .

ويبدو ان ابن عميرة بما كان يتصف به من بعد النظر ، ودقة الحس ، وحدق الحدس، يقول المؤلف قد هزء حادث سقوط (ميورقـة) هزا عنيفا لانـه قدر ببصيرته النقادة ما سيكون له من عواقب على مصير شرق الاندلس كله ، ولذلك عمد الى تاليف هذا الكتـــاب ليشرح فيه الاسباب والظروف التي وقعت فيها الحادثة المشؤومة التي كانت انذارا خطيرا يهدد جميع المدن الاسلامية في شرق الاندلس .

وقد ظل هذا الكتاب متداولا الى عهد متاخر فيما يبدو اذ اشار اليه ، ونقل عنه مختلف النقاد والمؤرخين في مختلف العصور المتعاقبة على عهد ابن عميرة .

اما الكتاب التاريخي الثاني والاخير الذي اثبته الاستاذ ابن شريفة في مؤلفه الضخم هو (اقتضاب من تاريخ الموحدين) الذي اختصره ابن عميرة عن كتـــاب

(ثورة الموحدين) لابن صاحب الصلاة الذي يتناول تاريخ المرابطين وقيام الموحدين عليهم في غرب الاندلس ، وهو كتاب له اهمية قصوى في مجال التاريخ المغربي ، وخاصة الفترة المتعلقة بثورة المهدي ابن تومرت

* * *

وكتب ابن عميرة الدينية لا تعدى هي الاخرى اثنين ، الاول تعقيب على كتاب : المعالم للفخر الرازي) ويعتبر من الكتب التي فقدتها الثقافة العربية خاصة، وهو يعارض في العمق المدرسة الكلامية والاصولية التي اتى بها الفخر الرازي من الشرق العربي

اما الكتاب الثاني فهو (مجموعة من المواعظ) نحى فيها ابن عميرة المخزومي منحى ابن الجوزي ، وصديقه ابن الابار اذ احتفل فيها بالصناعة اللفظية ، وبالاشارات التاريخية والتضمينات المختلفة وباستعمال الرموز الصوفية المختلفة

* * *

ذلك هو ابن عميرة المخزومي الذي حاول الاستاذ محمد بن شريفة عن طريق دراسته القيمة لحياته واثاره ان يضعه في اطاره العلمي ، وان يلقي الضوء من خلاله على العصر الذي عاشه ، وعانى منه احداثه السياسية والادبية والاجتماعية ، ويتراءى لي كقارئ مخلص لهذه الدراسة ان الواجب كان يقتضي على الباحثين الذين اهتموا بعصر ابن عميرة المخزومي ان يخصوا هذه الشخصية بدراسة كهذه لكي لاتبقى صورة عصره ناقصة .

فابن عميرة كما وصفه لنا الاستاذ ابن شريفة كان من ابرز الشخصيات التي لا يستغنى عنه الباحث خلال دراسته لعصره ، فهو كما راينا من كبار رجال الدولة والسياسة في الغرب الاسلامي ومرسلا موهوبا وشاعرا فحلا زاحم شعراء اهل زمانه ، ومثقفا كاملا ، مشاركا في مختلف العلوم النقلية والعقلية التي كانت تطبع عصره، ورحالة كبيرا فرض نفوذه العلمي على ثلاثة دول كانت مركز اشعاع الحضارة الاسلامية في هذه البقعة من العالم ..

فعند ما انتهيت من قراءة هذا الكتاب للمرة الاولى والثانية ، تساءلت في حزن وفي اسى ..

لما ذا لم يهتم رجال البحث العلمي العرب وغير العرب بهذه الشخصية الخطيرة ؟ لما ذا تجاهله ، بعض رجال العلم الذين اهتموا بالتراث العربي في الغرب الاسلامي ؟

ولم اخرج بجواب شاف ، الا اننا هنا في غرب العروبة ما زلنا في حاجة ماسة للبحث عن تراثنا ، وتراث اجدادنا لنتمكن بعمق من معرفة عصور حضارتنا الغابرة ذلك لان احمد بن عميرة المخزومي ليس وحده الذي كان مجهولا بل هنالك لحد الان عشرات بل مئات الاعلام في شرق وغرب العروبة ما زالوا في زوايا الاهمال ، وما زالوا ينتظرون اليد البيضاء والعقل المنهجي العلمي الذي سيخرجهم الى الوجود ، والى نور الحضارة الجديد ليتفاعلوا معها، بنفس المساهمة التي اسهموا فيها في الماضي .

والان .. اذ اصفق بحرارة لهذا العمل المشكور الذي اسداه الاستاذ ابن شريفة الى الادب المغربي والى الخزانة العربية ، ارجو كما تمنى ذلك قبلي الاستاذ محمد الفاسي في تقديمه لهذا العمل ، ان يتمكن الاستاذ ابن شريفة من الالتفات الى انتاج ابن عميرة سواء منه ، رسائله ، او كتبه ، او شعره لتحقيقه ، ونشره بين الناس في اطار احياء تراثنا الذهبي ؛ ذلك التراث الذي يعطي للعالم الوجه الحقيقي للحضارة العربية في الغرب الاسلامي

الرباط — محمد اديب السلاوي

نشاط وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

وضع الحجر الاساسي لبناء مسجد بالقنيطرة وآخر «بعين عودة»

قام معالي وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية السيد الحاج احمد بركاش في الشهر الماضي بوضع الحجر الاساسي للمسجد الذي تبرع ببنائه الفاضل السيد الحاج ميلود الشعبي رئيس الغرفة التجارية بمدينة القنيطرة، في الحي العصري بالمدينة الجديدة، وسيمكن هذا المسجد الفا ومائتي مصل من اداء الفرائض وتقدر مساحة هذا المسجد بالف متر مربع، وارتفاع صومعته بخمسة عشر مترا .

وقد كان في استقبال معالي الوزير عامل اقليم القنيطرة ورجال السلطة المحلية وجمهور غفير من المومنين الذين تزخر قلوبهم بقوة الايمان، وحرارة اليقين .

كما قام معاليه بوضع الحجر الاساسي للمسجد الذي تطوعت ببنائه جماعة من المحسنين بعين العودة باقليم القنيطرة .

تدشين مسجد الحسن الثاني بالحي الجديد بطنجة

بامر من صاحب الجلالة الملك المعظم الحسن الثاني نصره الله، توجه معالي وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية الحاج احمد بركاش يوم الجمعة خامس غشت الى مدينة طنجة لتدشين المسجد الجديد الذي اسسته وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية .

وقد حمل هذا المسجد الاسم الكريم لمولانا امير المؤمنين الحسن الثاني المنصور بالله .

وكان في استقبال معاليه عامل الاقليم ورؤساء الهيآت المنتخبة وسكان مدينة طنجة حيث ادى صلاة الجمعة مع جمهور غفير من المومنين في مسجد **الحسن الثاني**

وتراس معالي الوزير تدشين القسم الداخلي لمدرسة سيدي محمد للقراآت السبع بدار زهيرو، في نفس اليوم .

ثم توجه الى التجمع السنوي العظيم لحملة القرآن وحفاظه الذي يقام بمناسبة هذا الموسم الحافل الحاشد، وقد تليت فيه الآيات القرآنية، والامداح الدينية، في جو خاشع، يعبق في ظلال القرآن، بالذكر والدعاء لسيدنا الامام دام عزه وعلاه . وقدم معالي الوزير الى المسؤولين عن هذا الحفل بهذه المناسبة الطيبة منحة مالية مهمة من صاحب الجلالة حفظه الله، وقد اعتبروها التفاتة من التفاتات مولانا الحسن الثاني الذي لا يفتأ يهتم بهذه الطبقة من امته المومنة .

ولا يترك معالي الوزير اية فرصة تمر دون ان يهتبلها لمصالح وزارته وصالحي المومنين، وهكذا فقد عقد صباح يوم السبت بقصر العمالة مع السيد العامل الشريف سيدي عبد السلام الوزاني، ورجال السلطة المحلية جلسة استغرقت مدة طويلة خصصت كلها لدراسة قضايا الاحباس والشؤون الاسلامية .

وبعد هذه الزيارة المنتجة قام معاليه صحبة العامل ورجال السلطة الاقليمية ورؤساء الهيآت المنتخبة بتدشين مسجد السيد الحاج عبد السلام بن عبد الرحمان الجباري احد المواطنين الغيورين بطريق درادب

ويسرنا ان نثبت هنا الخطاب الذي القاه معالي الوزير بمسجد الحسن الثاني امام جمهور كبير من المواطنين :

خطاب معالي الوزير

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وءاله وصحبه وسلم تسليما

« ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير، ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا، واغفر لنا ربنا، انك انت العزيز الحكيم » .

سعادة العامل
ايها الاخوة المومنون
ايها الاخوة المواطنون

ان خير ما نفتتح به ، ونحن بصدد تدشين هذا المسجد الجديد ، ان نتوجه الى الله تبارك وتعالى بالشكر والثناء قائلين كما علمنا سبحانه ان نقول: « الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله » وان نضرع الى الله جلت قدرته ، ان يلهمنا جميعا وعلى رأسنا صاحب الجلالة مولانا امير المومنين الحسن الثاني ، ايده الله ونصره ، وخلد فى الصالحات ذكره، التشبث بالحنيفية السمحاء، والسير على المحجة البيضاء التي لايزيغ عنها الا هالك ، كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم

وبعد ، فانه لما يثلج صدري ويشرفني ويملأني بالغبطة والسرور ، ان يتكرم مولانا صاحب الجلالة امير المومنين الملك الصالح الحسن الثاني نصره الله ، فيوفدني اليكم فى هذا اليوم السعيد ، لادشن باسم جلالته هذا المسجد ، ولابلغكم معشر المومنين سكان طنجة الكرام عطف جلالته السامي ورضاه الابوي الكريم ، وانه لغير خاف عليكم ان مدينة طنجة تحتل من قلب جلالة ملكنا المحبوب المفدى مكانا ممتازا واهمية خاصة ، نظرا لعوامل كثيرة متعددة منها وضعيتها الادارية السابقة التي كانت تفصلها فصلا عن بقية اجزاء الوطن الاخرى ، والتي خلفت عواقب وخيمة لايزال جلالته يبذل النفس والنفيس من اجل التغلب عليها ومحو آثارها

ومنها ان طنجة باب المغرب الذي انفتح منه دائما ولا يزال على عوالم اخرى

ومنها انها المدينة السياحية الجميلة المضياف، ذات الماضي العريق فى المجد والمفاخر والمكرمات

وما هذا العمل الذي نقوم به اليوم ، وهو تدشين هذا المسجد الجديد بمدينة طنجة الا مظهرا من مظاهر الاهتمام الخاص الذي يوليه مولانا صاحب الجلالة امير المومنين الحسن الثاني لمدينتكم هذه ، فى جانب من جوانب حياتها ، هو الجانب الروحي ، كما يوليها نصره الله ، نفس الاهتمام فى جميع الجوانب والمجالات الاخرى

وان جولة واحدة فى رحاب هذا المسجد الذي تدشنه اليوم والذي اسس على تقوى من الله ورضوان، لكافية لاعطاء فكرة عن المجهودات التي بذلت فيه ، والمقادير المالية التي صرفت فى بنائه وزخرفته حتى جاء آية من آيات الفن والابداع ، وشهادة اخرى للعبقرية المغربية الاصيلة المتميزة بالدقة والاتقان، وجمال الذوق ورفاهة الاحساس

ويأتي هذا العمل الجليل ، فى اعقاب اعمال اخرى تشرفت وزارة الاوقاف بانجازها فى مدينة طنجة وضواحيها تنفيذا لاوامر جلالته السامية وتوجيهاته السديدة الموفقة

تلك الاوامر والتوجيهات التي يصدر فيها جلالته عن قلب عامر بالايمان ، مليء بحب الله ، مستعد لتحمل اكبر التضحيات واغلاها فى سبيل نصرة هذا الدين الحنيف ، ورفع منارته ، وتيسير السبيل اليه

ونذكر من هذه الاعمال على سبيل المثال ، توسعة المسجد الاعظم تلك التوسعة التي جعلت منه مسجدا آخر غير الذي كان بحيث تضاعفت مساحته وجدد بناؤه ، واعيدت معالمه

ونذكر من هذه الاعمال ايضا على سبيل المثال، احياء مدرسة دار زهيرو فى ضواحي طنجة هذه المدرسة العريقة التي كادت تندرس آثارها وتتعطل نهائيا عن اداء مهمتها المقدسة وهي الحفاظ على القرآن الكريم بقراءاته السبع ، محفوظا فى الصدور ، الى ان اتاح الله لها جلالة الحسن الثاني ، فجدد ما اندرس واحياها بعد موت واعادها الى سالف مجدها وازدهارها وها هي اليوم والحمد لله ، تؤدي مهمتها على احسن وجه واكمله ، وتتعاون هي من جهة ودار الحديث فى الرباط من جهة اخرى على انارة الطريق الى المحجة البيضاء التي ليلها كنهارها ، ونهارها كليلها، لايزيغ عنها الا هالك ، كتاب الله ، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم

فاللهم احفظ الحسن الثاني بما حفظت به الذكر الحكيم ، وجازه يارب عن الاسلام والمسلمين احسن الجزاء ، انك سميع مجيب الدعاء

واخيرا ، فانه ليسرني ان ازف اليكم معشر المومنين نبا ستتلقونه ولا شك بمزيد البهجة والارتياح، وهو ان جلالة مولانا الملك المومن الصالح تفضل فوافق على ان يطلق اسم جلالته على هذا المسجد الذي نقوم اليوم بتدشينه .

فهو من الآن ، وعلى بركة الله ، والى ان يرث الله الارض ومن عليها ، « مسجد الحسن الثاني » والسلام عليكم ورحمة الله .



* انعقدت بقصر مرشان فى مدينة طنجة مؤخرا الدورة الرابعة للمجلس الاداري للمركز الافريقي للتكوين والابحاث الادارية للتنمية .

وحضر هذه الدورة مندوبون عن منظمة الامم المتحدة ، واليونيسكو ، واللجنة الاقتصادية لافريقيا، ومندوبون عن عشر دول افريقية بالاضافة الى مراقبين عن بعض الدول بينها ليبيا والجزائر ، وغانا . ومن جهة اخرى تقرر خلال اجتماع المعهد الدولي للعلوم الادارية الذي انعقد مؤخرا فى مدينة زاريا بنيجريا عقد الاجتماع المقبل ، للمديرين الافارقة ، والمعاهد الادارية العمومية فى شهر نوفمبر سنة 1967 ، وذلك تحت اشراف المركز الافريقي للتكوين والابحاث الادارية .

* قامت الكاتبة الانجليزية الآنسة ابريل ميريل، بزيارة للمغرب ، لتاليف كتاب عنه .

* اقام اتحاد كتاب المغرب العربي ، حفلة استقبال بمقره بدار الفكر ، على شرف الاستاذ محمود المسعدي ، الكاتب المعروف ، ووزير التربية الوطنية التونسي ، بمناسبة الزيارة التي قام بها الى المغرب فى اطار التعاون بين الحكومتين التونسية والمغربية فى ميدان التربية . وقد كانت فرصة للالتقاء الاستاذ المسعدي بالادباء المغاربة ، وتبادل وجهات النظر حول القضايا التي تشغل الفكر فى اقطار المغرب العربي بصفة عامة .

* « دعوة القرآن » اسم كتاب صدر مؤخرا فى المغرب للمرحوم عبد العزيز بن ادريس .

* يقوم حاليا الكاتب الانجليزي روم لاندو بزيارة مدينة فاس ، حيث يقوم بتاليف كتاب يدرس فيه الفن المعماري المغربي . ومن المعلوم ان المؤلف له عدة كتب عن المغرب .

* الاستاذ السيد عبد القادر السميحي يعد رواية طويلة عن « ماساة الانسان منذ آدام »

* اقيمت يوم 9 يوليو الماضي احتفالات بعيد الشباب الذي يصادف ذكرى ميلاد جلالة الملك . وقد وجه جلالة الملك بالمناسبة خطابا بالاذاعة والتيلفزيون، الذي خصص هذه السنة تحت شعار تنمية المجتمع .

* ساهم المغرب بوفد يراسه الاستاذ الناصر الفاسي نائب كاتب الدولة فى التربية والتعليم فى اعمال الدورة التاسعة والعشرين للمؤتمر الدولي للتعليم الذي عقد مؤخرا فى جنيف . وقد درست فى هذه الدورة مسالتان : الاولى تخص الابحاث البيداغوجية، والثانية تتعلق بالمعلمين فى الخارج .

* تفكر اللجنة الثقافية بصفاقس بتونس فى اصدار مجلة ادبية جامعة تساهم فى خدمة الثقافة، وتسجل اهم أحداث الجهة ، وانجازاتها فى شتى الميادين . واللجنة منكبة على اعداد هذا المشروع بعناية فائقة حتى تضمن له التقدم والنجاح .

* صدر فى تونس العدد الاول من مجلة «موفلي» عن المكتب الجهوي لاشبال الجمهورية التونسية .

* زارت المغرب بعثة من طلبة جامعة (دبلن) حيث قامت باجراء بحوث علمية فى الاطلس تتعلق بالنباتات والحيوانات فى هذه المنطقة . والتقطت البعثة فلما عن الحيوانات بالمناطق التي تعيش فيها، والفلم لحساب شركة ب ب س كما التقطت فلما آخر لحساب التلفزة الايرلندية

* اعلن الدكتور طه حسين قبل سفره الى ايطاليا للراحة ان عدم فهمه لعبقريات الاستاذ عباس محمود العقاد يرجع الى شخصه لا الى العقاد أو اسلوبه فى الكتابة

سبق للدكتور طه حسين ان اجاب فى ندوتـه التلفزيونية المعروفة انه قرا عبقريات العقاد فلم يفهمها

※ سئل الاستاذ نجيب محفوظ من قبل مندوب جريدة (اخبار اليوم) القاهرية : هل يجوز للادب أن ينقد الثورة فاجاب بما يلي :

واجب الادب أن ينقد الثورة فوظيفة الادب الطبيعية هي النقد . ولكن .. يجب ان نفرق بين نوعين من النقد .. نقد للثورة لحساب الثورة . ونقد الثورة لحساب غيرها .

※ قررت جامعة بغداد المشاركة فى المؤتمر العالمي السادس لعلم الاجتماع الذي سيعقد فى ايفيان بفرنسا فى ايلول القادم . وقد تقرر ان يمثل الجامعة فى المؤتمر المذكور الدكتور علي الوردي استاذ علم الاجتماع فى جامعة بغداد . ومن المقرر أن يبحث المؤتمر مواضيع مختلفة اهمها موضوع العلاقات الدولية وخصوصا فى الدول الناشئة من الناحية الاجتماعية .

※ اعلنت جامعة متشيجان الامريكية التي نجحت بالاشتراك مع مصلحة الآثار الاردنية فى الكشف عن خزان المياه الاثري بالقرب من عمان ان الكتابة العربية التي وجدت على جدران الخزان قد تكون الحلقة المفقودة بين الابجدية العربية التي كانت معروفة فى القرن الخامس عشر قبل الميلاد والابجدية العربية التي انتشرت فى القرن السابع بعد الميلاد .

※ أعدت الجمعية العامة للمحافظة على القرآن الكريم فى القاهرة مشروعا باخراج تفسير مبسط للقرآن الكريم ، يناسب العصر الحاضر ويسهل على الناس تفهم معاني القرآن ومن ناحية اخرى يمكن الحصول عليه بثمن زهيد جدا . سينفذ المشروع، الذي اعتمد له مبلغ 5 000 جنيه ، على اساس اختيار ثلاثين عالما يفسر كل منهم جزءا من القرآن ، ثم يراجع التفسير كله بواسطة لجنة ويوضع فى صيغته النهائية

※ تدرس دار الحديث فى القاهرة حاليا مشروعا ضخما لم يسبق له مثيل فى اية دولة اسلامية .. المشروع هو تاليف واخراج موسوعة كاملة تسمى « موسوعة السنة » وتشتمل على :

ـ مقدمة مستفيضة فى التعريف بالسنة ، وبيان مكانتها من القرآن الكريم ومن التشريع .

ـ التعريف بالمصطلحات بحسب الترتيب الابجدي

ـ التعريف بالرجال منسقا على حسب الطبقات ومرتبا الترتيب الابجدي

ـ جمع الاحاديث وترتيبها على أحسن الاساليب

وقد اجتمعت لجنة من كبار رجال الحديث ووضعت الخطوط الرئيسية لهذا العمل الديني الكبير ،الذي سيكون مفخرة لمصر ، وسيوزع على اوسع نطاق لتعميق الوعي الديني .

※ منعت السلطات المسئولة فى ايران دخول معجم « المنجد » الى بلادها ، وذلك بسبب ورود كلمة « الخليج العربي » فى بعض صفحاته .

※ نعت انباء مكة العالم الفاضل والمحقق الشهير الشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلمي امين مكتبة الحرم المكي الشريف ومؤلف كتب « الانوار الكاشفة » و « طليعة التنكيل » و « رسالة عن مقام ابراهيم » ومحقق « الانساب » للسمعاني و « الاكمال » لابن ماكولا

※ انتهت الشاعرة نازك الملائكة الاستاذة فى جامعة البصرة من اعداد ديوان والدتها الشاعرة المرحومة السيدة ام نزار الملائكة تمهيدا لتقديمه للمطبعة قريبا.

وقد انتهت ايضا من كتابة مقدمة الديوان الجديد كما انها ستقدم للطبع قريبا ملحمة شعرية ضمنتها آراء فلسفية فى السعادة .

※ عقد المجمع اللغوي فى القاهرة جلسة علنية لتابين فقيد الادب امين الخولي عضو المجمع . وقد افتتح الحفل بكلمة تابين للدكتور طه حسين القيت عنه بالنيابة لعدم حضوره ثم كلمة مدير جامعة الازهر وعضو المجمع الباقوري واختتمت الحفلة الدكتورة بنت الشاطىء حيث القت كلمة شكر للمجمع ولمسة وفائه فى تكريم زوجها حيا وراحلا .

وقد اقامت جمعية الادباء حفل تابين للمرحوم الاستاذ امين الخولي . وقد حضرت حفل التأبين الدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطىء) زوجة الفقيد . واشترك فى تأبينه د. عز الدين اسماعيل و د. محمد جابر الشيخ ، وفاروق خرشيد ، وتوفيق حنا، وماهر شفيق فريد ، وعبد العزيز الدالي ، وعبد الحليم عبد الله .

* دائرة معارف فى الفن الغنائي فى المائة سنة الماضية ، انتهى من اعدادها فكري بطرس المؤرخ والناقد الفني فى العربية المتحدة تتناول الدائرة تطور فن الغناء فى البلاد العربية ، واثر الحان عبده الحامولي وسلامة حجازي وسيد درويش فى جميع البلاد العربية

الموسوعة تعرض لاشهر مطربي وملحني ومؤلفي الموسيقى والغناء .. وكيف والى اي حد تاثروا بالموسيقى والغناء التي انبعثت من القاهرة الى جميع البلاد العربية .. واثر الموسيقى الشرقية فى الالحان الغربية .

امدت وزارات الاعلام والثقافة فى البلاد العربية فكري بطرس بكثير من البيانات والمعلومات التي تتناولها الموسوعة .

* تم طبع ونشر كتاب « مختصر الاغاني » لابن منظور على نفقة سمو امير قطر الشيخ علي بن ثاني، وذلك بمطبعة زهير الشاويش ، وقد حذف من هذه الطبعة اخبار ابى نواس مع العلم انها من اهم وامتع ما فى هذا الكتاب ..

وقد صدر بثمانية مجلدات

* ينشر المجلس الاسلامي فى القاهرة كتاب « الدرر ، فى المغازي والسير » لابن عبد البر القرطبي تحقيق الدكتور شوقي ضيف

* يطبع الآن فى الدار المصرية كتاب « بهجة المجالس وانس الجالس » لابن عبد البر القرطبي قام بتحقيقه الاستاذ محمد الخولي بجامعة الدول العربية

* الدكتور احمد الحوفي يتولى كتابة المقدمة التحليلية لاول مجموعة من القصص الاسلامية التي يصدرها المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية . توفيق عويضة السكرتير العام للمجلس قرر أن تصدر ترجمة بالانجليزية لهذه المجموعة لتوزيعها فى الدول الافريقية والاسيوية التي يتحدث فيها المسلمون بالانجليزية . المجموعة القصصية من تاليف القصاص حسين الطوخي الذي توفر اخيرا على كتابة هذا اللون

* ناصر الدين النشاشيبي انتهى من وضع كتابه الرابع عشر بعنوان « سفير متجول » ضمنه تجربته ودراسته التي قام بها فى العواصم الاوروبية طوال العام الماضي خلال عمله فى الجامعة العربية .

* سلمت الجامعة العربية قرارات تعيين مديري مكاتب الجامعة فى الخارج الى المديرين الجدد وهم السادة : صلاح الدين فريد فى طوكيو وطالب شبيب فى لندن وقاسم الزهيري فى جنيف وفؤاد الشايب فى الارجنتين ، وعادل عامر فى باريس واحمد فؤاد نجيب فى نيودلهي ومحمد السبكي فى داكار وسعد طه فى نيروبي .

* تصدر عن وزارة الثقافة والارشاد القومي « سلسلة التراث القديم » لنشر الكتب المخطوطة التي لم يسبق نشرها بعد تحقيقها تحقيقا علميا وافيا. ويطبع الآن فى هذه السلسلة الجزء الرابع من مخطوطة « مجمع الآداب فى معجم الالقاب » لعبد الرزاق بن الفوطي قام بتحقيقه الدكتور مصطفى جواد ؛ ويضم هذا الجزء تراجم اعلام الادب والفكر فى التاريخ العربي فى عصر ازدهار النهضة العربية حتى اواخر القرن السابع الهجري .

* عميد الادب العربي الدكتور طه حسين، سيتناول فيلم سينمائي قصة حياته باسلوب مشوق، يرى فيه المتفرج معالم صور انسانية لرجل تمكن بالارادة والكبرياء الحصول على ما كان يتمناه ...

ستنتقل الكاميرا الى الاماكن التي عاش فيها الدكتور طه حسين ، ومنها حي الحسين والازهر فى القاهرة ... والسربون والحي اللاتيني فى فرنسا ثم الجامعة المصرية .

المرشحان الوحيدان حتى الآن لتمثيل قصة حياة عميد الادب العربي ، هما شكري سرحان وناديا لطفي التي ستمثل دور زوجته الفرنسية ؛ وسيكون انتاج الفيلم مشتركا بين مصر وفرنسا ، باعتبارها البلد الذي قضى فيه طه حسين جانبا كبيرا من حياته

وتستعد شركة الانتاج العالمي فى القاهرة لاعداد فيلم الدكتور طه حسين الذي قد يبدأ تصويره فى الايام القريبة .

* ستصدر مؤسسة التاليف والنشر التابعة لوزارة الثقافة المصرية سلسلة من الكتب السياسية.

تهدف الى الكشف عن ابعاد الفكر السياسي عند العرب . وتبرز الاصول التي انتهوا اليها في سياسة الرعية وسياسة الجند . والسياسة المالية والادارية والفقه الدولي . مع تقييم كل ذلك . وتحديد مكانه من الفكر السياسي المعاصر مع تحقيق ونشر مجموعات من امهات الكتب السياسية التي يعتبر نشرها انصافا للاصالة العربية التي شهد لها العلماء الاجانب المنصفون ، وخاصة في مجال العلاقات الدولية والفكر السياسي .. وقد شكلت لجنة لهذا المشروع من فضيلة الشيخ محمد فرج السنهوري مقررا والشيخ احمد هويدي مفتي الجمهورية العربية المتحدة واساتذة الجامعة الدكاترة عبد الله العريان وسليمان الطماوي وحافظ غانم وعز الدين فودة وابراهيم الابياري .

※ صادف يوم 4 يوليو الماضي الذكرى السادسة للمناداة بالاخطل الصغير بشارة الخوري اميرا الشعر ؛ حيث اجتمع منذ خمس سنوات في الرابع من يوليو 1961 الوف من عشاق هذا الشاعر من مصر والعراق وسورية ينادون به اميرا للشعر . وقد تقرر في هذا المهرجان الشعري :

1) اطلاق اسم الاخطل على شارع كبير في بيروت . (2) اقامة تمثال للشاعر في ساحة الاونيسكو . (3) وضع صورته في المكتبة الوطنية . (4) اطلاق اسمه على جناح في بيت الصحافة .

ولكن طيلة السنوات الخمس التي مرت لم ينفذ اي واحد من هذه القرارات وبقي الشاعر الكبير يعاني عزلته وامراضه وهذه الوحدة القاسية وهو يتمتم في وجه اللبنانيين :

كانني لم اكن عنوان فخرهم
يوم انطلاق القوافي في الميادين
اني لمن معشر لولا يراعتهم
ما كان لبنان غير الماء والطين

※ تقرر اصدار مجلة جديدة في ج.ع.م. باسم « الادب الحديث » بدلا من مجلتي « الرسالة » و « الثقافة » تضم المقالات والبحوث والقصص القصيرة والوان الشعر المختلفة . ويفسح فيها المجال للناشئين وادباء الاقاليم ، مع الابقاء على مجلتي « المجلة » و « الفكر المعاصر »

※ تقرر اصدار سلسلة كتب عن العلوم بطريقة مبسطة كلما تجمعت مادتها بالاضافة الى المجلات المتخصصة كالمسرح والكتاب العربي .

※ عهد المجلس الاعلى لرعاية الآداب والفنون في العربية المتحدة الى الدكتور عبد العزيز الاهواني بتحقيق أزجال « ابن قزمان » .. وهو زجال عاش في الاندلس في القرن السادس الهجري .. لاعادة طبعها .. كما عهد الى الشاعر احمد رامي بتحقيق الازجال التي حفظت في المخطوطات العربية وخاصة مخطوطات احمد تيمور بدار الكتب .. وأسند الى سعد الخادم جمع الصور التي تشتمل عليها المخطوطات العربية القديمة والتي تحمل سمات شعبية كالصور التي توجد في كتب السحر والحيوان وكتب السير والنوادر والقصص وتخرج في « البوم » مصور بالالوان مع شرح له ..

※ استحدثت جامعة كاليفورنيا وساما باسم جيورجيو ليفي‌ديلافيدا لتكريم مشاهير العلماء الذين يقدمون احسن الدراسات في المدنية الاسلامية وقد اعلن عن ذلك كل من فرانكلين مورفي والبروفسور كوستاف فون كراونبوم مدير مركز دراسات الشرق الادنى بجامعة كاليفورنيا .

وقد اطلق على هذا الوسام البرونزي الذي يحمل معه ايضا جائزة نقدية قدرها 1 000 دولار . اسم جيورجي ليفي ديلافيدا العالم الانساني الايطالي الكبير الذي يعتبر من مشاهير رجال العالم .

※ انتقل الى رحمة الله في القاهرة الاستاذ الشيخ عبد المتعال الصعيدي من كبار علماء الازهر ولقد شارك الفقيد الكبير بما يزيد على الاربعين عاما في مصر والدول العربية والاسلامية في حركة الاصلاح والاجتهاد .

※ لا يزال كتاب « ديكارت » للدكتور عثمان امين هو احسن واجمل واوفى كتاب صدر باللغة العربية عن الفيلسوف الفرنسي ديكارت وقد استطاع الدكتور عثمان امين ان يخلد في هذا الكتاب حياة وظروف وفلسفة ديكارت في عبارة مشرقة وجميلة .. وقد ظهرت طبعته الخامسة مهداة « الى ذكرى الاديب الفيلسوف عباس العقاد » .

※ صدر للدكتور حلمي علي مرزوق كتاب بعنوان « تطور النقد والتفكير الادبي الحديث فى الربع الاول من القرن العشرين » فى 500 صفحة من القطع الكبير.

※ احتفل بالذكرى التاسعة والعشرين لوفاة مصطفى صادق الرافعي

※ رسالة ماجستير عن اغاني الافراح فى الادب الشعبي ، تناقشها سهير القلماوي وعبد العزيز الاهواني وعبد الحميد يونس لاحمد علي مرسي بآداب القاهرة .

※ الشاعر الدكتور كمال نشات استاذ الادب العربي بالمعهد العالمي للفنون المسرحية عين عضوا بلجنة الشعر بالمجلس الاعلى للفنون والآداب .

※ صدر المجلد (1 — 2) من كتاب « الدرر الكامنة ، فى اعيان المائة الثامنة » لابن حجر العسقلاني، تحقيق السيد جاد الرب خطيب المسجد الزينبي .

※ صدر المجلد الاول من كتاب (سيبويه) تحقيق عبد السلام هارون ، وسيصدر بستة مجلدات .

※ تجري بكلية اللغة العربية بالازهر مناقشة رسالة دكتورة فى الادب موضوعها « صريع الغواني مسلم بن الوليد » التي تقدم بها الاستاذ عبد اللطيف خليف ، ويراس لجنة المناقشة الدكتور محمد نايل رئيس قسم الادب بالكلية .

※ المركز الثقافي السوفيتي بالقاهرة احتفل بمرور عام على وفاة الدكتور محمد مندور . كان خطيبا التابين : عبد الرحمن الخميسي والدكتور كوتساريف مدير مكتب الصحافة السوفيتي بالقاهرة.

※ « ام كلثوم » كتاب يؤرخ للفن فى النصف الاخير من هذا القرن . ويتحدث عن اعلام الموسيقى.. وطريقة الاداء التي تتميز بها ام كلثوم . الكتاب دراسة كتبتها الدكتورة نعمات احمد فؤاد .

※ شهدت جمهورية الداهومي الآن اول سيدة تعمل فى منصب قضائي . فقد اقسمت السيدة اليزابيت بوتيو اليمين القانونية فى اثناء حفل افتتاح محكمة الاستئناف فى كوتونو . والسيدة بوتيو فى الثامنة والعشرين من العمر ، وتعتبر الآن ثالث امراة تعمل فى القضاء ، فى افريقيا الوسطى بعد السيدة كيكي فى جمهورية التوجو والسيدة ديو فى السنغال .

※ عودة الروح ، الوعد الحق ، بداية ونهاية، فى بيتنا رجل ، حقائق الاسلام ، قنديل ام هاشم، احاديث جدتي ، يترجمها المجلس الاعلى للفنون والآداب الى الايطالية .

※ مدرسة جديدة لتخريج جيل جديد من المحققين فى التراث القديم بدار الكتب ، تقرر افتتاحها لاول مرة ، بعد انقراض هذا النوع من المتخصصين .

※ منعت سوريا ولبنان وليبيا وتونس دخول مجلة « منبر الاسلام » التي يصدرها مجلس الشؤون الاسلامية فى القاهرة .

※ « يا طالع الشجرة ، وايزيس » لتوفيق الحكيم ، و « جمهورية فرحات ، وملك القطن » ليوسف ادريس ، و « حواء » لتيمور ، و « مصرع كليوباترة » لاحمد شوقي ، و « سر الحاكم بأمر الله » لباكثير ستترجم للانجليزية والفرنسية .

※ وضعت الحكومة الحبشية ، بالتعاون مع اليونسكو ، مشروعا للابنية المدرسية يبدا العمل فيه منذ الآن ويستمر حتى عام 1970 ويقدر له ان يكتب فى زيادة امكانيات التعليم الثانوي فى البلاد بنسبة مقدارها 65 ٪ هذا وستتكلف نفقات هذا المشروع ما يقرب من 11 مليون دولار تساهم فيها « الرابطة الدولية للتطوير والتنمية » وهي احدى فروع البنك الدولي بمبلغ 7,2 مليون دولار بصفة قرض طويل الاجل .

※ اقامت وزارة الثقافة السورية معرضا للتصوير السوري المعاصر ، فى متحف سرسق بيروت .

※ احيت الندوة الثقافية النسائية فى سوريا امسية اشترك فيها الشاعرة عزيزة هارون والدكتور كاظم الداغستاني .

※ اقامت وزارة الثقافة السورية اسبوعا لانقاذ آثار النوبة .

كما اقامت وزارة الثقافة مهرجانا سينمائيا للافلام الفرنسية والسوفيتية والمجرية والبلغارية والصينية وافلام مؤسسة السينما .

كما افتتحت نفس الوزارة معرضا لفن التصوير الادريبجاني السوفيتي في المتحف الوطني بدمشق .

✽ فازت رواية « حسن جبل » لفارس زرزور بالجائزة الاولى في المسابقة التي نظمها المجلس الاعلى لرعاية الآداب ، وفازت رواية « ابو صابر » لسلامة عبيد بالجائزة الثانية ، وفازت رواية « ذات الساق المبتورة » لغازي عرابي بالجائزة الثالثة .

✽ دار القلم اتفقت مع الاستاذ احمد حسن الباقوري مدير جامعة الازهر على اكمال تفسير القرآن الكريم الذي انجز منه فضيلة الشيخ محمود شلتوت عشرة اجزاء نشرت في مجلد واحد .

✽ مجموعة من المقالات والمقدمات لاديب فرنسا فرنسوا مورياك الحائز على جائزة نوبل صدرت في كتاب بعنوان « الآخرون وانا » والكتاب هو خلاصة حكمة الاديب الكبير في النقد الادبي والمسرحي والفلسفي .

✽ بدأ العمل الآن في تصوير الاجزاء الاولى من فيلم لبناني اطلاعي يتناول موضوع « عند العرب » ويخرجه السيد انطوان مشحور . هذا وسيتم تصوير الاجزاء الاخرى في كل من سوريا والعراق وايران .

ولقد رجع المخرج في اعداد السيناريو الى الابحاث العلمية في عدة عواصم ، نخص منها بالذكر باريس ، ولندن ، وتونس ، وطرابلس ، كما اطلع على ما يقرب من 250 مصنفا طبيا وتاريخيا .

وتتبع قصة الفيلم تطور علم الطب عند العرب حتى وفاة ابن سينا عام 1307 وتتعرض لشخصيات بارزة في عالم الطب ، مثل حنين بن اسحاق ، وابن البيطار ، وابن سينا وغيرهم . كما يعرج الفيلم ايضا على علوم الصيدلية وتاريخ المستشفيات في البلاد العربية .

وهذا الفيلم من انتاج المركز القومي للسينما في بيروت ، والفيلم نفسه حلقة في سلسلة من الافلام الاطلاعية تستعرض ما اسهم به العرب في الحضارة . اما الافلام الاخرى فسيتم انتاجها في الجمهورية العربية المتحدة ، وسوريا ، وتونس على الترتيب .

✽ غسان كنفاني يصدر له كتاب « ادب المقاومة في الارض المحتلة » وهو دراسات عن انتاج الادباء العرب في فلسطين المحتلة .

✽ « على هامش الغفران » دراسات للدكتور لويس عوض نشرت مجتمعة في « كتاب الهلال » وقال منها النقاد انها غير علمية وغير امينة .

✽ دار الآداب البيروتية اشترت من ورثة العقاد جميع « عبقرياته » واصدرتها في مجلد واحد .

✽ رواية عاطفية وفلسفية وبوليسية في وقت واحد ! هكذا تعلن دار الآداب عن رواية « الشك » لكولن ويلسن .

✽ مجلة « الكتاب » اصدرت عددها الاخير خاصا بدراسة ميثاق الاتحاد العربي الاشتراكي ، بينما قدمت مجلة « الهلال » عددا من دراساتها عنه في عددها الاخير ايضا .

✽ صدرت خلال الشهر الماضي 5 كتب هامة، هي : « مفاهيم في الاشتراكية » لفؤاد الركابي ، و «دور العرب في تكوين الفكر الاوربي » لعبد الرحمان بدوي ، و « آفاق الفن » ترجمة جبر ابراهيم، و « مدخل الى علم السياسة » لهارولد لاسكي، و « الاصول الحضارية للشخصية » وهو مترجم ايضا عن « رالف لنتون »

✽ اصدرت مجلة « صوت الفرات » كراسا تضمن تحقيقين للباحث الفولكلوري عبد القادر عياش : الاول عن العصا في حياة العرب قديما وحديثا ، والثاني عن مؤونة البيت في دير الزور .

✽ اعلنت لجنة « مناهضة الامية » في مدينة طهران ان 2٫000 من المشتغلين بمهنة تسجيل العقود قد تولوا الآن دورهم في مكافحة الامية بالبلاد . اذ سيقومون بالمشاركة في جهود تعلم القراءة والكتابة . ولقد بدا العمل بالفعل منذ نهاية شهر يناير ، فنظموا 60 فصلا دراسيا يضم كل فصل منها عشرين تلميذا

※ نظمت الحكومة السوفييتية ، بمعاونة اليونسكو دورة دراسية دولية في موضوع القراءة والكتابة بين الراشدين ، تعقد في مدينة طشقند عاصمة ازبكستان . وتضم هذه الدورة ما يقرب من ثلاثين من الافريقيين والاخصائيين السوفييت ، ومندوبي الدول غير الافريقية .

وتهدف هذه الدورة الى تشجيع التبادل والتعاون ، في الخبرات المتصلة بتعليم القراءة والكتابة بين الاخصائيين السوفييت والافريقيين والعمل على ادماج هذه البرامج في اطار الخطط القومية للتطوير والتنمية .

※ نظرت الاوساط العلمية مؤخرا في فكرة مشروع جديد للاعلام العلمي عن طريق استخدام الكواكب والاقلام الصناعية .

عرضت الفكرة في اجتماع عقدته لجنة الابحاث الهيدرولوجية بالمجلس الاعلى للاتحادات العلمية بمقر اليونسكو في باريس . وتتلخص الفكرة في ان يسعى « العقد الهيدرولوجي الدولي » الى تنظيم اعلامي على المستوى العالمي ، باستخدام الافلاك الصناعية والآلات الحاسبة في شؤون المياه وعلومها .

※ ظهرت الطبعة العشرون من الحولية السنوية العالمية للراديو والتلفزيون بعد التنقيح والتعديل للاحاطة بآخر التطورات في هذا الميدان .

وتعتبر هذا التقرير مرجعا لاغنى عنه للمشتغلين بالاذاعة والتلفزيون في كل انحاء العالم .. اذ انهم يجدون فيه ، الى جانب المعلومات الخاصة بمختلف محطات الارسال في العالم ، عددا من المقالات في موضوعات فنية متخصصة كوسائل الاتصال التلفزيوني بين القارات والتلفزيون الملون ، والراديو، والتلفزيون في خدمة التعليم والاعلام .

※ كانت برامج محو الامية في الماضي تتجه عادة الى المواطنين في مجموعهم ، تسعى الى تعليم اكبر عدد منهم حسب الوسائل والطرق التقليدية . اما السياسة الحالية التي تنتهجها اليونسكو والتي تنهض اساسا على كونها تسير في دور التنفيذ ، فهي عبارة عن خطة واسعة النطاق قائمة على مبدا الانتقاء ..

وبعبارة اخرى فهي سياسة تستهدف اتخاذ التعليم وسيلة فعالة في خدمة التطور الاقتصادي والاجتماعي .

※ اسست الاكاديمية اليوغوسلافية للفنون والعلوم معهدا « للسلام وفلسفة العلوم » يعتبر نموذجا جديدا بين المعاهد .

ويرجع الفضل في الايحاء بفكرة المعهد الى العالم « ايفان سوبك » عضو الاكاديمية ورئيس جماعة « بوجواش » اليوغوسلافية ، وتضم هذه الجماعة لفيفا من العلماء العاملين في سبيل تطبيق المكتشفات تطبيقا يخدم السلام .

ومن المعروف ان هذه الجماعة دعا اليها وسعى الى تكوينها العالم الكبير اينشتيم .

※ ان نصف عدد الراشدين في العالم تقريبا لايعرفون القراءة والكتابة ، اي ما يبلغ تعداده 750 مليونا من الناس ، يعيش معظمهم في المناطق التي تعرف بانها تسير في طريق التنمية ، وهي بلاد تنوء تحت اعباء البؤس والمرض ، ومناطق لم تسمح لها الفرص المادية لكي تنشيء العدد الكافي من المدارس لتعليم ابنائها في نفس الوقت الذي تفتقر فيه اكثر من غيرها الى المواطنين المتعلمين المؤهلين للقيام باعباء التطوير والتنمية في البلاد ... ذلك ان الامية تعد في هذه المناطق ، سببا لانخفاض المعيشة في البلاد ونتيجة في الوقت نفسه لهذا الانخفاض .

※ ازداد تعداد سكان العالم العربي من 92 مليون نسمة في عام 1960 الى 105 مليون في عام 1965 ، كما ازداد عدد التلاميذ والطلاب من جميع المستويات من 8 الى 12 مليونا تقريبا خلال نفس المدة .

وكان عدد التلاميذ الابتدائيين 6.300.000 تلميذا في عام 1959 – 1960 فاصبح 9.700.000 في عام 1964 – 1965 اي بنسبة متوسطة في الزيادة تبلغ 9 ٪ سنويا 85 ٪ للبنين 10 ٪ للبنات . اما عدد تلاميذ المدارس الثانوية من جميع الفئات (اي التعليم العام ، والمهني ، واعداد المعلمين) فقد ازداد من 324ر000 في عام 1959 – 1960 الى 1ر941ر000 في عام 1964 – 1965 في عشرة بلاد عربية (العراق، والاردن ، والكويت ، ولبنان ، وليبيا ، والمغرب، والجمهورية العربية المتحدة ، والسودان ، وسوريا،

وتونس ، بما في ذلك مدارس الاونـروا اي بنسبـة متوسطة في الزيادة تبلغ 11ر6 ٪ سنويا (11 ٪ للبنين و 12ر9 ٪ للبنات) وكان عدد طلاب التعليم العالـي 145ر000 في عام 1959 — 1960 ثم ارتفع هذا العدد الى 241ر000 في عـام 1963 — 1964 اي بنسبـة متوسطة في الزيادة تبلغ 13ر5 ٪ سنويا (13 ٪ للطلاب و 15ر8 ٪ للطالبات) وتنبغي الاشارة في هذا العدد الى ان الاحصاءات الرسمية عن التعليم العالي في البلاد العربية لاتشتمل دائما على الطلاب والطالبات الملتحقين في دور التعليم التقليدية او المؤسسات المستقلة او الجامعـات الاجنبيـة .

※ رست عند مرسى ميناء لينينغـراد على بحر البلطيق سفينة من اسطول البعثـة العلمية التابعـة لأكاديمية العلوم في الاتحاد السوفياتي ، وهي تحمـل اسم « الاكاديمي كورتشاتوف » ، وهـذه السفينـة صنعت في احواض بناء السفـن في جمهورية المانيـا الديمقراطية ، وحمولة هذه السفينة حوالـي 7 آلاف طن . وقد وضع على ظهر هذه السفينة العلمية سبعة وعشرون مختبرا لاجراء مجموعة من دراسات المحيط

※ ادخلت الاكاديمية الفرنسية تعديلا على تعريف كلمة « شيوعية » في الطبعة الاخيرة من قاموسها فقد كـان كمـا يلـي :

« مذهب اجتماعي يطالب بالغاء حـق الملكيـة الفردية واقرار الملكية الجماعية » .

واصبح القاموس الفرنسي يحتوي على هـذا التعريف لكلمـة شيوعيـة :

« مذهب سياسي واقتصادي واجتماعي اساسه جماعية وسائل الانتاج ، نظـام سياسي يهـدف الى تطبيـق هـذا المذهب » .

※ يبلغ مجموع ما تطبعه الصحافـة العالمية في اليوم الواحد 314 مليونا و 300 نسخة ويوجـد في العالم 4236 مليون جهـاز استقبـال الاذاعـات و 142.272.600 جهاز استقبال للتلفزيون واكثـر من 202.000 قاعة سينما ، وعـدة آلاف سينمـا متجولة . وقد ورد جمـع هذه الارقام الى جـانـب غيرها من المعلومات في التقرير الذي نشرته اليونسكو مؤخرا بعنوان : الاعلام في انحاء العالم .

من الملاحظ ان وسائـل الاعـلام — باستثناء الصحافة اليومية — اخذت تنمو منذ عشر سنـوات، بسرعة تفوق سرعة ازدياد سكان العالم . فقـد ازداد مجموع اجهزة الاذاعة بمعدل 60٪ وتضاعف عـدد قاعات السينما ، كما اصبح مجموع اجهـزة استقبال التليفيزيون ثلاثة اضعاف ماكان عليه .

واما فيما يتعلق بوكالات الانباء فيوجـد منهـا اليوم 160 وكالة في 82 بلدا بدلا من 906 وكالة كانت توجد منذ خمس عشرة سنة في 54 بلدا .

ويشير التقرير كذلك الى ان وسائـل الاعـلام موزعة بصورة غير متساوية على انحاء العالم المختلفة.

※ صدر بالفرنسية كتاب يضم اعترافات الامين العام للامم المتحدة ، داك همرشولد . ورغـم الادوار التي لعبها على مسرح السياسة الدولية بفضل ما كان يبديه من التعميق في فهم الاشياء والهدوء والرزانـة المتناهيين فان اعترافاته تكشف لنا رجلا قلقا لايقر له قرار ، فيما يتعلق بمسـالة العقيـدة على الخصوص، وفي الكتاب وردت هذه السطور : ان اصعب الاشيـاء هي ان يموت المرء ميتة حسنة . ولقد لقي همرشولد حتفه في حادث طائرة سنة 1961 حينما كان عائدا من الكونغو بعدما قام بمهمة خطيرة هناك .

※ بمناسبة الزيارة الاخيرة التي قام بها لمدريـد السيد محمد جميل بيهم رئيس دائرة الثقافة اللبنانية ورئيس اكاديمية العلوم سابقا ؛ اقترح على هيئة معهد الدراسات العربية ، والمعهد الاسباني العربي للثقافـة بمدريد ، تاسيس جمعيـة مؤلفـة مـن خبـراء واختصاصيين في الثقافـة الاسبانية والعربية يشارك فيها الاسبانيون والعرب في مختلف انحـاء العالـم العربـي .

※ صدر في بيروت ديوان « رثاء الخيول الهرمة » للدكتور ميشال سليمان

※ « الحركة النسائية اللبنانية » عنوان الكتـاب الذي صدر لاميلي فارس ابراهيـم في منشورات دار الثقافة في بيروت وباشراف المجلس النسائي اللبناني

※ عن دار الآداب في بيروت يصدر قريبا « ادب المقاومة في الارض المحتلة » لغسان كنفاني ، و « دليل

الغرباء » وهو عبارة عن مجموعة قصص لغادة السمان، و « في البدء فلسطين » مجموعة شعرية لحسن النجمي ، و « النار والطين » مجموعة شعرية لراضي صدوق

❋ بمناسبة الذكرى الخامسة لمبايعة الاخطل الصغير اميرا للشعر ، وزعت لجنة التكريم خلاصة عما قاله المبايعون في المهرجان الذي اقيم له في 4 يونيو 1961 في قصر اليونيسكو ببيروت .

❋ صدر في منشورات دار الثقافة ببيروت ديوان « رجع الصدى » للشاعر صلاح اللبابيدي

❋ صدرت في بغداد الكتب الآتية : « ابو تمام الطائي »لخضر الطائي . « الرعاية الاجتماعية ومعاملة المذنبين في ضوء المفاهيم الحديثة » لمحمد سلمان العطار « الوجيز في قانون العمل » للدكتور شاب توما منصور . « نشأة المدارس المستقلة في الاسلام » و « المدار الشرابية ببغداد واواسط مكة » وهما لناجي معروف « المرشد الى موطن الحضارة : الرحلة الثالثة » لطه باقر ، وفؤاد سفر .

❋ صدر في عدن مجلتان اسبوعيتان سياسيتان هما « المستقيم » و « المستقبل »

❋ اصدر المجمع اللغوي بالقاهرة كتابا يضم تراجم ادبية ، للعلماء ، والادباء ، والمفكرين الذين شغلوا عضويته منذ انشائه الى الآن .

❋ اعتمد احمد حسن الباقوري ، مدير جامعة الازهر ، مشروع بناء كلية البنات الاسلامية بمدينة نصر على مساحة 40 فدانا . ويضم المقر الجديد مبنى الادارة ، والمكتبة ، ومبنى الاتحاد ، ومسجدا ، ومدرجا يسع 1 000 طالبة ، واقسام الكلية المختلفة للدراسات العربية والاسلامية ، والاجتماعية ، والتجارية ، والطب، والعلوم ، وبيت الطالبات الوافدات ، والمطعم .

❋ اقر مجمع اللغة العربية بالقاهرة نتيجة مسابقته الادبية لهذا العام ، وتقضي بفوز كل من الدكتور ماهر حسن فهمي ، ومحمد رجب البيومي ، بالجائزة الثانية ، وقد سحبت الجائزة الاولى ، موضوع المسابقة : « محمد توفيق البكري : حياته وأدبه » هذه هي المرة الرابعة التي يفوز فيها محمد رجب البيومي بجائزة المجمع اللغوي .

❋ اصدرت دائرة الثقافة والفنون في عمان مجلة شهرية باسم « الافكار » .

❋ يصدر قريبا عن دار الانوار كتاب « الادخار والاستثمار » لبيار ماري براديل ، وترجمة الاديب السوري نهاد رضا .